جامعة الجزائر 2

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الاقتصاد الفينيقي في البحر المتوسط

(1200 ق.م. – 332 ق.م.)

رسالة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم

إعداد الطالبة:
أشلاف فطومة

إشراف الأستاذ الدكتور
رحماني بلقاسم

أعضاء اللجنة المناقشة

أ.د. محمد الحبيب بشاري	جامعة الجزائر 2	رئيسا
أ.د. رحماني بلقاسم	جامعة الجزائر 2	مشرفا
د. بن علال رضا	المدرسة العليا للأساتذة	عضوا مناقشا
د. بورني دليلة	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا
د. بومريش ليلى	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا
د. عزيز طارق ساحد	معهد الآثار	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2017 – 2018

كلمة شكر

أشكر الله سبحانه وتعالى الذي وفقني لإتمام هذا البحث المتواضع

كما أتقدم بالشكر الخالص إلى الأستاذ الدكتور الفاضل رحماني بلقاسم الذي أشرف على إنجاز هذا البحث.

الشكر الخالص إلى الأستاذة الدكتورة المحترمة شافية شارن، بدأت معها مشوار البحث منذ سنوات.

الشكر الخالص إلى الأستاذ الدكتور بوضرساية بوعزة.

كما أتقدم بالشكر لأعضاء اللجنة المناقشة الذين قبلوا مناقشة هذه الأطروحة.

أتقدم بالشكر إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث من قريب ومن بعيد.

الإهـــــــداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى الوالدين الكريمين حفظهما اللّه

وكل أسرة أشلاف

إلى زوجي إلياس

أبنائي: عبد المؤمن ومريم

إلى أسرتي الثانية عائلة صغير

أهدي هذا العمل لكل من انتظر معي فرحة النجاح ودعمني ولو بتشجيع.

خالص إهدائي إلى الدكتورة مريم صغير رحمها اللّه برحمته الواسعة وأسكنها فسيح جناته .

قائمــة المختصــرات

D.C.P.P. : Dictionnaire de la Civilisation Phénicienne et Punique.

D.H.P : Dossiers Histoires et Archéologie.

H.A.A.N. : Histoire Ancienne de l’Afrique du Nord

مقدمة:

تعد الحضارة الفينيقية من أهم حضارات الشرق الأدنى التي تميزت عن غيرها من حضارات الشعوب القديمة التي عاصرتها لاسيما من جانب الحياة الاقتصادية.

هذه الأخيرة التي كان جانبا منها موضوع البحث الذي تناولته لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم المعنون ب: **الصناعات الحرفية الفينيقية خلال الفترة الممتدة ما بين 1200 قبل الميلاد إلى حوالي 332 قبل الميلاد**، وخلال فترة البحث في موضوع مذكرة الماجستير كانت لي فرصة الاطلاع على جوانب عديدة ومهمة للنشاطات الاقتصادية في الحضارة الفينيقية والذي يعد عماد هذه الحضارة حيث إرتبطت أغلب الجوانب الأخرى من الحضارة الفينيقية بالاقتصاد.

كما سبق الذكر كانت فترة البحث لإنجاز مذكرة الماجستير فرصة الإطلاع على جوانب مهمة من الاقتصاد الفينيقي فلم تكن الصناعة نشاطهم الوحيد ولم يركزوا فقط على هذا الجانب فقد مارسوا الزراعة وبرعوا في التجارة خاصة البحرية التي مارسوها على نطاق واسع، وكل النشاطات كانت مرتبطة فيما بينها سواء على إمتداد الساحل الفينيقي أو خارجه حيث توسع الفينيقيون في البحر المتوسط بحوضيه الشرقي والغربي.

كما أن النشاطات الاقتصادية التي مارسها الفينيقيون الزراعة الصناعة والتجارة كانت محور التعامل مع الشعوب الأخرى، وهذا ما جعلني أهتم بموضوع الاقتصاد الفينيقي في البحر الأبيض المتوسط خلال الفترة الممتدة مابين 1200 قبل الميلاد إلى حوالي 332 قبل الميلاد.

واختياري لهذه الفترة الزمنية مرتبط بالأوضاع السياسية التي ميزت الحوض الشرقي للبحر المتوسط، كان أهمها سقوط البحرية الإيجية، وما نتج عنها من تغيرات ومجمل

الأوضاع السياسية السائدة التي أثرت على الفينيقيين نظرا لموقعهم في ملتقى الحضارات والطرق التجارية، وهذا ما جعلها تتأثر بالأوضاع العامة في المنطقة.

كما أن هذه الفترة كان لها مميزات، حيث عرفت مدن الساحل الفينيقي ازدهارا خاصة خلال تزعم مدينة صور للمدن الفينيقية، وكان ذلك خلال فترة حكم حيرام الأول.

تتمثل إشكالية البحث المطروحة في مجموعة من التساؤلات حول التوسع الفينيقي وعلاقته بالجانب الاقتصادي خاصة التجارة البحرية، فما مدى ارتباط النشاط التجاري البحري بالاستيطان والتوسع؟، ولماذا الفينيقيون دون غيرهم من الحضارات المعاصرة توجهوا لإنشاء إمبراطورية بحرية تجارية؟ وكيف استطاع الفينيقيون الوصول إلى تحقيق وحدة وتكامل بين نشاطاتهم المختلفة (الصناعة، التجارة والزراعة)؟، فإلى أي مدى كان الفينيقيون بحاجة إلى التعامل الاقتصادي مع غيرهم من الشعوب؟، وكيف ساهمت العلاقات التجارية في ظاهرة التوسع والانتشار الفينيقي؟.

بالنسبة للمنهجية المتبعة لانجاز البحث سيكون منهجا تاريخيا تحليلي قائم على التركيب والمقارنة وسيعرف ذلك بالاعتماد على أهم المصادر الفينيقية المادية والمتمثلة في البقايا الأثرية التي عثر عليها الباحثون على إمتداد الساحل الفينيقي حيث إستقر الفينيقيون. وأقاموا حضارتهم، بالإضافة إلى الآثار المادية التي عثر عليها خارج مدن الساحل الفينيقي خاصة هذه الأخيرة التي تؤكد إتساع النشاط الاقتصادي وتظهر جانب هام للتأثيرات الحضارية.

بالإضافة إلى المصادر المدونة وأهمها بالنسبة للفينيقيين نصوص رأس الشمرا- أوغاريت- التي تضمنت معلومات عن الجانب الاقتصادي وأخص بالذكر **ملحمة بعل وعناة** هذه الملحمة التي تجسد قوى الطبيعة والفصول الأربعة، ومن خلال تمثيلية فصلية تظهر لنا

موسم الزرع والحصاد من خلال الرمزية في الأحداث، بالإضافة إلى **ملحمة موت الآلهة** التي أوضحت لنا من خلال الطقوس المقامة من أجل خصب الأرض وبداية تعلم الزراعة.

أهم مصدر عاصر الحضارة الفينيقية والمتمثل في أسفار العهد القديم تناولت الفينيقيين خاصة من الجانب الاقتصادي بحكم الجوار الحضاري والعلاقات التي ربطت بين الفينيقيين والعبرانيين خاصة في فترة حكم **حيرام ملك صور** و**النبي سليمان** فقد كانت بينهما علاقة تبادل، وأخص بالذكر **سفر الملوك الأول** و**سفر حزقيال.** فقد ورد من خلال مرثية صور ذكر حركة النشاط التجاري بين صور وكل المناطق التي تعاملت معها، كما وضع حزقيال قائمة للمبادلات التجارية من الواردات والصادرات وقد إستفدت من سفر حزقيال خاصة في مجال التجارة.

بالإضافة إلى المصادر الإغريقية وأخص بالذكر هيرودوت، فقد تحدث عن الفينيقيين وعن نشاطهم التجاري، وأهم النصوص التي أفادتني في هذه الدراسة نص التجارة الصامتة، فنص **هيرودوت** يعد أهم وثيقة أوضحت طريقة التبادل.

إضافة إلى نصوص أخرى أفادتني في توضيح إهتمام الفينيقيين بالزراعة وتجارة العبيد فقد إستهل هيرودوت كتابه بممارسة الفينيقيين لتجارة العبيد. ومعلوماته الهامة عن الملاحين الفينيقيين ورحلة نخاو، ووكالاتهم التجارية في مصر.

إضافة إلى سترابون **Strabon** من خلال مؤلفه **Géographie** والذي تناول الفينيقيين من خلال العديد من الإشارات، وقد تناول التجارة والملاحة مصدر مهم آخر: بلين الأقدم **Pline L'ancien** من خلاله مؤلفه: **Histoire Naturelle.** ويعد مؤلف موسوعي تحدث فيه عن النباتات والحيوانات وبعض المنتوجات منها الفينيقية وأخص بالذكر الصباغ الأرجواني والزجاج، ويعد مؤلفه أهم مصدر تناول طرق صيد ومعالجة واستخدام الصباغ الأرجواني.

بالإضافة إلى **الإلياذة** و **الأوديسة** لـ: **هوميروس،** فقد أشار إلى الفينيقيين ونشاطهم البحري في البحر المتوسط، وصف لسفنهم التجارية، وتجارة الرقيق غير النظامية التي كانوا يمارسونها بإختطاف أشخاص أحرار.

أما بالنسبة للمراجع فقد إطلعت على العديد منها، وإكتفيت بإختيار أهمها نظرا لتشابه المعلومات، وبعضها تناولت دراسة الحضارة الفينيقية من عدة جوانب، لكن بالنسبة للجانب الاقتصادي متناول بإختصار أو بذكر معلومات قليلة عن التفاصيل المهمة خاصة في جانب التجارة والمبادلات التجارية بالرغم من أن التجارة كانت النشاط الرئيسي للفينيقيين، فأغلب الباحثين يركزون على جوانب تشمل التجارة لكن من جانب التوسع والملاحة، ومناطق إستيطان الفينيقيين دون ذكر التفاصيل حول نشاطهم الاقتصادي بدقة، وقد حاولت بقدر الإمكان الاستفادة من المراجع المختصة لدراسة جانب التجارة والمبادلات التجارية.

أهم المراجع باللغة العربية أو المترجمة إلى العربية:

1- **فيليب حتي** من خلال العديد من مؤلفاته، فهو من الباحثين المهتمين بدراسة وكتابة تاريخ منطقة الهلال الخصيب وقد إستفدت من أهم مؤلفاته المترجمة والتي وجهتني في دراسة الجانب الاقتصادي وكانت أهمها:

- **- تاريخ لبنان منذ أقدم العصور؛**
- **- تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين الجزء الأول.**

2- **جورج كونتينو George Contineau**، من أهم الباحثين المهتمين بدراسة الحضارة الفينيقية ومؤلفه المترجم إلى اللغة العربية والمعنون بـ: " **الحضارة الفينيقية** " يعد من أهم المؤلفات التي تناولت الحضارة الفينيقية من كل الجوانب لاسيما جانب التجارة والملاحة والتوسع. ويعد مهما كونه اعتمد عن أبحاثه الأثرية.

3- **فريدريك معتوق،** " **سوسيولوجية الحضارة الكنعانية الفينيقية** " يعد من أحدث المراجع، صدر بطبعته الأولى سنة 2014 وقد أفادني هذا المرجع بتوجيهي إلى جوانب مهمة، خاصة جانب التجارة والمبادلات التجارية.

4- **كارلهاينز برنهردت،** مؤلفه " **لبنان القديم** " مترجم إلى اللغة العربية ويعد من المراجعة المهمة والمختصة في دراسة الحضارة الفينيقية أفادني في دراسة التجارة والتوسع ودراسة الجانب الطبيعي للحضارة الفينيقية.

*- **بيومي مهران،** " **المدن الفينيقية** "، كذلك يعد من أهم المراجع تناول المدن الفينيقية، ومن خلالها أوضح جوانب مهمة من الحضارة الفينيقية.

بالنسبة للمقالات استفدت من العديد من أهمها:

- مقال لـ: **أحمد حامدة، التجارة الفينيقية الكنعانية** ، تناول التجارة وقد أفادني في توجيهي إلى جوانب مهمة للتجارة الفينيقية.

- مقالات لـ: **محمد رضوان العزيفي،** وهو المهتمين بدراسة التواجد الفينيقي في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وبالخصوص المدن الفينيقية في المغرب الأقصى، وأهم مؤلفاته : "ليكسوس مستوطنة فينيفية".

- مقال لـ: **هشام الصفدي،** " **شواهد من حضارات البحر الأبيض المتوسط** ، بالإضافة للمقالات باللغة الفرنسية

F. Thureau Dangin, **Un Comptoir de la Laine Pourpre D'Apres Une Tablette de Ras – Shamra.**

بالنسبة للمقال المذكور يعد مصدر لتجارة الأرجوان.

بالإضافة إلى **دراسات السابقة** من مذكرات ورسائل جامعية نذكر منها:

الدكتور محمد الصغير غانم: **التوسع الفينيقي بغربي البحر المتوسط.**

مذكرة الدكتور أروفه لي محمد خير: **خصائص العمارة الفينيقية في المغرب القديم خلال الألف الأول قبل الميلاد.**

مذكرة الدكتورة آيت عمارة ويزة: **دور السفينة في التجارة والتوسع الاستيطاني في البحر المتوسط القديم.**

الباحث خير عامر: **العلاقات التجارية بين فينيقيا ومصر فيما بين 2780 ق.م. القرن السادس قبل الميلاد.**

قسمت البحث إلى **مدخل وبابين:**

مدخل: تناولت فيه الموقع والجانب الطبيعي لفينيقيا، حيث وضحت فيه أهم الخصائص الطبيعية للساحل الفينيقي، من حيث التربة، المناخ والمجاري المائية بالإضافة إلى الموضع ودوره في توجيه النشاط الاقتصادي.

الباب الأول: قمسته إلى خمسة فصول:

الفصل الأول: تناولت فيه الزراعة حيث وضحت فيه مقومات الزراعة وأهم الأدوات المستخدمة في الزراعة والمحاصيل الزراعية حيث ركزت على ذكر أهمها: أشجار الزيتون والكروم.

الفصل الثاني: تناولت فيه صناعة الخزف بذكر مراحلها- التشكيل- التجفيف وركزت على أهم المصنوعات الخزفية من حيث مجالات إستخدامها.

الفصل الثالث: صباغة الأنسجة، حيث تناولت رواية إكتشاف الصباغ الأرجواني ومصدره المتمثل في أنواعه من أصداف الموركس **Murex** وطريقة إستخلاصه وتحضيره.

الفصل الرابع: صناعة الزجاج. حيث تناولت رواية إكتشاف الزجاج من طرف الفينيقيين. كما تناولت المواد اللازمة بناء العجينة الزجاجية، ومراحل تطور صناعة الزاج، وأهم المصنوعات الزجاجية.

الفصل الخامس: تناولت فيه صناعة السفن، حيث ذكرت أهم المواد المستخدمة في بنائها ومراحل إنجازها مع التركيز على ذكر خصائص السفن التجارية الفينيقية.

والهدف من تناول نشاطي الزراعة والصناعة إظهار اهتمام الفينيقيون باستغلال الإمكانيات والمواد الخام التي توفرت لهم على الساحل الفينيقي قبل توجههم للتجارة البحرية، هذه الأخيرة التي يشاع أنها أهم نشاط مارسه الفينيقيون.

الباب الثاني: تناولت فيه التجارة وقد قسمته إلى خمسة فصول:

حيث تناولت في **الفصل الأول** التجارة البحرية وتطرقت من خلاله إلى العوامل التي دفعت بالفينيقيين لممارسة التجارة البحرية، وقد ركزت على ثلاث عوامل:

- العوامل الطبيعية والمتمثلة أساسا في الخصائص الطبيعية للساحل الفينيقي.
- العوامل السياسية السائدة في حوض الشرقي للبحر المتوسط والتي أثرت على الفينيقيين من عدة جوانب.
- العوامل الاقتصادية المرتبطة بنشاط الفينيقيين.

كما تطرقت إلى الطرق البحرية الرئيسية والثانوية التي كانت مرتبطة بظروف الملاحة البحرية.

الفصل الثاني، تناولت فيه التوسع التجاري والاستيطان، حيث أبرزت طبيعة التوسع الفينيقي وشروط اختيار مناطق التوسع التي امتدت من الحوض الشرقي من البحر المتوسط إلى الحوض الغربي.

كما ركزت على المنشآت الاقتصادية خارج الساحل الفينيقي المتمثلة في الموانئ باعتبارها منشآت ارتبطت بالتوسع الفينيقي والتجارة البحرية، بالإضافة إلى المعابد التي تعتبر مؤسسات دينية لكن بالنسبة للفينيقيين كانت لها أهميتها بالجانب الاقتصادي باعتبارها مؤسسة اقتصادية كان لها دور في تنظيم وحماية التجارة خارج الساحل الفينيقي.

الفصل الثالث، تنظيم التجارة، حيث تناولت جانب من المعاملات التجارية التي كانت منظمة بدليل وجود عقود وسجلات ومؤسسات تجارية كان لها دور هام في تنظيم التجارة البحرية، بالإضافة إلى الإشارة لقوانين تنظيم التجارة وحمايتها، المتمثلة أساسا في قوانين حفظ الطرق التجارية وقانون تعويض الخسائر.

الفصل الرابع، مناطق التبادل التجاري، حيث ركزت فيه على ذكر أهم مناطق التبادل التجاري، التي كان أبرزها جزيرة قبرص، مصر وبلاد الإغريق في الحوض الشرقي ومناطق أخرى كانت لها أهميتها في التوسع والتجارة، ونخص بالذكر ليكسوس وقادس في أقصى الحوض الغربي للبحر المتوسط.

الفصل الخامس، طرقت فيه إلى الصادرات التي تتمثل في المنتوجات الفينيقية داخل وخارج الساحل الفينيقي والتي كانت أهمها الأخشاب باعتبارها ثروة طبيعية تاجر بها الفينيقيون في شكلها الخام، كما نقل التجار الفينيقيون منتوجات غذائية كان أهمها النبيذ، الزيت والأسماك المجففة.

تاجر الفينيقيون كذلك بمنتوجات صناعية، حيث اشتهروا بتجارة الأنسجة الأرجوانية والمصنوعات المختلفة من أهمها مصنوعات المعدنية، مصنوعات زجاجية والمصنوعات العاجية والعاج كمادة خام.

حاولت من خلال هذا الفصل إبراز أهمية وتنوع المنتوجات الفينيقية التي لا تعد من المنتوجات الكمالية، كما يشاع عند الكثير من الباحثين.

في نهاية البحث جمعت بعض النتائج التي توصلت إليها في الخاتمة، كما ألحقت البحث بمجموعة من الملاحق التوضيحية.

وفي الأخير، لابد من الإشارة إلى بعض الصعوبات التي صادفتني خلال فترة إنجازي للبحث تخص الجانب المعرفي المتمثلة في نقص بعض المصادر والمراجع التي تناولت جانب من المعاملات التجارية والزراعة، فاكتفيت بالمعلومات القليلة التي حاولت استغلالها بقدر الإمكان.

بالإضافة إلى الظروف الخاصة التي أدت إلى طول فترة الإنجاز البحث.

مدخـــــــــل

طبيعة الساحل الفينيقي

المبحث الأول: خصائص موقع الساحل الفينيقي:

أقام الفينيقيون حضارتهم على جزء من الساحل في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، كانت لهم مجموعة من المميزات والخصائص الطبيعية.

المطلب الأول: تحديد الموقع الجغرافي الفينيقي:

أقام الفينيقيون حضارتهم على جزء من الساحل الشرقي للبحر المتوسط، في منطقة لايمكن تحديد حدودها الجغرافية بدقة، وهذا يعود لعدة أسباب جعلت الباحثين يختلفون في تحديد الموقع، أهم هذه الأسباب تغير الحدود من فترة لأخرى لظروف تاريخية سياسية، فقد عرف خاصة الحدود الشمالية والجنوبية تغير بسبب إنحصار نفوذ الفينيقيين في فترات مختلفة[1]، لذلك نجد أغلب الباحثين يتفقون على تحديد الموقع في الفترة الممتدة من حوالي 1200 قبل الميلاد إلى حوالي 800 قبل الميلاد، هذه الفترة التي عرفت فيها المدن الفينيقية الاستقلال والاستقرار السياسي [2].

موقع الساحل الفينيقي الذي يتفق حوله أغلب الباحثين يمكن تحديد من المنطقة الممتدة من شمال رأس الشمرا [*] على الشاطئ السوري حتى جبل الكرمل في الجنوب، أما من الناحية الشرقية فتحدّ الساحل الفينيقي سلسلة جبال لبنان الغربية.

أما من الناحية الغربية فتتمثل في الواجهة البحرية للبحر المتوسط [3] وبذلك تكون الحدود الشرقية والغربية المحصورة بين البحر والجبل واضحة ومتوازية [4] **(أنظر الخريطة رقم01 و 02).**

1- M. Gras, P. Rouuillard, J. Teixidore, **L'univers Phénicien,** Hachett , 1995 ; P 30

2- أبو المحاسن عصفور، " **المدن الفينيقية** "، دار النهضة العربية، 1981، ص 15.

* – رأس الشمرا تقع على بعد 11 كلم من مدينة اللاذقية، عرفت بهذا الإسم لوفرة نبات الشمرا، في هذه المنطقة نشأت أقدم المدن الفينيقية أوغاريت. (أنظر، نسيب وهيب الخازن، أوغاريت، أجيال، أديان، ملاحم، ط1، دار الطليعة، 1961).

3- جورج كونتنو، " **الحضارة الفينيقية** "، ترجمة عبد الهادي شعيرة، الهيئة العامة للكتاب، 1997، ص 30.

4- لطفي عبد الوهاب يحي، " **اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري** "، دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص 08.

المطلب الثاني: خصائص الساحل الفينيقي:

يتميز الساحل الفينيقي من الناحية الطبيعية بخصائص هامة كان لها دور في توجيه الاقتصاد الفينيقي، وقد تمثلت فيما يلي:

1)- المساحة:

يعتبر الساحل الفينيقي شريط ضيق من حيث المساحة؛ المحصورة بين الجبال والبحر [1]، فإذا قارنا مساحة الساحل الفينيقي بمساحة الأراضي التي قامت عليها الحضارات الكبرى التي جاورت وعاصرت الحضارة الفينيقية، نجد أن مساحة الساحل الفينيقي أضيق من أن تشكل قاعدة أرضية لحضارة لها مكانتها المتميزة عبر التاريخ، فلا مجال لمقارنة مساحتها بمساحة الرقعة الجغرافية التي قامت عليها الحضارة المصرية أو حضارة بلاد الرافدين.

المساحة التي إمتد فيها الساحل الفينيقي لا يمكن تحديدها بدقة فالمسافة العامة من الشمال إلى الجنوب قدرها الباحثون بحوالي 510 كيلومتر [2] أما المسافة بين الشرق والغرب فهي تتراوح ما بين 12 كيلو متر إلى 50 كيلو متر كحد آقصى [3].

2)- المرتفعات الجبلية:

تعد المرتفعات الجبلية الخاصية الطبيعية التي تغلب على الساحل الفينيقي فهي من أهم التضاريس الجغرافية السائدة في المنطقة، والأكثر تأثيرا على حياة الفينيقيين الاقتصادية. ففي الشمال نجد جبال الأمانوس، جبل الأقرع.

1- Gerhard Herm, **« Les Phéniciennes L antique Royaume de la Pourpre »** Fayard, 1976, P , 13.

2- Dictionnaire de la Bible, T5, P, 232.

3- جورج كونتنو، " **الحضارة الفينيقية** "، ص، 39.

كما نجد مرتفعات لبنان الغربية الممتدة من الناحية الشرقية بشكل طولي من الشمال إلى الجنوب (**أنظر الخريطة رقم 02**) [1].

الملاحظ من الناحية الطبيعية أن المرتفعات الجبلية في كثير من المواقع تشكل حاجز طبيعيا فصلت فينقيا عن مناطق أخرى، فمن الناحية الشمالية نجد جبال الأمانوس تشكل حاجزا طبيعيا بين فينقيا وآسيا الصغرى [2].

الملاحظ بشكل عام أن المرتفعات الجبلية من الناحية الشرقية تمتد بشكل طولي، كحاجز طبيعي بين فينيقيا والمناطق الداخلية من الشمال إلى الجنوب (**أنظر الخريطة رقم 02**).

إضافة إلى وجود المرتفعات الجبلية كحواجز طبيعية بين فينقيا ومناطق أخرى، نجد أن المرتفعات الجبلية قد تخللت الساحل الفينيقي، حيث جعلته في بعض المناطق منعزلة عن بعضها البعض، وهذه الخاصية بالتحديد كانت لها سلبياتها على الفينيقيين، حيث أثرت على سهولة التنقل، وهذا ما جعل الفينيقيين يتوجهون لاستخدام البحر كطريق للتنقل بسفنهم البسيطة في البداية.

نجد كذلك في بعض المواقع المرتفعات الجبلية تمتد حتى البحر في شكل إمتدادات جبلية ناتئة[3].

لقد كانت المرتفعات الجبلية فعلا عائقا طبيعيا، أثر على تنقل الفينيقيين سواء نحو المناطق الداخلية، كما كانت عائق للتنقل بين المدن الفينيقية، كما كانت المرتفعات الجبلية

---

[1]- كارلهاينز برنهردت، " **لبنان القديم** "، ترجمة ميشال كيلو، ط 1، 1999، ص ص، 11-15.

[2]- فيليب حتى، " **تاريخ لبنان، منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر**"، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ترجمة أنيس فريحة، 1972، ص ص، 14-16.

[3]- جورج كونتنو، **الحضارة الفينيقية**، ص، 33.

عائق أمام إمتداد السهول والأراضي الصالحة للزراعة [1] كما كانت عاملا في تحديد بعض التغيرات السياسية في المنطقة، (الآشوريين للقيام بحملات عسكرية) [2].

لكـن فـي المقابـل كانـت المرتفعـات الجبليـة، أثرهـا الإيجـابي فـي حيـاة الفينيقيـين الاقتصادية ، فقد فرضت المرتفعات الجبلية شروط طبيعية لم يتمكن الفينيقيون من تغييرها، لكن في كثير من الأحيان إستطاعوا التكيف معها فتمكنوا باستغلالها بقدر الإمكان، خاصة وأن المرتفعات الجبلية لم تؤثر سلبا فقط، فقد وفرت لهم المرتفعات الجبلية الثروة الخشبية، التـي كانـت عـاملا أساسـيا فـي إزدهـار بعـض الصـناعات الهامـة كصـناعة السـفن، التـي تمكنـوا بفضـلها التوجـه للبحـر مـن أجـل التنقـل، ثـم لممارسـة حرفـة الصـيد مـن أجـل سـد الحاجيـات الغذائيـة أمـام قلـة الأراضـي الزراعيـة، والتجـارة لاحقـا وهـذه الأخيـرة التـي سـنأتي علـى ذكرها فـي الفصـول اللاحقـة، وبـذلك كانـت الأخشـاب مصـدر للقوة الاقتصادية لفينيقيا عبـر تاريخها [3].

3- الواجهه البحرية:

إمتد السـاحل الفينيقي بشكل طولي من الشمال إلـى الجنـوب، فالبحر المتوسط يشكل الحـدود الغربيـة لفينيقيـا، والمجـال الطبيعـي الـذي اسـتغله الفينيقيـون فـي نشـاطات إقتصـادية مختلفة.

فينقيا بلد مدفوع دفعا نحو البحر هذا قول **فرنـان بروديل**[4] الذي يصـح فعلا فقد كان البحـر ملجأ الفينيقيين من أجل التنقل بين مدن الساحل الفينيقـي، فاستغلوا خاصـية طبيعية المتمثلة في الرؤوس والخلجان التي تعد مرافق طبيعية لمراكبهم البسيطة التي استخدموها في البدايـة مـن أجـل التنقـل، ثـم مـن أجـل الصـيد فأمـام إزديـاد الحاجيـات الغذائيـة للسـكان وقلـة

---

[1]- سباتينو موسكاني، " **الحضارة الفينيقية** "، ص، 22.
[2]- السيد غلاب، **الساحل الفينيفي وظهيره في التاريخ والجغرافيا**، دار العلم للملايين، بيروت، 1969، ص، 426.
[3]- J. Philippe Levy, « **L'économie Antique** » Paris, 1969, P 19.
[4]- فرنان بروديل، البحر المتوسط، **بيت** الحكمة، العدد 5 (1987، المغرب).

المساحة الزراعيـة لـم يكـن أمـامهم إلا البحـر بثروتـه السمكيـة، ولاحقـا ستكون حرفـة الصـيد، نشـاط مـرتبط بالصـناعة والتجـارة، مـن خـلال حرفـة تجفيـف السـماك ، وصـيد الأصـداف لصباغة الأنسجة. والأهم من ذلك الملاحظ من أجل التجارة. ويكون بذلك الفينيقيون قد تأثروا إلى أبعد الحدود بالبيئة التي عاشوها فيها وإستجابوا لها إستجابة كاملة.

المبحث الثاني: علاقة تسمية الفينيقين بنشاطهم الاقتصادي:

المتفق عليه حسب رأي أغلب الباحثين أن تسمية الفينيقيين قد أطلقها الإغريق على التجار الكنعانيين[*] [1]، فالتسمية التي كان يطلقها الفينيقيون على أنفسهم هي بني كنعان، وهذا إستنادا إلى المعطيات الأثرية الواردة في بعض النقوش والنصوص، أبرزها ما ورد في نقش البرازيل [2]:

ن ح ن ا   ب ن   ك ن ع ن
نحنـــا   بني   كنعـــان
نحـــن   بني   كنعـــــان

دليل آخر على أن الفينيقيين كان ينسبون أنفسهم إلى بني كنعان خلال القرن العاشر قبل الميلاد، وهذا من خلال ما ورد في النص التالي:

" نحن بني كنعان من صيدا، من مدينة الساحل، التجارة قذفتنا إلى هذا الساحل البعيد أرض الجبال، نحن ضحينا بشاب للآلهة العلوية والإلهات العلويات في السنة التاسعة عشرة

---

[*] – **الكنعانيين** هي التسمية الأصلية للفينيقيين، وهذا حسبما تدل عليه المصادر الفينيقية، المصرية، أسفار العهد القديم، والنصوص الآكدية والحورية. للمزيد، (أنظر أشلاف فطومة، الصناعات الحرفية الفينيقية، 1200 ق.م. – 332 ق.م.، مذكرة ماجستير، إشراف، شارن سافية، (الجزائر 2009)، ص ص، 20–26، خزعل الماجدي، " **المعتقدات الكنعانية – الفينيقية** "، ص ص، 12–13.)

[1] - Donald Harden, « **The Phoennicians, Thames and Ardson** » London, 1962, P 22.

[2] - محمد بهجت قبيسي، " **الكنعانيون والآراميون العرب الإمبراطورية الرومانية من ق 1 ق. م حتى ق 3 ميلادي** "، دار شمال – دار طلاس، ط II ، 2009، ص، 58.

لجيران ملكنا العظيم، وذهبنا من أزيون وجبير في البحر الأحمر وسافرنا مع عشرة سفن وصرفنا في البحر جميعا (معا) ..... [1].

نفس التسمية نجدها عند المنحدرين من الأصول الفينيقية، ففي القرن الخامس الميلادي عندما سئلا لقديس أوغسطين **Augustin** [*].عن أصله فأجاب: " إذا سألت سكان البادية في إفريقيا فإنهم يجيبونك باللغة البونية نحن كنعانيون " [2].

المطلب الأول: التسمية الإغريقية للفينيقيين:

المتفق عليه بالنسبة لتسمية الفينيقيين أنها تسمية أطلقها الإغريق عليهم، لكن إختلاف الآراء نجده في مصدر كلمة الفينيقيين ومدلولها، وماذا كان يقصد الإغريق بوصف التجار الكنعانيين بالفينيقيين [3].

الفترة الزمنية التي عرفها فيها الفينيقيون بهذه التسمية، قد تكون خلال عصر هوميروس، فقد ورد ذكر تسمية الفينيقيين في الأودسية والإلياذة، كما يرجع البعض أنها قد تعود إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد أو الحادي عشر قبل الميلاد [4].

التسمية الفينيقية مشتقة من الصفة **Phoinos** المأخوذة من اللفظ **Phoinios** والتي تعني في اللغة الإغريقية اللون أحمر [5] المرتبط بالنشاط التجاري للفينيقيين فتكون بذلك التسمية الإغريقية مهنية وليست إثنية[6][**].

---

[1]- أحمد حامدة، " **<u>التجارة الكنعانية (الفينيقية) في البحر المتوسط (دراسات تاريخية)</u>** العددان 73-74 آذار، حزيران، دمشق، 2001، ص، 70.

[*] – **<u>القديس أوغسطين Saint Augustin</u>** عاش في مدينة هيبون، عنابة حاليا، في فترة الحكم الروماني، وفي مواعظه كان يستعمل بعض الألفاظ الفينيقية. فقد ظلت اللغة الفينيقية متداولة بين سكان شمال إفريقيا حتى القرن الخامس الميلادي. (أنظر سباتينو موسكاتي، " **<u>الحضارة الفينيقية</u>** "، ترجمة نهاد خياطة، ط 1، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 1998، ص، 18).

[2]- سباتينو موسكاتي، " **<u>الحضارة الفينيقية</u>** "، ص 18.

[3]- أبو المحاسن عصفور، " **<u>المدن الفينيقية</u>** "، (دار النهضة العربية)، ص 13.

[4]- V. Berard, op.cit, P 350.

[5]- فيليب حتي، " **<u>تاريخ لبنان</u>** "، ص 83.

[6]- محمد حسين فنظر، **<u>الفينيقيون نباة المستقبل</u>** (تونس، 1988)، ص ص 29-30

[**] للمزيد أنظر Mhamed, H. Fantar, Dans le sillage des phéniciens, (Le courrier de l'UNESCO, 36 années, 1983), P, 4

وهذه التسمية يعتقد البعض، أنها ليست مشتقة من اللغة الإغريقية، فقد توصل الباحث البريطاني **فنتريس** إلى فك رموز أقدم كتابة ميكينية وأشار إلى كلمة **Ponike** التي يقصد بها مادة حمراء، فتوجهت الأبحاث إلى لغات أخرى، وبالتحديد غلى اللغة الفينيقية، وهذا بالنظر إلى العلاقة بين اللفظ وتسمية الإغريق للفينيقيين، فقد قام باحث آخر مختص في الدراسات اللغوية **– مايكل آستور–** ببحث توصل من خلاله إلى نتيجة وهي أن هذه التسمية ترجع إلى مادة " فوه " السامية ، هذه التسمية التي تعني في المعاجم العربية، نبتة صيفية كانت معروفة في مناطق عديدة من بلاد الشرق، كسوريا، مصر وفلسطين، وهذا النوع من النباتات كانت معروفة بأنها أحد المصادر للصباغ الأحمر (1).

كما أشار " **بلين الأقدم** " **Pline L'Ancien** إلى نبتة معروفة بإسم " Herba **Phoeneci** " وقد تكون النبتة المقصودة (2).

إذا كانت التسمية الإغريقية أصلها من اللغة السامية، قد تكون إنتقلت كلمة فونكيس **Phonixes** بمعنى يقصد به اللون الأحمر. وهذا الرأي متفق عليه عند أغلب الباحثين الذين تناولوا دراسة الحضارة الفينيقية (3)، لكن الآراء ستختلف حول ماذا كان يقصد الإغريق باللون الأحمر، فقد يكون لون الأقمشة الأرجوانية (4)، أو أشجار النخيل، كما قد يكون له علاقة بطائر الفنيق، أو التجار الفينيقيين أنفسهم (5).

1–علاقة التسمية الإغريقية بالتجار الفينيقيين:

عرف الإغريق الفينيقيين عن طريق التجارة، فقد وصوا إلى بلاد الإغريق بواسطة سفنهم التجارية (6) ، وقد تكون التسمية الإغريقية، لها علاقة مباشرة بالتجار الفينيقي، فإذا أخذنا الصفة **Phoinos** المشتقة من اللفظة **Phoinios** الأكثر تداولا، والتي تعني في كثير

1- مسعود الخوند، " **الموسوعة التاريخية الجغرافية** "، ج 16، (لبنان، 2001)، ص ص، 57-58.

2- سباتينو موسكاتي، " **الحضارة الفينيقية** "، ص 18.

3- Isidore Levy, **« L'origine du Nom de la Phénicie »** Revue de la Philologie xxix, 1905, Paris, P 309.

4- Maurice Szvcer, **Les Phéniciennes et la Mer,** (D.H.A.), P , 08.

5- D.C.P.P., P , 353.

6- Toutain, « **L'économie Antique La Renaissance du Livre** », Paris, 1927, P, 89.

من الأحيان الأحمر لون الدم، بينه **Phoinik** لفظ مشتق من الصفة **Phonos** التي تعني أحمر مائل للسمرة، وهذا يعني أن تسمية الفينيقيين عند الإغريق تعني الرجال ذو البشرة الحمراء المائلة للسمرة [1]، وهذا اللون قد يكون ميزة التجار الفينيقيين الذين لفحتهم أشعة الشمس خلال رحلاتهم التجارية البحرية [2].

هذه الفرضية قد تكون من المحتمل صحيحة، مقارنة بتسمية أخرى أطلقها الإغريق على الإثيوبيين فهذه التسمية متعلقة عند الإغريق بلون بشرتهم فلفظ **Aithiopés** مفردها **Aitthiops** كلمة إغريقية تعني الرجال ذو الوجوه المحترقة أي السوداء [3]، وهذه الفرضية يؤكدها ويدافع عنها **P.Chantraine** خلال مؤلفه لذي خصصته لدراسة اللغة الإغريقية[4].

إذا كان الإغريق قد إعتادوا على نعت الشعوب حسب لون بشرتهم، فقد يكون الفينيقيين نعتوا بالشعب الأحمر [5]وقد استخدم هذه الإسم عند بعض الباحثين لقناعتهم بهذا الرأي [6].

إن خاصية نعت الشعوب وتصنيفهم حسب لون بشرتهم نجدها متداولة عند شعوب الحضارات القديمة، فقد ورد في أسفار العهد القديم أن الفرع الحامي متميز بلون بشرته السمراء، والفينيقيون حسب أسفار العهد القديم ينتسبون للفرع الحامي [*]. [7].

Maurice Sznycer, (D.H.A)., op.cit, P, 08. -[1]

[2]- السيد غلاب، المرجع السابق، ص 17.

Maurice Sznycer, Ibid. -[3]

P. Chantraine, **« Dictionnaire etymologique de la Lange Grecque »** les éditions Klinksieck, (Paris, 1977), P -[4]

V. Berard , op.cit, P 540. -[5]

G. Herm, **« Les Phéniciennes L'antique Royaume de la Pourpre** » Fayard, 1973, P, 101. -[6]

[*] – حسبما ورد في أسفار العهد القديم كان لنوح ثلاث أبناء سام، حام، ويافث، وقد نسب العبرانيون الكنعانيون إلى حام فيكون بذلك الفينيقيون من الفرع الحامي وبالتالي يستبعدونهم من الفرع السامي، لكن إذا إستندنا إلى لغة الكنعانيين السامية فلا مجال لنسبهم إلى الفرع الحامي، كما أن ربط الكنعانيين إلى الحاميين مما يجعلهم ينحدرون من نفس أصل المصريين وهذه مغالطة تاريخية، فرغم التشابه بين البشرة الحمراء للكنعانيين والبشرة السمراء للمصريين وهذا ليس دليل يستند إليه، كما أن هذه المغالطات تعود أساسا إلى العنصرية الدينية. (أنظر، الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين، 106، 15-19. خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص ص 200-203).

[7]– الكتاب المقدس، العهد القديم، سفرا لتكوين، 10، 6.

صنف كذلك المصريون القدماء البشر حسب لون بشرتهم، فالشعب الأحمر عندهم يضم الكنعانيين والمصريين وقد أطلقت عليهم تسمية روي التي تعني الشعب الأحمر، كما أطلقت تسميات أخرى، مثال: التمحو والتي تعني الشعب الأبيض ويضم الليبيون، وتسمية هلاسيو التي تعني الشعب الأسود ويضم الإفريقيون [1].

2-علاقة التسمية الإغريقية بالأقمشة الأرجوانية:

المتفق عليه من خلال ماسبق ذكره، أن اللفظ الإغريقي **Phoinos** يدل على اللون الأحمر [2]، وقد يكون هذا اللون خاص بالأقمشة المصبوغة باللون الأرجواني التي إختص الفينيقيون بصناعتها [3]، وقد يكون لون لباس التجار الفينقيين الأثرياء. كما قد يكون اللون المميز لأشرعة سفنهم التجارية فقد تكون مصبوغة باللون الأحمر [4] والأكيد أن اللون الأحمر القاني كان لون الأقمشة الأرجوانية التي إحتكر الفينيقيون تجارتها، خاصة وأن هذا النوع من الأقمشة كانت له ميزته الخاصة من حيث اللون، والمتميز كذلك بثمنه الباهظ [5].

3-علاقة التسمية بطائر الفنيق:

عرف القدماء طائر الفنيق **Phoinix** الأسطوري، المشتقة تسميته من اللفظ الإغريقي **Phoinos** والتي تعني اللون الأحمر [6]، وهذا اللون المميز لجناحي الطائر الأسطوري [7].

ظاهريا ما يجمع طائر الفنيق والفينيقيين اللون الأحمر المشتق من نفس جذر اللفظ **Phoinos** في اللغة الإغريقية، لكن قد تكون العلاقة معنوية أكثر منها لغوية [8]، وهذا رغم تشابه أصل التسميتان في اللغة الإغريقية طائر الفنيق الأسطوري يجسد فكرة الإنبعاث

1- خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 207.

2- Maurice Sznycer, (D.H.A)., op.cit, P 08.

3- V. Berard, op.cit, PP 35-36.

4- خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 210.

5- Pline, l'ancien, Histoire naturelle, bra, Ajarson, (Paris), IX, 2 X..

6- D.C.P.P., P, 353.

7- Hérodote, Histoire, trd, Larcher, (Paris 1892), II, 73

8- V. Berard, op.cit, PP , 35.

الدائم، وهذا ما يقارب ماورد في الأساطير المصرية حول – بنو– **Le Bonon** الذي يجسد فكرة الإنبعاث الدائم حيث يذكر أنه يحمل الشمس عند مطلعها بمخالبه من الشرق إلى إتجاه الغرب، فيختفي أو يموت، لينبعث مرة أخر في اليوم الموالي، وهو يحمل الشمس معه عند شروقها [1]، ووجه الشبه فيما ذكره هيرودوت أن طائر الفنيق كان يظهر من المكان الذي تشرق منه الشمس كل خمس مائة سنة [2].

قد يكون وجه الشبه بين طائر الفنيق والتجار الفينيقيون القادمين من الشرق بسفنهم بذات الأشرعة الحمراء، خاصة وأن الرحلات التجارية كانت منظمة في مواسم معينة. فربما ربط الإغريق قدومهم من الشرق. ومصاحبتهم للشمس منذ شروقها إلى غروبها كطائر الفنيق[3].

4- علاقة التسمية بأشجار النخيل:

اشتقت تسمية النخيل من اللفظ Phoenix، فهو وبذلك يكون له علاقة باللفظ Phoinos ويعني اللون الأحمر [4]، الذي يميز لون ثمار أشجار النخيل– التمر– المتميز بلونه الأحمر الضارب إلى السمرة. وهذا قد يتطابق مع التسمية الإغريقية [5].

لكن هنا يطرح التساؤل عن العلاقة الموجودة بين تمار أشجار النخيل والتجار الفينيقيين وبغض النظر عن التشابه الظاهري في الأسماء.

لقد تاجر الفينيقيون بمنتوجات مختلفة، منها المنتوجات الزراعية كالتمور ونبيذها، فربط الإغريق بين هذه السلعة والتجار الفينيقيين الذين أوصلوها إلى بلاد الإغريق التي تفتقر إلى هذا النوع من المنتوجات التي ميزت مناطق كثيرة في الشرق، وربما كان في إعتقاد

1- خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص ص 203-206.

2- Hérodote, II, 73.

3- Jean Hubaux, Maxime Leroy, « **Le Mythe du Phénix dans les littératures Grecque et Latine** » Paris, 1939, P 07.

4- جورج كونتنو، " **الحضارة الفينيقية** "، ص 436.

5- V. Berard, op.cit, P 35.

الإغريق أن النخيل أشجار تنمو على الساحل الفينيقي فأطلقوا عليها بلاد النخيل باللغة الإغريقية أي فينقي وسيعرف فيما بعد تجارها بالفينيقي [1].

إن صح هذا الرأي فبلاد الفينيقيين كانت عند الإغريق بلاد النخيل [2] ، ولكن في الحقيقة أن المنطقة لم تكن موقعا ملائما لهذا النوع من الأشجار التي تحتاج إلى شروط طبيعية لنموها. فدرجة الحرارة الملائمة لنضج الثمار تكون مرتفعة، وهذه يوفره المناخ المتوسطي والحقيقة التاريخية وكم اهو معروف أن التجار الفينيقيين كانوا قد تاجروا بسلع مختلفة لم تكن كلها مصدرها الساحل الفينيقي.

فأشجار النخيل كانت تنمو بكثرة في المناطق الجنوبية المتميزة بمناخها وتربتها الملائمة لنمو النخيل [3].

لقد تعددت الآراء حول تفسير التسمية الإغريقية للفينيقيين، لكن كل الآراء لها علاقة مباشرة بالتجارة ومن تاجر به الفينيقيون، خاصة وأن العلاقة التي ربطت الإغريق والفينيقيين كانت علاقة تجارة.

لكن بالرجوع إلى اللغة العربية هناك ما يؤكد أن التسمية لها علاقة بالتجارة، فبعض اللغويين العرب، يذهبون إلى أن الفينيقيون تسمية لها أصولها الشرقية، ففي اللغة السريانية ورد فعل فنق بمعنى نقم، رفّه، وهذا ما نجده في اللغة العربية فنق يعني نعم، وعيش مفانق عيش ناعم ورغيد، والجواري الفنق تعني الجواري الناعمات [4].

Dictionnaire de la Bible, T5, Librairie Lestouzy et ané (1922-1928), P 230.-[1]

Isodore Lévy, op.cit, P 3090.-[2]

V. Berard, op.cit, P P 32-33.-[3]

[4]- فاطمة جود الله، " **سوريا نبع الحضارات، تاريخ وجغرافية أهم المواقع الأثرية** "، (دار الحصاد ودار الحكمة، سوريا، ط III، 2009)، ص 94.

إضافة إلى كل ما سبق ذكره، فتسمية فنيق معروفة عند الفينيقيين ف: فنيق إسم ابن الملك أحينور الفينيقي المذكور في أسطورة كادموس [1] وليس من الغريب أن نجد أسماء وألفاظ سامية في اللغة الإغريقية فقد كانت نتيجة للعلاقات بين الحضارات [2].

المبحث الثالث: وضعية الفينيقيين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط:

لقد توسطت الحضارة الفينيقية حضارات البحر المتوسط المتميزة بثقافات شعوبها المتباينة، في بعض الأحيان، فقد إختلفت المظهر الحضارية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، من الناحية الفكرية والمادية.

وهكذا سيجد الفينيقيون أنفسهم وسط حضارات سيكون لها تأثيراتها الإيجابية والسلبية [3].

المطلب الأول: موقع فينقيا بين حضارات البحر المتوسط:

تميز الجوار الحضاري للحضارة الفينيقية، بتنوعه الحضاري، فمن حظ الفينيقيين أنهم جاوروا أقدم حضارات الشرق، ففي الناحية الجنوبية الغربية تقع الحضارة المصرية **(أنظر الخريطة رقم 01)**، التي تعود نشأتها إلى حوالي الألف الرابع قبل الميلاد [4].

ولا يتسع المجال لذكر منجزات الحضارة المصرية التي سبقت الحضارة الفينيقية بآلاف السنين، وسيعرف الفينيقيون كيف يستفيدون منها، من خلال العلاقات التجارية الدينية والعسكرية التي ربطت الحضارتين لفترات زمنية طويلة، هذه العلاقة التي تشهد عليها الآثار المادية والمدونة والتي ستأتي على ذكرها لاحقا [5].

1- جان مازيل، " **تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية** "، ترجمة ربا الخشن، ط I ، (دار الحواء للنشر والتوزيع، سوريا، 1998)، ص

2- رشا فاروق السيد محمد، " **المدخل إلى تاريخ سوريا القديم** "، (دار المعرفة الجامعية، مصر، 2015)، ص 49.

3- هديب غزالة، " **الصلات السياسية والحضارية بين بلاد الرافدين وبلاد الشام في العصور القديمة** "، (دار الهدى، سوريا، ط I ، 2009)، ص ص 60-61.

4- Stierlin, « **L e Monde des Pharaons** » Switzer Lande, 1978, P 28-29.

5- محمد الخطيب، " **الحضارة الفينيقية** "، (دار علاء الدين، سوريا، 2007)، ص 40.

جاورت الحضارة الفينيقية، حضارة بلاد الرافدين من الناحية الشرقية، وقد ربطت بين الحضارتين علاقات خاصة في الفترة الآشورية. وقد كانت في أغلب الفترات متوترة، بحكم أن الآشوريين كانوا يقومون بحملات على بعض مدن الساحل الفينيقي، كصور **Tyr**، صيدا**Sidon**، وهذه الحملات العسكرية كانت تنتهي في أغلب الأحيان بفرض الجزية [1]. أما من الناحية الشمالية الشرقية فقد جاورت الحضارة الفينيقية الآموريين والميتاني. وفي الناحية الشمالية فقد جاورت بلاد الحيثيين في آسيا الصغرى [2].

ومن الناحية الغربية فقد قابلت الحضارة الفينيقية جزر البحر المتوسط التي وصلت هي الأخرى غلى تطور حضاري بلغت ذروته خلال القرن الثامن عشر قبل الميلاد. **(أنظر الخريطة رقم01)** [3].

كما جاورت الحضارة الفينيقية الآراميين في سوريا الداخلية والعبرانيين والفلسطينيين **(أنظر الخريطة رقم01)** [4].

لقد كانت فينقيا مطمعا للحضارات القوية كمصر وبلاد الرافدين والحيثين فقد كانت معبرا للغزاة الأسيويون القادمون إلى وادي النيل، كما كانت المطاف الذي ينتهي إليه المصرين عند طرد الغزاة من أراضيهم [5] كطردهم للغزاة الهكسوس.

المطلب الثاني: تأثير الأوضاع السياسية على نشاط الفينيقيين:

خلال الفترة المحددة ما بين نهاية الآلف الثانية وبداية الألف الأولى قبل الميلاد، تميزت منطقة الحوض الشرقي للبحر الموسط، بأوضاع سياسية وأحداث تاريخية كان لها أثر واضح على الأوضاع السياسية والاجتماعية وخاصة الاقتصادية في الساحل الفينيقي.

---

[1]- وليام لانجر، " **موسوعة تاريخ العالم** "، ج I ، ترجمة محمد مصطفى زيادة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ط 3، ص 75.

[2]- محمد الخطيب، المرجع السابق، ص ص 44–45.

[3]- السيد غلاب، المرجع السابق، ص ص 173-180.

[4]- محمد الخطيب، نفسه، ص 46.

[5]- رشا فاروق السيد محمد، المرجع السابق، ص 38.

بالنظر إلى موقع الحضارة الفينيقية الاستراتيجي، حيث يتميز بوقوعه في ملتقى الحضارات، والطرق التجارية التي تربط بين ثلاث قارات يتوسطها البحر المتوسط، وهذا ما جعلها تتأثر بالأوضاع العامة في المنطقة، فلم تكن الحضارة الفينيقية بعيدة عما يحدث في المنطقة [1].

لقد تميزت الأوضاع السياسية الداخلية لفينيقيا بالتجزؤ كونها لم تعرف الوحدة السياسية في دولة واحدة قوية مقارنة بالحضارات الأخرى، وهذا نظرا للظروف الطبيعية التي جزأت فينيقيا سياسيا، فقد فرضت نظام الدولة المدينة المعروف في فينقيا [2].

أمام ما كانت تسعى إليه الحضارات المجاورة من سيطرة وتوسع، والتحكم في الثروات خاصة الأخشاب، المتوفرة في المنطقة دون سواها [3].

كانت المدن الفينيقية خاصة، صور، صيدا، جبيل التي تعرضت في كثير من الفترات إلى السيطرة الخارجية والتوسع على حسابها، خاصة من الناحية الجنوبية الغربية، فقد تركت فيها أقوى حضارة في المنطقة وهي الحضارة المصرية، ففي كثير من الفترات وقعت أجزاء من الساحل الفينيقي تحت النفوذ المصري [4].

كما هو الحال من الناحية الشرقية التي تعددت منها الحملات الآشورية حيث كانت تتوسع على حساب المدن الفينيقية، والتي كانت تنتهي في أغلب الأحيان بدفع الجزية [5].

أمام هذا التنافس المتعدد الأهداف كان خيار الفينيقيين ركوب البحر والخروج من دائرة الصراعات والتنافس، خاصة وأن الفينيقيين قد عرف عنهم أنهم شعب مسالم.

---

[1]- السيد غلاب، ال مرجع السابق، ص ص 46-47.

[2]- G. Herm , op.cit, PP, 77-83.

[3]- كارلهانيز برنر هردت، المرجع السابق، ص ص 34-39.

[4]- نفسه.

[5]- محمد الخطيب المرجع السابق، ص 45.

خـلال هـذه الفتـرة المتميـزة مـن تـاريخ الحضـارة الفينيقيـة (1200 ق.م– 332 ق.م) ومـا حـدث فيهـا مـن تغيـرات سـاهمت أهـم التغيـرات السياسـية فـي التوجـه للقيـام بنشـاطات إقتصـادية، خـارج السـاحل الفينيقـي، فقد توجهوا للملاحـة والتجـارة البحريـة، بدايـة فـي الحـوض الشرقي للبحـر المتوسط، ثم توسعوا إلـى أبعد من ذلك فـي الحـوض الغربـي للبحـر المتوسط، خاصـة بعد سقوط البحريـة الايجبية، فقد عرف الفينيقيون كيف يستغلون هذا الحـدث التـاريخي الذي أحدث تغيرات في المنطقة، وسنأتي على ذكرها في الفصل الخاص بالتجارة [1].

عاش الفينيقيون في الموقـع السـابق الـذكر وإنطلقوا منـه إلـى منـاطق منتشـرة فـي البحـر المتوسـط بحوضـيه الشـرقي والغربـي لأسـباب إقتصـادية وبالتـالي يمكـن إلحـاق هـذه المواقـع التي كان بعضـها مدنا إستقر فيها الفينيقيون وقاموا فيها بنشاطات مختلفة.

[1]- جورج سارتون، " **تاريخ العلم** "، ج 1، ترجمة محمد خلف الله مصطفى الأمين وآخرون، ط 3، دار المعارف، مصر، 1976، ص 240.

الباب الأول

الزراعة والصناعات الحرفية

الفصل الأول:

الزراعـــة

المبحث الأول: مقوّمات الزراعة في فينقيا:

تعد الزراعة من أهم وأول النشاطات التي مارسها الفينيقيون، فرغم أن الأراضي الصالحة للزراعة محدودة المساحة [1]. أكدت المصادر الاهتمام بالزراعة حتى خارج الساحل الفينيقي فأينما حلّ الفينيقيون أو إستقروا قاموا بالزراعة وهذا ما نستخلصه من خلال ما ذكره هيرودوت "... وكلما حل الخريف ألقوا مراسيمهم وبذروا الأرض في أي مكان... يكونون فيه ثم ينتظرون وقت الحصاد إذا حصدوا الزرع أبحروا...." [2].

المطلب الأول: التربة:

تتميز التربة في الساحل الفينيقي بالخصوبة، رغم قلّة مساحتها وهذا نظرا لضيق مساحة الساحل الفينيقي [3]، كما أثر على إتساع الأرض الزراعية توزيع المرتفعات الجبلية التي تتخلل الساحل الفينيقي في عدّة مناطق، لكن هذا العامل الطبيعي لم يؤثر على إستغلال المزارع الفينيقي لكل مساحة صالحة للزراعة، كما أنّه بذل جهدًا في توسيع المساحة الزراعية، باللّجوء إلى وضع مدرجات على سفوح الجبال، فلم يكن بإمكانه استغلال الأرض بشكلها الطبيعي، خاصة أمام خطر الإنجراف والتآكل بسبب الأمطار والسيول.

لقد عرف المزارع كيف يستفيد من التربة الخصبة لكل سفوح الجبال خاصة بعد وضع المدرجات، التي خصصت أراضيها لزراعة الحدائق الكروم ومنتجات مختلفة، وهذا ما تؤكده بعض المصادر، وقد ورد في نقش على جدران معبد الكزك، يعود إلى عهد تحتمس الثالث الذي قام بغزو جزء من الساحل الفينيقي خلال القرن 14 قبل الميلاد، فمن خلال النقش ظهر مشهد لثمار كالعنب والرمان [4].

---

[1] – سباتينو موسكاتي، " **الحضارة الفينيقية** "، ص 23.

[2] – Hérodote IV, 42.

[3] – ميخائيل إبراهيم، " **مصر والشرق الأدنى القديم** "، الجزء الثالث، الطبعة الثانية، (دار المعارف)، ص 48.

[4] – جورج كونتو، " **الحضارة الفينيقية** "، ص ص 35-36.

المطلب الثاني: المياه:

يقع الساحل الفينيقي في إقليم البحر المتوسط، المتميز بفصوله الأربعة وكل فصل له ميزته الخاصة من حيث التساقط، ففصل الشتاء فصل الأمطار والثلوج، أما باقي الفصول تقل وتتوقف فيها نزول الأمطار خاصة خلال الفترة الممتدة من شهر ماي إلى شهر أكتوبر.

إستغل المزارع الفينيقي مياه الأمطار خلال فصل التساقط، كما أنّه استغل مياه الينابيع والأودية. في الفصول الأخرى، فمدّه الجفاف نسبته تعد أقل من وقتنا الحالي في المجاري المائية ولاستغلال هذه المياه وضع الفينيقيون نظاما للري بالقنوات. خلال فصل الجفاف وقلّة المياه، كما أن المزارع الفينيقي أحدث نظام التناوب السنوي، حيث تزرع الأرض سنة وتترك سنة أخرى دون زراعة، والهدف منه ليس لتفادي موسم الجفاف، فقط لكن هذا النظام يعمل على عدم إفقار التربة لتعطي منتوجًا أوفر.

ويكون بذلك الفينيقيون قد كيفوا زراعتهم بحيث أصبحت زراعة بعلية، فالإله بعل كان إله الخصب والمطر[1].

المطلب الثالث: المناخ:

يتميز الساحل الفينيقي بوقوعه في إقليم البحر المتوسط، المتميز بمناخه خلاله الفصول الأربعة، فالمناخ المتوسط معتدل، ففصل الشتاء ممطر، أما فصل الصيف فحار ورطب [2].

أما المناطق الجبلية فالشتاء يتميز بالبرودة وتساقط الثلوج، هذه الأخيرة التي تبقى متراكم حتى فصل الصيف فتضمن بذلك إستمرار جريان المياه في بعض الأنهار والأودية، أما فصل الصيف في هذه المناطق فيتسم بدرجات الحرارة المعتدلة بدون رطوبة [3].

---

1 – فيليب حتي، "تاريخ لبنان"، ص 122.

2 – D.C.P.P., P, 350.

3 – Ibid.

بالنسبة لسقوط الأمطار كان متفاوتا نسبيًا، ففي المناطق الشمالية الشرقية الأمطار قليلة، بسبب سلسلة الجبال الغربية التي تمنع وصول الأمطار.

لقد كان للساحل الفينيقي خصائصًا طبيعية منفردة، وهذه الخصائص مرتبطة بالموقع، المناخ والتربة، فإقليم الساحل الفينيقي إقليم متباين وهذا يظهر من تنوع الغطاء النباتي في المنطقة، فالغطاء النباتي في المناطق الساحلية نجده يختلف من الغطاء النباتي في المناطق الجبلية والسفوح، وهذا لا نجده حتى في المناطق الخصبة المجاورة كمصر وبلاد الرافدين، ففينيقيا تتميز بإلتقاء السهل بالجبل والاقتراب من البحر [1].

المبحث الثاني: أدوات الزراعة عند الفينيقيين:

لقد استخدم المزارع الفينيقي وسائل وأدوات زراعية مختلفة، حيث تنوّعت حسب المراحل المختلفة من الدورة الزراعية، وقد وجدت العديد من أدوات الزراعة في عدّة مواقع أثرية على إمتداد الساحل الفينيقي، أهمها بقايا الأدوات التي وجدت في كل من بيت مرسيم التي تعود إلى حوالي ما بين 1500-1300 [2] قبل الميلاد، بالإضافة إلى بقايا الأدوات التي وجدت في مدينة أوغاريت [*]، فقد عثر على مجموعة من الأدوات في بيت كبير الكهنة قدر عددها بـ 74 أداة [3].

الأدوات التي عثر عليها في مدينة أوغاريت مصنوعة من معدن البرونز، وهي متنوعة، حيث عثر على مجموعة من السيوف، نهايات الرماح، سهام، معاول، فؤوس ومناجل،

---

[1] – السيد غلاب، المرجع السابق، ص 118.

[2] – فيليب حتي، "**تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**"، الجزء الأول، ص 93.

[*] – **أوغاريت** مدينة تعرف حاليا برأس الشمر، كانت خلال القرن 14 ق.م مملكة صغيرة مستقلة تمتد أراضيها في المنطقة الساحلية والمرتفعات المجاورة حتى غربي سهل الغاب ومدينة جسر الشفور، تميزت أوغاريت بموقعها الجغرافي، وحركتها التجارية البحرية، وموانئها، تقدمه أهم الممالك الكنعانية الشمالية التي كانت لها علاقة متميزة مع مصر.

أنظر فاروق إسماعيل، "**مراسلات العمارنة الدولية، وثائق مسمارية من القرن 14 ق.م**"، الطبعة الأولى، إنانا للطباعة والنشر، دمشق، 2010). ص ص 47-48.

[3] – أياد عبد الله يونس، "**الحياة الاقتصادية في أوغاريت في القرنين 13-14 ق.م**"إشراف أحمد حامدة، جامعة دمشق، 2000، ص 182.

بعض الفؤوس تظهر عليها كتابة **RBHM** والتي ترجمت بمعنى الكاهن الأعلى، وكتابة أخرى **HRSNRBKHMN** ترجمت بمعنى معول الكاهن الأعلى، وهذا ربما يدل على وجود طقوس دينية مرتبطة بالزراعة وبموسم الحرث على وجه الخصوص.

وعلى الأرجح أن الكاهن بإعتباره المشرف على المعبد كان يقيم شعائر الحراثة بنفسه معلنا بذلك بداية العمل في الحقول الزراعية [1].

المطلب الأول: المحراث:

استخدم المزارع الفينقي المحراث الخشبي كوسيلة لتقليب التربة [2]، أو خدشها حسب ما ذكر في ملحمة البعل [*] عندما قامت عناة بخدش وجهها عندما سمعت بموت بعل في تشبه ورد كما يلي:

بلغ النعي مسامع عناة

راحت تفتش عنه في كل مكان

طافت الجبال، هامت على وجه العراء

خدشت وجهها، أدمت ذراعيها

جرحت صدرها كما يجرح الفلاح

بالمحراث أثلام حقله [3].

لقد دلت النصوص الأدبية القليلة على إستخدام المزارع الفينيقي للمحراث كما أكدت الآثار المادية ذلك، فقد استخدم الفينيقيون أداة للحرث أكمل وأمتن من المستخدمة في وقتنا الحالي والمحراث البدائي يشبه المحراث المستخدم في مناطق بالهلال الخصيب حاليا [4].

---

[1] – أياد عبد الله يونس، المرجع السابق، ص، 182.

[2] –Ernest Renan, « **Mission de Phénicie** » Imprimerie Imperial, 1982, P, 33.

[*] – **تعد ملحمة البعل،** ملحمة تمثيلية أظهرت تعاقب الفصول الأربعة، وعلاقة الآلهة بهذا التعاقب، وأثرها في الحياة الزراعية.

[3] – أنيس فريحة، " **ملاحم وأساطير من الأدب السامي** "، الطبعة الثانية، دار النهضة للنشر، 1997، ص 142.

[4] – جورج كونتو، " **الحضارة الفينيقية** "، ص 342.

إستنادا إلى المصادر الأثرية المادية الأشورية، قد يكون المزارع الفينيقي استخدم نفس محراث سكان بلاد الرافدين [1].

كما أن المحراث المستخدم في المناطق الجنوبية من الساحل الفينيقي قد يكون أدخل من مصر نظرا لوجود التشابه الكبير[2] فقواعد وأساليب الزراعة متشابهة في أغلب مناطق حضارات الشرق باستثناء مصر [3].

يتألف المحراث البدائي، عادة من عدّة قطع مصنوعة من الأخشاب مجموعة ببعض إلى بعض بأربطة، ومن المحتمل أن الفينيقيين قاموا بتطوير المحراث بالإضافة إلى قطعة خشب عمودية واسعة، فحسب بعض النصوص، عمود الخشب كان عبارة عن ماسورة جوفاء تنتهي بوعاء توضع فيه البذور،وبذلك يكون المزارع الفينيقي قد استخدم المحراث لغرضين[4] الغرض الأول كان تقليب التربة للحصول على أثلام [5]، والغرض الثاني كان للبذر بطريقة آلية [6]، وهذه الطريقة الآلية للبذر،تعتبر الطريقة المثالية لزراعة الحبوب كالقمح والشعير[7].

كان المحراث عادة يجر بإستخدام قوة الإنسان، فقد كان المزارع يعتمد على قوته البدنية في عملية الزرع والحرث، كما استخدم قوة الحيوانات خاصة في جرّ المحراث [8].

المطلب الثاني: المنجل:

استخدم المزارع الفينيقي المنجل كأداة للحصاد [9]، فقد إهتم الفينيقيون بزراعة أنواع مختلفة من الحبوب في المناطق السهلية [10] كالقمح والشعير [11] وقد دلت الآثار المادية على

---

[1] – مسعود الخوند، "' **الموسوعة التاريخية الجغرافية** "، ص، 58.

[2] – فيليب حتي، " **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين** " الجزء الأول، ص 93.

[3] – فردريك معتوق، " **سوسيولوجيا الحضارة الكنعانية – الفينيقية** "، الطبعة الأولى، منتدى المعارف، سنة 2014، ص ص، 113–117.

[4] – جورج كونتو، " **الحضارة الفينيقية** "، ص 342.

[5] – أنيس فريحة، " **ملاحم وأساطير من الأدب السامي** "، ص 142.

[6] – فيليب حتي، " **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**، " الجزء الأول، ص 93.

[7] – فردريك معتوق، نفسه.

[8] – جورج كونتو، نفسه.

[9] – فيليب حتي، " **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**، " الجزء الأول، ص 93.

[10] – جورج كونتو، " **الحضارة الفينيقية** "، ص 342

[11] – فردريك معتوق، المرجع السابق، ص 18.

إستخدام المزارع الفينيقي لأداة المنجل، وهذا الأخير من أهم البقايا الأثرية التي وجدت في العديد من مناطق الساحل الفينيقي[1]، فقد عثر على مناجل مصنوعة من معدن البرونز والحديد[2].

استخدم المنجل في عملية الحصاد، التي كانت تتم في البداية بمنجل أسنانه من الصوان، ومقبضه قد يكون صنع من مادة قابلة للتلف مثل النظام أو الخشب، وقد استبدل هذا النوع من المناجل منذ حوالي 1000 قبل الميلاد بالمنجل المصنوع من مادة الحديد[3].

المطلب الثالث: المطاحن:

أدوات أخرى استخدمت في عملية درس الحبوب وطحنها، فقد كانت تتم عملية درس الحبوب بتخليص الحب من السنابل بالطريقة التقليدية المعروفة في مناطق عديدة في وقتنا الحالي، حيث يداس المحصول من الحبوب إستخدام أهم الحيوانات كالثيران، أو الخيل والبغال، فقد عُرف عن الفلاح أنّه اهتم بتربية هذا النوع من الحيوانات لاستخدامها في مجال الزراعة،وفي المرحلة النهائية تتم عملية تصفية الحبوب بمذراة كبيرة مصنوعة من الخشب.[4]

أما عملية طحن الحبوب، فقد كانت تتم بطريقة بدائية، حث استخدموا ما يشبه العجلة المصنوعة من الحجر[5]، بحيث تدور حول مدار فيسمح بطحن الحبوب. وهذه العملية تتم بالقوة العضلية للإنسان أو الحيوان، وتظهر هذه العملية من خلال مجسم يظهر فيه مزارعين وثورين أمام مدرس، (أنظر ملحق الصور، صورة رقم 01).

طريقة أخرى تتم بإستخدام مطاحن تتكون من جزئين من الحجر تنطبق الواحدة فوق الأخرى وهذا النوع من المطاحن مازال معروفا في وقتنا الحالي، كما وجدت نماذج أخرى من

[1] – أياد عبد الله يونس، المرجع السابق، ص 182.

[2] – مسعود الخوند، المرجع السابق، ص، 58.

[3] – فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص، 93.

[4] – نفسه.

[5] – نفسه.

المطاحن حيث صنعت من حجر مسامي على شكل لوحة يتم الدق عليها، كما وجدت نوع آخر من أحجار مهذبة في فينيقيا وخارجها، قد تكون استخدمت في عملية طحن الحبوب[1]. بالإضافة إلى المطحان المستخدمة لطحن الحبوب، استخدم الفينيقيون مطاحن من نوع آخر، خصصت لمنتوجات زراعية أخرى، كمعاصر العنب المستخدمة في صناعة النبيذ، ومعاصر الزيتون المستخدمة لإستخراج الزيت، يمكن أن نطلق على هذا النوع من المطاحن تسمية معاصر، لاستخدامها في عملية إستخراج السوائل.

المبحث الثالث: دورة الزراعة عند الفينيقيين:

إرتبطت الأساطير الدينية في مجتمعات الحضارات القديمة بمجالات مختلفة من الحياة، وعلى وجه الخصوص نشاط الزراعة، فالزراعة تمثل إستمرارية الحياة، من خلال الرمزية في الأحداث التي تميز الأساطير في أغلب الأحيان [2].

بالنسبة للأساطير الدينية الفينيقية الواردة في نصوص أوغاريت- نصوص رأس الشمرا- وبالتحديد في ملحمة بعل وموت، حيث تصور لنا هذه الملحمة مشاهد رمزية لفصول السنة المرتبطة بدورة الزراعة [3]، وفيما يلي مقتطفات من ملحمة بعل وموت:

" رسولا (موت) القوي، مفضَّل (إيل) إلى بعل.
لكي ينزل في حلقه، الذي هو كحلق أسد الصحراء
وشدق حصان البحر
يستجيب بعل لدعوة موت:
بعل يدخل في بطنه، ينزل في حلقه
عندما يحترق الزيتون نتاج الأرض وثماره الأشجار (...)

---

1 – جورج كونتو، " **الحضارة الفينيقية** "، ص 343.

2 – أياد عبد الله يونس، المرجع السابق، ص 187.

3 – قاسم الشواف، **الفينيقيون والألعاب الأولمبية، دور مدينة عمريت الفينيقية في نقل ممارسة المباريات الرياضية إلى اليونان**، دار علاء الدين، ط1، 2011، ص، 147.

(...)

" رسالة (بعل) الفائق القدرة، كلمة الأقوى به الأبطال

تحية لك أيها الإلهي (موت) تحية...

أنا عبد يا (موت) عبد إلى البد [1].

يظهر الإله بعدل إله الخصب والمطر عند الفينيقيين [*]، الذي لا يستطيع الظهور عند وجود الإله موت الذي يمثل إله الحصاد، فهو يرضى بذلك إلى فصل الصيف، فكان موت يدعو بعل للنزول في حقله، وأحشائه ليعود الخصب والحياة إلى الأرض، فينزل بعل بإرادته، عندها يعلن لإله موت بـ " أنا عبدك يا موت "، وهذا يدل على تضحيته من أجل إنبعاث الحياة مرة أخرى في فصل الربيع فصل الخصب والخضرة وهكذا يمثل الإله بعل دائما تجدد الحياة من خلال موت [2].

من خلال مشهد آخر من الملحمة تظهر الآلهة آنات التي تقوم بالهجوم على الإله موت، حيث تقوم بضربه بمنجل، فتجزؤه إلى جزئين وتقوم بحرق جسده، وتقوم أخيرا بحرقه، وطحنه بين حجرتين ضخمتين، وتلقي في النهاية برماده إلى العصافير التي تقتات عليه.

مشاهد الملحمة تظهر لنا أحداث تدور خلال فصول السنة المرتبطة، بدورة الزراعة وأهم مشهد يظهر لنا عملية الحصاد التي تتم بالمنجل، وفصل الحب وطحنه إلى غاية تأمين الغذاء للكائنات [3].

---

[1] – أنيبس فريحة، **نصوص رأس الشمرا، ملحمة بعل وموت** "، السطر 20 – 29.

[*] – إرتبطت الزراعة عند الفينيقيين بالإله بعل، فيقال زراعة بعلية، فالإله بعل هو الذي يرعاها، أنظر (فليب حتي، تاريخ لبنان، ص، 122).

[2] – قاسم الشواف، المرجع السابق، ص 22.

[3] – أياد عبد الله يونس، المرجع السابق، ص 187

المطلب الأول: إرتباط الزراعة بالحياة الدينية:

إرتبطت الزراعة في الحضارات القديمة، بالمعتقدات الدينية وهذا يمكن من خلال الطقوس الدينية التي كانت تقام، وهذا الأمر لا يختلف عما كانت عليه الحضارة الفينيقية في هذا المجال، فقد أظهرت البقايا الأثرية والمصادر المادية هذا الإرتباط.

1- تقديم النذور:

بالنسبة للبقايا الأثرية المادية التي تثبت وجود علاقة بين المعبد والزراعة نجد الريتونات، وهي أواني مصنوعة من الفخار ذات شكل جميل،كانت ستخدم لتقدم النذور في المعابد، وقد اتخذ معبد في مدينة أوغاريت باسم معبد الريتونات التي وجدت فيه ويرجح أن هذا النوع من الأواني كان مستوردا من قبرص التي إرتبطت بعلاقات تجارية مع مدينة أوغاريت[1]. والريتونات ذات شكل جميل قمعي كانت توضع فيها النذور من النباتات والسوائل من الزيت والخمر، والسبب في تقديم هذه النذور كان الهدف منه مباركة الآلهة للإنتاج الزراعي.

نوع آخر للأواني الفخارية يعرف بـ: الكيرنوي،يتميز هذا النوع من الأواني بساق تحمل العديد من الكويبات مخصصة لوضع منتوجات زراعية من الحبوب [2].

2- الطقوس والاحتفالات:

طقوس مختلفة كانت تقام في موسم حرث الأرض في فصل الخريف، أو خلال الحصاد خلال فصل الصيف، فقد أقام الفينيقيون طقوسا مختلفة يمكن أن نستخلص أهمها من خلال نصوص أوغاريت، بافتراض وجود إستمرارية بين الديانة في أوغاريت وبين الديانة في المدن الفينيقية [3].

---

[1] – محمود حمود، " الديانة السورية القديمة خلال عصر البرونز الحديث والحديد 1600-33 ق.م"، ص، 70.

[2] – أياد عبد الله يونس، المرجع السابق، ص 187.

[3] – محمد حرب فرزات، " الديانة الفينيقية وعناصر الميثولوجيا في حضارة سوريا القديمة "، مراجعة لمصادر دراستها وأهم ملامحها. دراسات تاريخية، العددان 40-42، أذار- حزيران 1992، ص 44.

من أهم الأساطير الفينيقية التي تصور لنا تمثيلية فصلية لإعادة الخصب والحياة إلى الأرض، أسطورة آقهات بن دانيال [1] (*)، هذا الأخير التي توفي إبنه آقهات فحل القحط ولم تنضج الثمار وذبلت سنابل القمح، وهذا ما نستخلصه مما يلي:

أثمار الصيف لن تنضج، سنابل القمح والذرة ستذبل [2]

كما ورد في موجز آخر يدل على القحط:

رأى ابنته فوغة قادمة من بعيد

لأنها رفعت عينيها إلى العلاء فرأت

....

لحظت أن الأهواء فرغت

الأخضر على وجه الأرضي يبس

السنابل و عرانيس الذرة ذبلت [3].

كما دلت الأسطورة على الجفاف الذي حلّ:

" لن يكون مطرا على الأرض، لن تنزل بواكير الأمطار على الأرض

لن يكون على عناقيد العنب ندى

سبع سنوات يحبس البعل أمطاره

راكب السحب ميازيبه

لن تنفتح طاقات الغمرين

من يسمع صوت الرعد [4]

---

[1] – أنيس فريحة، " **ملاحم وأساطير من أوغاريت (رأس الشمرا)** "، بيروت، 1966، ص 22.

(*) – **دانيال** من أهم الشخصيات الواردة من الأساطير الفينيقية، كان له ابنة إسمها فوغة، لكنه كان يتمنى إبنا، فولدت له إبنه آقهات، فقتل فتصاب الأرض بالقحط والجفاف. (**أنظر** أنيس فريحة)، ص ص 78-81.

[2] – أنيس فريحة، " **ملاحم وأساطير من الأدب السامي** "، ص 176.

[3] – نفسه.

[4] – نفسه.

من خلال أسطورة آقهات بن دانيا تظهر عملية الحصاد، التي يعتقد أن الفينيقيين قد عرفوها منذ أقدم الأزمنة [1]. من أهم الأساطير الفينيقية التي أظهرت إهتمام الفينيقيين بزراعة الكروم أسطورة مولد السحر أو الغسق[*]، وهذه الأسطورة تعد تمثيلية فصلية كان يقوم بها الفينيقيون خلال موسم تقليم الكرم، أو عند القيام بجمع المحصول من العنب [2].

المبحث الرابع: المحاصيل الزراعية:

تنوعت المحاصيل الزراعية في فينيقيا، وهذا التنوع مرتبط أساسا بالموقع، المناخ، نوعية التربة، فإقليم الساحل الفينيقي يعد منطقة إلتقاء بين إقليمين متباينين، هما إقليم البحر المتوسط والمنطقة الشمالية والغربية، وإقليم الصحراء في الجنوب، إضافة إلى وجود إقليم خاص بالمناطق الجبلية [3].

نجد أن إقليم الساحل الفينيقي إقليم يلتقي فيه السهل بالجبل، ويقترب هذا الأخير من البحر، وهذه الخصائص الطبيعية المنفردة جعلت من فينيقيا منطقة تنفرد بتنوع منتوجاتها الزراعية وغطائها النباتي.

تشهد المصادر الأدبية على تنوع المحاصيل الزراعية في فينيقيا، ففي عدّة نصوص مصرية يظهر إنبهار المصريين بغنى فينيقيا، فقد جاء ذكر في بعض النصوص أن الإقليم إقليم حدائق ممتلئة بالفواكه وأن النبيذ يجري من المعاصر جريان الماء وأن القمح بأرضها أكثر من حبات الرمل الساحل البري [4].

نستخلص من نصوص أخرى أن الأراضي الزراعية في فينيقيا كانت ملائمة لمزروعات مختلفة، وهذا من خلال ما ورد في قصة سنوحي [*] عندما نزل في أرض فينيقيا فعرض

---

1 – أنيس فريحة، " **نصوص رأس الشمرا** "، ص ص 78-81.

* – أطلق على هذه الأسطورة شارل فيرولو **Charles Vereland** تسمية أخرى **Dieux Gracieux et Beaux.**

2 – أنيس فريحة، نفسه.

3 – السيد غلاب، المرجع السابق، ص 118.

4 – D.C.P.P., P 09.

* – **سنوحي** أحد الأمراء المصريين، عندما وصل سنوسرت الأول للحكم فر من مصر، توجه إلى فينيقيا وأقام في سهل البقاع، عندما تقدم في السن عاد إلى مصر وكتب مذكراته بأسلوب شعري. (**أنظر** فيليب حتي، " **تاريخ لبنان** ")، ص ص 88-99.

عليه أحد الأمراء قطعة ارض هذا ووصفها: "... إذن سأقطعك ما تشاء من أرضي... ليس في القطر أحسن منها في نجادها ما شئت من كروم وهادها تفيض ماءًا وخمرًا، وزيتها وافر، وعسلها غزير وفيها من لك الثمار وبها من حقول البر والشعير ما لا يبلغ مداه البصر..[1].

تنوعت المحاصيل الزراعية، فنجد أهمها الحبوب، التي نجدها متنوعة، كالقمح والشعير والحنطة [2]، وإزدهار هذا النوع من الزراعة مرتبط بملائمة إقليم البحر المتوسط مع الدورة النباتية لهذه المحاصيل، فالبذور تنمو بفضل أمطار فصلي الخريف والشتاء، وتنضج مع إرتفاع درجة الحرارة في نهاية فصل الربيع [3].

تعددت أنواع الأشجار المثمرة التي نذكر من أهمها أشجار الفواكه كالعنب، الرمان، التين، الجوز، اللوز [4]. وغيرها من الأنواع الأخرى، كما إهتموا بزراعة أشجار ا لزيتون ورعايتها، نظرا لقيمتها الاقتصادية [5].

كما إهتم المزارع الفينيقي بزراعة أنواع مختلفة من الخضر والبقوليات كالفاصولياء والفواكه[6].

المطلب الأول: الحبوب:

إهتم المزارع الفينيقي بزراع أنواع مختلفة من الحبوب، من أهمها القمح، ويعتبر من المزروعات في المنطقة حسب رأي أغلب الباحثين [7]، إضافة إلى إهتمام الفينيقيين بزراعة

---

[1] – **قصة سنوحي**، ترجمة محمد عوض محمد، الطبعة الثانية، دار المعارف، 1955، ص 132.

[2] – الكتاب المقدس، العهد القديم، التثنية، 8–8.

[3] – السيد غلاب، المرجع السابق، ص 121.

[4] – فيليب حتي، "**تاريخ لبنان**"، ص ص 41–42.

[5] – فريدريك معتوق، المرجع السابق، ص ص 124–125.

[6] – فيليب حتي، "**تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**"، الجزء الأول، ص 94.

[7] – السيد غلاب المرجع السابق، ص 121.

الشعير [1]. وقد إنتشرت زراعة الحبوب على نطاق واسع في المناطق السهلية الملائمة لزراعة الحبوب، بسهل أوغاريت، وسهل البقاع [2].

إهتم المزارع الفينيقي بزراعة أنواع مختلفة من الحبوب [3]، والقمح بصفة خاصة، فزراعة القمح لها أهميتها باعتباره مادة غذائية أساسية في المجتمع الفينيقي [4]، كذلك كان القمح منتوجا موجها للتصدير، فالقمح يتصدر قامة الصادرات الفينيقية إلى جانب الأخشاب والزيت [5]. وكان الفضل كبيرا للفينيقيين في نشر زراعته خارج الساحل الفينيقي [6].

المطلب الثاني: الأشجار المثمرة:

إهتم الفينيقيون بزراعة أنواع مختلفة من الأشجار المثمرة، فنجد من أ همها التفاح، الرمان، اللوز، والكروم وأشجار الزيتون [7]، وقد وجه المزارع الفينيقي إهتمامه البالغ لزراعة الكروم والزيتون نظرا لارتباط هذين النوعين بالتجارة، فالكروم كانت المصدر الأساسي لصناعة النبيذ الرائجة [8]، واشجار الزيتون المصدر الأساسي لاستخراج زيت الزيتون [9].

تعد زراعة أشجار الزيتون والكروم من أهم الزراعات التي منحها، الفينيقيون إهتمامهم البالغ، نظرا لإرتباطها بصناعة تحويلية، فأشجار الزيتون كانت مصدر لإستخراج زيت الزيتون، أما

---

1 – قصة سنوحي، المرجع السابق، ص 132.

2 – فريدريك معتوق، المرجع السابق، ص 130.

3 – Encyclopedia unerversalis, Corpus, 18, Paris, P 06.

4 – فريدريك معتوق، نفسه، ص 130.

5 – أحمد حامدة، " **التجارة الكنعانية – الفينيقية في البحر المتوسط** "، ص 64.

6 – فريدريك معتوق، المرجع السابق، نفسه.

7 – مسعود الخوند، المرجع السابق، ص 58.

8 – عبد الله مرعي، " **التجارة بين ماري ويمحاضن في القرن الثامن عشر قبل الميلاد** "، مجلة الدراسات التاريخية، العددان 67-68، كانون الثاني- حزيران، 1999، ص ص 06-07.

9 – جورج كونتو، " **الحضارة الفينيقية** "، ص 130.

الكروم فقد كانت المصدر الأساسي لصناعة النبيذ [1]، وكما هو مؤكد كانت الزيت والنبيذ من أهم السلع التي تاجر بها الفينيقيون في كامل أرجاء البحر المتوسط [2].

لم تكن الأنواع الأخرى من الأشجار المثمرة لها نفس الاهتمام، لكنها كانت من أشجار ا لبساتين التي إهتم الفينيقيون بها، فلا نجد مدينة من المدن الفينيقية تخلو من البساتين، كصور، صيدا، جبيل وأوغاريت وحتى قرطاجة في شمال إفريقيا [3].

فنجد أشجار اللوز التي كانت تزرع إلى جانب أشجار الزيتون، في الحقول البعلية، وأشجار التين هي الأخرى كانت لها مكانتها عند المزارعين الفينيقيين، فقد كانت ثمارها موجهة للاستهلاك المباشر، كما أنها كانت تجفف فتصبح مادة إستهلاكية يمكن تناولها على مدار السنة، فالتين المجفف إلى جانب التمر كان غذاء البحارة على متن سفنهم خلال رحلاتهم البحرية الطويلة [4].

1- أشجار الكروم:

الكروم من أهم أنواع الأشجار المثمرة التي تنمو في إقليم البحر المتوسط فهذا النوع من الأشجار من أقدم الأنواع.

وقد دلت المصدر الأدبية على وفرة أشجار الكروم في فينقيا، وهذا وصف لها من ملحة جلجامش [*]، الذي قد يكون مر بها خلال فصل نضج ثمارها:

وجد نفسه أمام (حديقة) أشجارها من حجر (كريم) فدنا لرؤيتها

كان شجر العقيق يحمل ثماره

عنبا مدلى فتنة للناظرين

1- فريدريك معتوق، المرجع السابق، ص 120.

2- أحمد حامدة، المرجع السابق، ص 64.

3- فريدريك معتوق، ن فسه، ص 116.

4- نفسه، ص ص 119-120.

* - جلجامش خلال رحلته من بلاد الرافدين كان قد مرّ ببلاد كنعان، التي تكثر فيها الأشجار كالآرز والكروم.

وشجر اللازورد يحمل (...)

ينوء بثمره فتنة للناظرين [1].

2- طريقة زراعة الكروم والعناية بها:

لا نجد مصادر فينيقية أو نصوص تشير إلى طرق زراعة الكروم أو العناية بها إلا ما ورد في نصوص رأس الشمرا التي وردت فيها بعض الطقوس المقامة خلال فصل تقليم الكروم أو قطف ثمارها عند نضجها. لذلك سنعتمد على ما ورد في كتاب ماغون **Magon** [*] الموسوعي بإعتباره من قرطاجة هذه المدينة أسسها الفينيقيون ونقلوا جميع معارفهم وخبراتهم في مجالات مختلفة لاسيما الزراعة، وخصوصا زراعة الأشجار- الكروم والزيتون.

وقد كان لهم الفضل في نقل طرق زراعتها والعناية بها أنحاء كثيرة من أرجاء البحر المتوسط.

وصلت إلينا بعض المقتطفات من مؤلفات ماغون **Magon** ، الخاصة بالزراعة وطرق العناية بالأشجار **Arboculture** وإدارة الأراضي الزراعية [2].

بالنسبة لزراعة الكروم ذكر ماغون **Magon** أنه على المزارع أن يزرع قدم النبتة عميقا في الأرض، حتى لا تصلها حرارة الشمس الخارقة لجذورها فتبقى ذلك محاطة بالرطوبة على عمق يتراوح مابين 40 إلى 50 سنتيمتر، كما أوصى ماغون **Magon** بوضع حجارة عدة حول جذورها قبل طمرها بالتراب حتى تستفيد من رطوبة الحجر في حالة الجفاف فوق

1- جلجامش، اللوح التاسع، العمود الخامس، السطر، 47-51.

* - **ماغون Magon** قائد عسكري قرطاجي ينتمي إلى الأسرة الحاكمة الماغونية، ألف كتابه الموسوعي خلال القرن 3 ق.م، يتكون مؤلفه من 28 كتابا، تناول فيه العديد من المعارف، كالطب البيطري، والزراعة، وهو المؤلف الوحيد الذي نجى بعد تدمير قرطاجة. فمجلسالرومان طلب الإحتفاظ بنسخة منه وترجمتها إلى اللغة اللاتينية، لإدراكهم لأهميته في مجالات مختلفة.

2- فريدريك معتوق، المرجع السابق، ص ص 117-118.

الأرض. وهنا نجد أن ماغون كان يدرك معلومات في مجال الفيزياء قد سبقت عصره، فنتيجة للخبرة والتجربة أدرك أن الحجارة تحافظ على الرطوبة وهذا بفضل نسبة الماء التي تقدر بـ 15% الموجودة في الحجارة [1].

أوصى كذلك ماغون بطمر الفجوة تدريجيا حتى تتوجه الجذور نحو الأعماق لتنفذ، كما نصح باللجوء إلى سماد حيواني ونباتي والمتمثل في عن قيد العنب المعصور وهي بذلك مواد عضوية ستضمن تغذية النبتة. وعملية الغرس تتم في فصل الخريف، أو في بداية فصل الشتاء، وتزرع في حقول تكون مفتوحة على الرياح الشمالية [2].

تستمر العناية بالنبتة المزرعة، حيث تكون تحت مراقبة المزارع الذي يقوم بطمر حفرتها تدريجيا، وتظهر نتائج جهده في فصل الربيع [3].

بالنسبة للشتلات التي كانت تغرس بالنسبة للكروم أو غيرها من الأنواع الأخرى من الأشجار، كنت الشتلات تنمو في المشاتل خلال فترة معينة، حتى تنقل إلى الحقول الملائمة لزراعتها، وهذا ما يؤكد إهتمام المزارع الفينيقي بإختيار ما كان يغرسه من الأشجار بعناية[4].

إضافة ما ذكره **ماغون Magon** في مؤلفه من معلومات وتوجيهات كان الفينيقيون يقومون بطقوس خلال مراحل من زرع الكروم، وهذا ما يمكن أن نستخلصه من خلال ملحمة الآلهة الرحيمة والوسيمة، التي تصور لنا من خلال مشاهدتها الإثنى عشر، نهاية السنوات السبع العجاف وبداية السنوات السبع السمان، أي نهاية الجفاف [5].

خلال هذه المشاهد تبدأ الآلهة بدعوة الملك والملكة لحضور الإحتفال فيقومون بطقوس إحتفالية، من بينها تقليم الكروم، التي ترمز إلى الموت وإنبعاث الحياة من جديد، كما كانوا

---

[1]- فريدريك معتوق، المرجع السابق، ص- ص، 117-118.

[2]- نفسه.

[3]- نفسه.

[4]- نفسه.

[5]- خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 259.

يقومون بصب نبيذ العنب، لإعتقادهم أنه ينهي حالة الجفاف، فبشكل رمزي صب النبيذ من الأعلى إلى الأسفل يمثل سقوط الأمطار من السماء إلى الأرض، وهذه الطقوس قد تدلنا على إرتباط نمو الكروم بالخصوبة والمادة (1).

3- صناعة النبيذ:

استخرج الفينيقيون النبيذ من ثمار العنب، التي إختصوا في زراعة كرومها، فالساحل الفينيقي ملائم لهذا النوع من الأشجار المثمرة، فكل منطقة كانت تختص في صناعة النبيذ من المنتوج المتوفر لها، ففي بلاد الرافدين البيئة الملائمة لزراعة النخيل إستخرجوا النبيذ من التمور (2)، أما المصريون فقد إهتموا بصناعة الجعة من القمح والشعير، فقد عاشوا في منطقة ازدهرت فيها زراعة الحبوب (3).

دلت المصادر المدونة والمتمثلة في نصوص رأس الشمرا، أن الفينيقيين قد عرفوا النبيذ منذ أقدم الأزمنة، وقد ذكر بلفظ دم الدالية، وهذا دليل على لون النبيذ الأحمر، حسبما ذكر في ملحمة البعل وعناة:

وبينما كانوا يشربون خمرا بالكبير

دم الدالية بكؤوس ذهبية

وبكؤوس فضية قدحا كبيرا بعد فتح (4).

كما دلت المصادر على الكميات الوافرة للنبيذ في فنيقيا، فحسبما ورد في قصة سنوحي كان النبيذ وافر مثل الماء:

1- خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص ص، 117-121.

2- George Conteneau , « **La vie Quotidienne A Babylone et en Assyrie** », Hachette , PP 78-81.

3- السيد غلاب، المرجع السابق، ص 435.

4- أنيس فريحة، **ملحمة البعل وعناة**، العمود الرابع، السطر، 15-18.

".... ليس في القطر أحسن منها في نجادها ما شئت من تين ومن كروم وهادها تفيض ماء وخمرا ....." [1].

إهتم الفينيقيون بصنع النبيذ، فقد تناولوا النبيذ خاصة الاحتفالات، كما أنه كان من المواد الأساسية التي تاجروا بها، لذلك كانت الصناعة التحويلية الأكثر إرتباطا بالزراعة.

كانت معاصر العنب إلى جانب معاصر الزيتون، حيث كان العاملون في معاصر العنب يقومون بهذه العملة خلال شهر سبتمبر، حيث تكون ثمار العنب قد تم نضجها، وكانت معاصر النبيذ تستخدم لنفس غرض ا لزيت، بعد غ سلها ولهذا السبب كانت معاصر النبيذ والزيت قريبة دائما من الأودية الأنهار أو الينابيع [2].

كانت عملية عصر النبيذ تتم بعد قطاف الثمار وجمعها، توضع داخل الأجران المصنوعة من الحجر، بعدها يتم إستخلاص العصير وتتم تعبئتها داخل أوعية، لتتم عملية تخميرها خلال فترة محددة، وكانت الأوعية تختم لتفادي تسرب الهواء [3].

والجدير بالذكر أن ثمار العنب المستخدمة، تكون طازجة، كما قد تكون مجففة فهذه الطريقة إستخدمها القرطاجيون [4] وقد تكون طريقة إستخدامها الفينيقيون والنتيجة قد تكون يتحصلوا على أذواق مختلفة.

4- أشجار الزيتون:

تعتبر أشجار الزيتون من أهم أنواع الأشجار المثمرة، التي تنمو في إقليم البحر المتوسط، والتي يعتبر إقليم الساحل الفينيقي جزء منه [5]، فالمصادر المدونة تشهد على غنى فينيقيا بأشجار الزيتون، أهم هذه المصادر نصوص أوغاريت- رأس الشمرا- وقد ورد ذكر زيت

1- قصة سنوحي، ص 132.

2- فريدريك معتوق، المرجع السابق، ص 127.

3- جورج كونتو، " **الحضارة الفينيقية** "، ص 343.

4- نفسه.

5- فيليب حتي، **تاريخ لبنان** "، ص 41.

الزيتــون فــي ملحمــة البعــل وعنــاة فــي كثيــر مــن المقــاطع، فكــل الزيــت المنتــوج في فينيقيا تقريبا مستخرج من شجرة الزيتون [1].

كما جاء ذكره لوفرة أشجار الزيتون إلى جانب أنواع أخرى من الأشجار المثمرة، فقد ورد ذكر فينيقيا في سفرا لتثنية على أنها أرض حنطة وشعير وكروم وتين ورمان وأرض زيت وعسل [2].

كذلك تشهد المصادر في مصر على غنى فينيقيا بأنواع مختلفة من الشجار المثمرة، التي من بينها أشجار الزيتون خاصة وأن هذا النوع من الأشجار لا ينمو في إقليم مصر، فالمناخ والتربة لا تلائم هذا لنوع من الأشجار [3] وأنواع أخرى من الأشجار المثمرة، فحسب قصة سنوحي الذي عاش في أرض فينيقيا، وعندما قرر العودة إلى أرضه ذكر ما يلي: "... وغير آسف على أشجار الزيتون فهي لأصحابها زيتها لهم..." [4].

تعتبر أشجار الزيتون أشجار ذات خصائص متميزة، فأشجار الزيتون من الأنواع المعمرة والمقاومة للجفاف [5]، وقد عرفها الفينيقيون كأشجار برية فكانوا يستخرجون الزيت منها، ربما لمعرفتهم بأهميتها كمصدر للزيت وقاموا بتطعيمها والعناية لتحسين منتوجها [6].

أشــجار الزيتــون التــي تنمــو فــي إقلــيم الســاحل الفينيقــي معروفــة علميــا بإســم **Oleaeuropea** قام الفينيقيون بتطعيمها مع أشجار الزيتون البرية المعروفة بإسمها العلمي **Oleachrysophylla** وهذا الرأي يبقى فرضية نظرا لغياب الأدلة المادية، لكن المؤكد الفينيقيين برعوا في زراعة أشجار الزيتون والعناية بها [7].

---

[1]- D.C.P.P., P, 221.

[2]- الكتاب المقدس، العهد القديم، التثنية، 8-8.

[3]- D.C.P.P., P,221

[4]- قصة سنوحي، ص 132.

[5]- فيليب حتي، " تاريخ لبنان "، ص 39.

[6]- D.C.P.P., P 221.

[7]- Ibid.

5- طريقة استخلاص الزيت:

لقد كانت تتم عملية استخلاص الزيت من ثمار الزيتون بعد جنيها وجمعها، في شهر ديسمبر، جانفي وحتى شهر فيفري، والعاملون في معاصر النبيذ هم أنفسهم ينتقلون للعمل في معاصر الزيت، فقد كانت معاصر الزيت والعنب متجاورة، حيث كان يختار لها مكان قريب من ا لمجاري المائية كالأودية، الأنهار والينابيع وهذا لاختيار الموقع لم يكن عشوائيا، فالمعاصر كانت تستخدم قوة الماء لتحريكها [1].

تمت عملية عصر الزيت من الثمار باستخدام معاصر وجدت بقاياها في عدّة مناطق من جبل لبنان وشمال فلسطين وتعرف حاليا بإسم المطروف [*]، تتميز معاصر الزيت بجرن كبير مصنوع من الحجر تجمع فيه ثمار الزيتون، التي تطرف طرفا، داخر الجرن كبير مصنوع من الحجر تجمع فيه ثمار الزيتون، التي تطرف طرفا، داخر الجرن المزود بأربع قطع حديدية تعمل كالسيوف، خلال هذه العملية يتم فصل النواة عن اللب دون كسرها. بعدها يتم جمع لب الزيتون المهروس في أكياء من شعر الماعز حيث يوضع عليها مثقال يعرف حاليا بإسم الباقوف، فيخرج الزيت تدريجيا من المادة المعصورة [2].

كما قد تتم عملية عصرا لزيت بطريقة مختلفة في بعض المراحل، وهذا إستنادًا إلى ما عثر عليه **جورج كونتو George Conteau** وعلى إثر التنقيبات التي قام بها حيث عثر على أحجار مهذبة لا تشبه الأحجار المستخدمة في طحن الحبوب، والنماذج التي وجدت في جنوب فلسطين قد تعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، وقد تكون استخدمت بغرض عصر الزيت أو النبيذ [3].

---

[1]- فريدريك معتوق، المرجع السابق، ص ص 124-127.

[*] - **المطروف** هي التسمية الحالية لمعاصر الزيت في سوريا ولبنان وفلسطين.

[2]- فريدريك معتوق، نفسه.

[3]- جورج كونتنو، " **الحضارة الفينيقية** "، ص 343.

يعتبر زيت الزيتون المنتوج في فينيقيا، ذو نوعية جيدة مقارنة بأنواع أخرى كانت تستخرج في بلاد الإغريق أو روما، وبسبب الاختلاف يعود أساسًا إلى طريقة فصل النواة عن لب الزيتون، فالفينيقيون كانوا يفصلون لب الزيتون عن النواة دون كسرها فلا تترك مذاقًا مرًّا، بعكس الطريقة المستخدمة عند الإغريق والرومان حيث يتم طحن حبات الزيتون كاملة وعصرها، ف تمتزج الزيت الموجودة في اللب بمرارة النواة، فتؤثر بذلك على مذاق الزيت [1]. فالتقنية التي استخدمها الفينيقيون حافظت على المذاق وصفاء اللون[2] لم يكن زيت الزيتون ما تحصل عليه الفينيقيون خلال هذه العملية فقط، فالزيت كان المنتوج المطلوب بالدرجة الأولى، وهناك بقايا تتمثل أساسًا في اللب فبعد عصره يصبح علفا يصبح علفا للحيوانات، أما النواة فقد يستخدم كوقود [3].

بالنسبة للطريقة التي استخدمها الفينيقيون لاستخراج الزيت هي الطريقة نفسها في عدّة مناطق في البحر المتوسط، سواءًا في الحوض الشرقي، ففي لبنان وسوريا وفلسطين مازالت الطريقة التقليدية نفسها مستخدمة، وحتى في مناطق عديدة من الحوض الغربي للمتوسط، ففي شمال إفريقيا هي الطريقة نفسها، فقد يكون الفينيقيون نقلوها إلى هذه المناطق، فقد كان لهم الفضل في نقل زراعة الزيتون طرق العناية به وحتى إستخراج زيته.

---

[1]- فريدريك معتوق،المرجع السابق، ص 122.

[2]- محب شنه ساز، **المطروف، المدْرَس والباقوف- حلو أو مر**، بيروت، (دار الحداثة، 2008)، ص ص، 109-124.

[3]- أنيس فريحة، " **ملاحم وأساطير من أوغاريت (رأس الشمرا)**، ص، 452.

الفصل الثانـي

صناعة الخزف

المبحث الأول: مراحل إنجاز المصنوعات الخزفية:

كان للفينيقيين اهتمام كبير بصناعة الخزف، كغيرهم من شعوب الحضارات القديمة، فهذه الصناعة تُعد من أقدم الحرف التي مارسها الإنسان في أغلب المناطق التي قامت فيها الحضارات القديمة، نظرا لإرتباطها بتلبية أغراض متعددة في الحياة اليومية، وزيادة على ذلك بالنسبة للفينيقيين، كان إهتمامهم بحرفة صناعة الخزف مرتبط أساسًا بنشاطهم التجاري[1]، فهدفهم الرئيسي كان صنع ما يحتاجونه من أواني النقل وتخزين المواد التي كانوا يتاجرون بها، خاصة المواد الغذائية [2]، كالزيوت، النبيذ، الحبوب، والسمك المجفف [3].

كان الفينيقيون حيثما حلو وإستقلوا يقومون باستغلال المواد الخام، وفي كثير من المناطق كانوا يقومون بصناعة ما يحتاجونه، وبإعتبار أن المنتوجات الخزفية لها علاقة مباشرة بنقل ما كانوا ينتجونه [4]، فقد مارسوا حرفة صناعة أواني خزفية خاصة بالتعبئة وهذا ما يفسره وجود ورشات لصناعة الخزف خارج الساحل الفينيقي، خاصة في المناطق التي كانوا يقومون فيها بالصيد وتجفيف السمك [5].

إهتم الفينيقيون بصناعة الخزف كغيرهم من شعوب الحضارات القديمة، وقد يكون الفينيقيون أكثرهم إهتماما لارتباط هذه الصناعة بالتجارة، فقد مارسوا صناعة الخزف على نطاق واسع في مناطق الساحل الفينيقي، كما مارسوها في أغلب المناطق التي توسعوا فيها، وهذا ما دلت عليه الآثار المتبقية [6].

---

[1]– السيد غلاب، المرجع السابق، ص 444.

[2]– Piero Bartoloni, « **La Céramique (Les Phénicienne sou la direction de Sabatino Moscati)**, P 492.

[3]– M. Gras, P, Rouillard, Op.cit, PP 117-119.

[4]– أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 116.

[5]– V.Berard, Op.cit, P 407.

[6]– Ibid.

المطلب الأول: مرحلة التشكيل:

صناعة الخزف أو الفخار كانت الصناعة الأولى التي إرتبطت بالمحيط الطبيعي الذي عاش فيه الإنسان فقام بتسخين المادة الأولية الأساسية المتمثلة في الطين، فقد استخدمه بشكله الطبيعي مع إضافة مواد أخرى بنسبة قليلة لتقوية قوامه، فالطين مادة متميزة بخاصية اللازبية [*] التي جعلت منه مادة مرنة يسهل التحكم فيها بإستخدام اليدين ومع إضافة الماء، وهنا تظهر مهارة الخزف، وخاصة بعد إستخدامه للدولاب الذي يعود ظهوره إلى حوالي 4000 قبل الميلاد وقد استخدم الفينيقيون منذ حوالي بداية الألف الثاني قبل الميلاد [1] وقد يكون تدخل من بلاد الرافدين أو مصر فقد سبقت الحضارتين الحضارة الفينيقية [2].

أحدث استخدم دولاب الخزف تغييرات في مجال صناعة الخزف، فقد سهل عملية التشكيل، التي كانت تتطلب مهارة ودقة من قبل الصانع، كما ساهم في إنجاز مصنوعات خزفية أكثر تناسقا وتكاملا [3]، وهذا لا ينفي دور الخزاف فهو المتحكم في آلة الدولاب التي سهلت عمله[4].

---

[*] – **اللازبية** خاصية تتميز بها مادة الطين، عند الضغط عليها تبقى متماسكة محتفظة بشكلها.

[1] – علام محمد علام، " **علم الخزف** "، (مطابع سبل العرب، 1967)، ص– ص، 30–31.

[2] – فيليب حتي، " **تاريخ لبنان** "، المرجع السابق، ص، 68.

[3] – نفسه.

[4] – جورج كونتنو، " **الحضارة الفينيقية** "، ص، 248.

المطلب الثاني: مرحلة التجفيف:

بعد الإنتهاء من تشكيل الأواني الخزفية المختلفة الشكل، يقوم الحرفي بتجفيفها، ففي المرحلة الأولى لعملية التجفيف يتم تعريضها إلى حرارة الشمس، وخلال هذه المرحلة لا يجف بشكل كامل، بحيث تحافظ الآنية على شكلها فتسهل عملة الزخرفة والتلوين، ثم يتم إدخالها في الفرن الذي بدأ استخدامه قبل ظهور الفينيقيين منذ أقدم الأزمنة [1].

بعد إخراج الأواني الخزفية من الفرن تتم عملية فحصها إن كانت تحتاج لمزيد من الوقت داخل الفرن، ويتم ذلك عن طريق الطرق، فنوع الرنين يحدد نسبة الإحتراق [2].

المطلب الثالث: الزخرفة والتلوين:

تميزت المصنوعات الخزفية الفينيقية بالزخرفة البسيطة، وقد وجدت بقايا الأواني الخزفية أغلبها غير ملونة وغير مزخرفة، والسبب في ذلك ربما لإرتباط الأواني الخزفية بعملية التصدير والمبادلات التجارية.

تتم عملية الطلاء في نهاية المرحلة الأولى من التجفيف أي بعد تعريضها لحرارة الشمس، فتسهل عملية التحكم في الآنية [3]، والألوان التي استخدمها الخزاف الفينيقي تنحصر في اللون الأحمر واللون الأسود [4]، حيث يطلى جزء من الآنية فقد وجدت أواني ملونة بشريط أسود أو بالمغرة الحمراء [5]. كما كانت الأواني الخزفية كليا، والهدف من التلوين لم يكن يفرض التزيين فقط، بل كن للطلاء دور آخر يتمثل في غطاء الآنية بريقا كما أن الطلاء يعمل على تقوية الآنية [6].

1- Parrot, Ch, Chipiez, **Histoire de l'art dans l'antiquité**, (Hachette, 1885) TII, P, 68.

2- جورج كونتنو، " **الحضارة الفينيقية** "، ص 250.

3- Parrot, Ch, Chipiez, Op.cit, P 149.

4- Donald Harden, Op.cit, P 149.

5- Gras, P, Rouillard, Op.cit, P 117.

6- Donald Harden, Ibid., P, 149.

وجدت العديد من المصنوعات الخزفية الفينيقية خارج الساحل الفينيقي وبعض هذه النماذج تميزت باللون الأسود، وبعضها مطلى باللونين الأسود والأحمر، حيث يُطلى اللون الأسود على اللون الأحمر البراق، كما تميزت بنعومة ملمسها، كما وُجدت مصنوعات أخرى لُونت باللون الأبيض، والأبيض والأسود [1].أما بالنسبة للزخرفة فهي الأخرى بسيطة، حيث استخدمت أداة من الخشب أو المعدن، بحيث تقوم بزخرفة محفورة في الأواني الخزفية قبل جفافها، وقد انحصرت الزخرفة في أشكال هندسية بسيطة [2].

المبحث الثاني: أنواع المصنوعات الخزفية:

لقد تنوّعت المصنوعات الخزفية الفينيقية حسب مجال استخدامها، فحسب من بقايا أثرية خزفية، صنّفها الباحثون إلى خزف يستخدم للأغراض اليومية التي تكون عادة أواني منزلية، خزف مستخدم لأغراض دينية وأخرى صنعت لتلبية الأغراض التجارية [3].

المطلب الأول: المصنوعات الخزفية للاستخدام اليومي:

دلت البقايا الأثرية في أغلب المناطق التي عاش فيها الفينيقيون على استخدامهم الأواني الخزفية في حياتهم اليومية، تتمثل هذه البقايا في الأواني التي تستخدم عادة داخل المنزل كأواني المطبخ مثل القدور والصحون، وأواني استخدام للشرب كالكؤوس والجرار، بالإضافة إلى أواني استخدمت بغرض تخزين المواد الغذائية من سوائل كالزيت، النبيذ والحبوب [4].

وقد تكون هذه الأواني المستخدمة داخل المنزل قد تمّ صنعها من طرف مستخدميها، بإعتبار أن هذه الحرفة لا تتطلب مهارة كبيرة، وقد تكون من إنتاج الورشات الخاصة بصناعة الخزف، فلا يمكن الجزم في هذا الأمر.

1- Piero Bartoloni, « **La Céramique (Les Phénicienne sou la direction de Sabatino Moscati**), P 492.

2- L. Francet, « **La Céramique Primitive, introduction a L'étude de la Technologie**, Paris, 1911, P 74.

3- Piero Bartoloni, Ibid.,P, 492.

4- Gras, P, Rouillard, Op.cit, P 117

المطلب الثاني: مصنوعات للاستخدام الجنائزي والطقوس الدينية:

كان الفينيقيون كغيرهم من شعوب حضارات الشرق، الذين إهتموا بتزويد الموتى ببعض الأغراض بعضها مصنوع من الخزف، تتمثل هذه المصنوعات أساسًا في أواني ذات الاستخدام اليومي كبعض الأوعية والجرار التي تعبأ بالزيت أو النبيذ أو مواد أخرى، بالإضافة إلى المصابيح الزيتية [1].

لا يمكن الجزم في تفسير الهدف من وضع الأواني الخزفية ضمن الأثاث الجنائزي، فعادة تزويد الميت بأغراض يسدل به على اعتقاد بوجود الحياة بعد الموت، لكن قد يرجع حسب رأي بعض الباحثين إلى كون الميت قبل وفاته قد يفضل بعض الأغراض في حياته لذلك يزود بها بعد موته في قبره [2]. **(أنظر الصورة رقم 02).**

بالإضافة إلى المصنوعات الخزفية السابقة الذكر، وُجدت أنواع أخرى تتمثل أساسًا في تماثيل، اتخذت أشكال حيوانية مختلفة، أهمها بعض الطيور، الجمال والخيول، التي قد تكون صنعت باستخدام القوالب فهي تظهر غير دقيقة الصنع والخاصية المميزة لهذه التماثيل هي وجود ثقوب حيث تسمح بإمكانية تعليقها، وهذا ما قد يثبت الصفة النذرية لهذه التماثيل[3].

الخاصية التي تميز بها الفينيقيون، فيما يخص عادة الدفن هي الدفن داخل جرار خزفية، وقد وجدت العديد منها، دفن فيه أطفال، ومن المحتمل أن يكونوا من القرابين المقدمين كأضحيات بشرية أو أضحيات أساس [*].

إهتم الفينيقيون بصناعة تماثيل لآلهتهم من الخزف منها التي كانت تزود بها المعابد وأخرى مخصصة للعبادة في المنازل وقد وُجد الكثير من هذه النماذج منها تماثيل خزفية لآلهة الخصوبة عشتار Ashtar [4].

1- Gras, P, Rouillard, Op.cit, P 117

2- جورج كونتو، " **الحضارة الفينيقية** "، ص ص 248-250.

3- نفسه، ص 248.

*- **أضحيات الأساس** عرف عن الفينيقيين أنهم كانوا يقدمون أضحيات كانت توضع عند بداية المعابد أو المنازل، وقد وجدت في بعض المدن الفينيقية جرار بداخلها بقايا عظمية.

4- جورج كونتتو، " **الحضارة الفينيقية** "، ص 248.

كما صنع الفينيقيون نوعا آخر من المصنوعات الخزفية والمتمثل في التوابيت التي أظهر الخزاف الفينيقي براعته في تقليد النماذج المصنوعة عادة من مادة الرخام، وقد يكون سبب استبدال الرخام بالخزف بهدف تقليل التكلفة أو ربما للوقت، والملاحظ بالنسبة للتوابيت الخزفية أنها صنعت من قطعة واحدة وهذا ما يدل على براعة الحرفي الفينيقي [1].

المطلب الثالث: مصنوعات للاستخدام التجاري:

حرفة صناعة الخزف عند الفينيقيين لها ميزتها الخاصة، فالاهتمام بهذه الحرفة يختلف إذا أردنا المقارنة بما كان عند شعوب حضارات عاصرت الفينيقيين، فهذه الحرفة كانت لها علاقة خاصة بالنشاط التجاري الفينيقي.

لقد كانت صناعة الخزف مرتبطة بمنتوجات تاجر بها الفينيقيون وهذا ما يفسر كما سبق الذكر وجود ورشات صناعة إلى جانب ورشات صناعة وإنتاج بعض المواد الغذائية خدمة لتجارة التصدير [2].

كثيرة هي الشواهد الأثرية التي أظهرت نماذج من المنتوجات الخزفية المستخدمة لأغراض تجارية، أهمها ما نلاحظه في مشهد وصول السفن التجارية الفينيقية في إحدى الموانئ المصرية **(أنظر الصورة رقم19)**

حيث يظهر مشهد لمجموعة من التجار الفينيقيين المتميزين بزيهم المطرز، وعلى ما يبدو يظهر لنا التجار وهم يراقبون إنزال حمولتهم من المنتوجات على السفن، من بين ما يظهر لنا خوابي ذات حجم كبير، تبدو مزودة بمقبضين **(أنظر الصورة رقم 20).**

وعلى الأرجح أن هذه الخوابي كانت معبأة بالنبيذ الفينيقي، وهذا إستنادا إلى ما ذكره **هيرودت Hérodote** فقد ذكر أن النبيذ الفينيقي كان ينقل إلى مصر في أواني خزفية [3].

---

[1]– جورج كونتنو، <u>**الحضارة الفينيقية**</u>، ص، 248.

[2]– أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 280.

[3]– Hérodote, III, 6.

صنع الفينيقيون أوان هزفية لغرض تعبئتها بالمواد التي تاجروا بها، فقد وجدت أنواع من الجرار خاصة بنقل المواد السائلة كالزيت والنبيذ، كما وجدت خوابي خاصة لتعبئة الحبوب كما خصصه الفينيقيون مستحضرات كالسمك المملح وعموما الأواني الخزفية المخصصة للنقل أو التخزين تميزت بوجود غطاء[1].

M. Gras, P. Rouillard, op.cit., P,119.–[1]

الفصل الثالث

صباغة الأنسجة

المبحث الأول: إكتشاف الصباغ الأرجواني:

ارتبطت حرفة صناعة الأنسجة باللون الأرجواني[*] وبذكر الفينيقيين فقد إرتبطت تسميتهم بهذا اللون وقد سبق التطرق إلى هذه العلاقة في المدخل.

أغلب الروايات تؤكد أن الفينيقيين كانوا السباقين لإكتشاف مصدر الصباغ الأرجواني، فحسب رواية **يوليوس بولوكس Julius Polux**، حيث ذكر أن الإله **ملقرت Malqart** بينما كان يتنزه مع رفيقته على شاطئ البحر بالقرب من مدينة صور قام كلبه بإلتقاط صدفة أكلها فاصطبغ شدقاه باللون الأحمر، فأعجبت به رفيقته. فلم تكن قد رأت لونا بهذا الجمال من قبل، فطلبت من ملقرت أن يحضر لها ثوبا مصبوغا باللون ذاته ففعل ذلك [1].

الرواية من الناحية التاريخية هناك من يعتبر أنه فيها خطأ، فقد صححها **فلافيوس كاسيودوروس Flavious Cassidors** (470-562م) فحسب رأيه أنه وقع خطأ في ترجمة الرواية من اللغة العبرية، فورد التباس بين صبّاغ وكلب.

وتكون بذلك الرواية متعلقة بصبّاغ الإله ملقرت وليس كلب، وإذا اعتبرنا أن الرواية جزء من حقيقة تاريخية، فإرتبطها بالإله ملقرت به جزء من الخيال الأسطوري، وهذا ما عرف به شعوب الحضارات القديمة، فالاكتشافات كانت عادة تنسب إلى الإله تعظيمًا لشأنه ومكانته، كما أرادوا إضفاء نوع من القداسة الإلهية.

---

[*] – **الأرجوان** لفظ سامي الأصل مشترك في عدّة لغات قديمة، فقد ورد ذكره في نصوص رأس الشمر **aga–ma– nu** ،كما ورد في اللغة العبرية بلفظ أرحمان **Argaman** ونفس اللفظ في اللغة الآرامية، أما في اللغة الأشورية فقد ورد **Argamann**، أما اللغة السومرية فقد ورد بصيغة **Argaman** أما في اللغة الفارسية فقد ورد ذكره بصيغة أرغوان وفي اللغة السنسكريتية فقد ورد بلفظ **Ragaman** وتعني الملون باللون الأحمر، فالجذر **Raga** يعني في اللغة السنسكريتية اللون الأحمر.

أنظر Dictionnaire de la Bible, Tome 5 ,P 584 ، دار المعارف، مج 9، ص 66

F. Thureau, Dangins, « **un comptoir de laine propre a Ugarit d'après une tablette de ras–Shamra.** (Syria XV, 1934) P 141

[1] – دائرة المعارف، مج 9، ص 66.

بالإضافة إلى ما سبق ذكره، ربما كان للفينيقيين هدف آخر وهو الحفاظ على سر إكتشاف الصباغ الأرجواني نظرا لإرتباطه بنشاطهم التجاري، فقد كانت الأقمشة الأرجوانية سلعة فينيقية باهظة الثمن فعلى الأرجح أنّهم أرادوا الحفاظ على سر صناعتها لاحتكارها [1].

أما من الناحية العملية، فإكتشاف الصباغ الأرجواني الذي تم بالصدفة وهذا إحتمال وارد، لكن إرتباط الرواية بكلب **الإله ملقرت** أمر يثير التساؤل، فعلمية استخلاص الصباغ الأرجواني لم تكن بالعملية البسيطة وهذا ما سنأتي على ذكره لاحقا، فظهور اللون المرغوب فيه يتطلب وقتا ومراحل وشروط محددة [2].

المطلب الأول: مصدر الصباغ الأرجواني:

ارتبطت حياة الفينيقيين وأغلب نشاطاتهم الاقتصادية بالبحر وثرواته فقد كان البحر المتوسط بحوضيه الشرقي والغربي والامتداد الطبيعي لساحلهم، ومصدر هام لمادة الصباغ الأرجواني. يستخلص الفينيقيون المادة الصبغية من أصداف تعرف بـ: **الموريق Murex** التي تنتمي إلى نوع من الرخويات يعرف **بالبطن قدميات Gastéropode** [3].

أصداف الموريق تعيش في المياه العذبة، والمالحة [4]، وفي أغلب البحار الدافئة [5]، وقد وجد الفينيقيون الأصداف بمتناولهم في البحر المتوسط المتميز بملوحة مياهه المقدرة بـ: 39 غ / ل.كما تعيش أصداف الموريق في مناطق إلتقاء الأنهار والبحار [6]، ويكون بذلك قد وجدها الفينيقيون في متناولهم، خاصة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط،

1- Dictionnaire de la Bible, Tome 5 , P 585.

2- Joseph Doumet, **"De La Teinture en pourpre des anciens par d'extraction du produit colorant des murex truncules brandaris et des purpura hemastoma »,** (National Muséum News, Ninth Issue, Spring, 1999), P 10.

3- Dictionnaire Hachette, P 1084.

4- Pline IX, 36.

5- Z.VI. Herma, **Peuples, mers, navires**, trad Josef Milbauer, (édition Arts et Métiers Graphiques, Paris, 1964) P 99.

6- Pline, Ibid.

حيث تركزت صباغة الأنسجة في البداية بالمدن الفينيقية وعلى وجه التحديد بمدينتي صور وصيدا [1].

وهذا ما أكدته المصادر الأدبية والبقايا الأثرية المتمثلة في ركام الأصداف المختلفة الأنواع، كما وجدت خارج الساحل الفينيقي وهذا ما يؤكد تتبع الحرفيين الفينيقيين بالمناطق وجود الأصداف البحرية حيث أقاموا ورشاتهم [2].

المطلب الثاني: أنواع الأصداف:

تنوعت الأصداف التي إستخدمها الفينيقيون بحسب ما دلت عليه البقايا الأثرية للأصداف المتراكمة بالقرب من أماكن ورشات الصباغة في فينيقيا وخارجها، ويمكن أن نحدد أهم أنواع الأصداف التي استخدمها الحرفيون الفينيقيون، في صنف تندرج ضمنها أنواع مختلفة [3].

الموركس برانداريس **Murex Brandaris**

الموركس ترنكولوس **Murex Trunculus**[4].

تندرج ضمن النوعين السابقين أنواع من الأصداف أكدت البقايا على استخدام الفينيقيين لها، بالإضافة إلى أهم مصادر تناول موضوع الصباغ الأرجواني وأصداف الموركس، فقد تحدث بلين الأقدم **Pline L'Ancien** في مؤلفه التاريخ الطبيعي عن أنواع من الأصداف استخدمها الفينيقيون، فقد وصف أصداف الموركس **Murex Trunculus** والتي ذكرها بإسم البوق **Buccin** [5] ويعرف بالتسمية العلمية **Purpura Laillum**[6] ويندرج ضمن النوع المسمى **Purpura Haemastoma** [7]. (أنظر الصورة، 3، 4 و5).

1- Strabon, XVI, 23. « **Géographie** » . traduction nouvelle par Amédée Tardieu, Hachette, Paris, 1880.

2- ZVI, Herman, Op.cit, P 225.

3- هشام الصفدي، " **شواهد من حضارات البحر الأبيض المتوسط** "، الأصالة، العدد 05، 1977، ص 36.

4- Joseph Doumet, Op.cit, P 10.

5- Pline 1, X, IXI.

6- ZVI, Herman, Op.cit., P 225.

7- Joseph Doumet, Ibid.

تعد أصداف البوق حسب ذكر بلين الأقدم أنها ذات حجم صغير تتميز بسطحها الخارجي الأملس، لا تعيش في الأعماق بل تلتصق بالصخور، تتميز كذلك بفتحة مستديرة مثل الفم[1].

نوع آخر من الأصداف استخدمه الفينيقيون ذكره بلين الأقدم بإسم البوربر "**Pourpre** " [*]، يتميز هذا النوع بقوقعته المغطاة بأضلع إلى غاية نهايتها المتمددة بشكل منقار المستخدم للتوغل داخل الأصداف التي تتغذى عليها.

وهذا الوصف ينطبق على الصنف المعروف بـ : الموركس براندارس **Murex Brandaris** المميز بشكله الخارجي ذو الأضلع اللولبية، وقد وجد الفينيقيون هذا النوع من الأصداف بالقرب من شواطئ مدينة صور، على عمق يتراوح ما بين 10-40 متر، وهذا النوع من الأصداف يعيش تحت الرمال، حيث لا يخرج إلا في فصل الربيع [2].

اشتهرت شواطئ مدينة صيدا بنوع آخر من الأصداف، يعرف بإسم الموركسترونوكولوس **Murex Trunculus** ، فقد وجدت بقايا هذا النوع ضمن ركام الأصداف في الكثير من المواقع [3].

لقد تعددت أنواع الأصداف التي إستخدمها الحرفيون الفينيقيون فمنها، ما كانت في متناولهم قريبة، ومنها ما وجدت في الأعماق وهذا ما يجعلها ربما تختلف من حيث المظهر الخارجي، فكل صنف يعيش في بيئة ملائمة له، كما قد تختلف في التركيب، فمثلا الموركس برندارس **Murex Brandaris** يحتوي على مولد صباغ واحد، أما الموركس ترنكولوس **Murex Trunculus** فيحتوي على عنصرين، لكن العنصر المشترك والأساسي يتمثل في مادة النيل **Indigo** [4]. (أنظر الصورة رقم 06).

1- Pline 1, X, IXI

* - **البوربر Porpre** اشتقت من اللغة الإغريقية فكلمة **Porplura** تعني بالإغريقية الأرجوان وهي كلمة مشتقة **parphyrecus** ويقصد بها نوع من الصخور ذات لون أحمر لماع (Dictionnaire Hachette, P 1283)

2- Pline, IX, LXI, P 36.

3- Strabon, XVI, P 23.

4- دائرة المعارف، المجلد 9، ص 69.

المطلب الثالث: طرق صيد الأصداف:

الأصداف البحرية تختلف بإختلاف أصنافها والتي تندرج ضمنها أنواع مختلفة تقد مثل باقي كل الكائنات الحية، حيث تمر بدورة الحياة، التي تحدد فترة الصيد، ففي فصل الربيع تحدث عملية الإباضة، وتكون كمية السائل الملون قليلة، بإعتبار أن قسم منها يمر إلى البيوض، فتكون بذلك الأصداف أقل قيمة عند الحرفيين الفينيقيين [1]. وقد ذكر بلين الأقدم أن الأصداف التي تصطاد في هذا الفصل لا قيمة لها في ورشات الصناعة [2].

تكون فترة الصيد محددة خارج موسم التكاثر، بحيث تبدأ من نهاية فصل الشتاء، كما تكون نهاية فصل الخريف فترة ملائمة للصيد، وإذا اعتبرنا فترة الصيد محددة بنهاية فصل الخريف وبداية فصل الشتاء [3] تكون فترة قصيرة لا تتجاوز شهرين خلال السنة، وبذلك تكون فترة قصيرة، وهذا ما يفسر وجود ورشات الصباغة خارج مدن الساحل الفينيقي، فقد سعى الفينيقيون للبحث عن الأصداف في مناطق بعيدة، وذلك ربحا للوقت [4].

لقد كان الفينيقيون يبحرون إلى أماكن وجود الأصداف بسفن خاصة يطلب عليها بعض الباحثين **Les Bateaux Pourpries** فهي سفن مخصصة لصيد الأصداف، كانت تبحر خلال فترة محددة من السنة [5].

أهم وصف لطريقة صيد الأصداف ما ذكره بلين الأقدم، حيث ذكر في مؤلفه التاريخ الطبيعي أن أهل صور كانوا يقومون برمي نوع من الشباك قد يكون مخصصا لصيد الأصداف، حيث يجعلون فيه طعما لجذب الأصداف، والطعم يتمثل في صدفة ذات طبقتين فمثلا أصداف **البوق Buccin** تميز بلسان صلب يمكنه من إختراق الصدفة الطعم، فتتجمع الأصداف حول الشباك فترفع ممتلئة بالأصداف العالقة [6].

---

[1] – دائرة المعارف، المجلد 9، ص 69.

[2] – Pline, IX, LXII, 38.

[3] – J. Meirat Op.cit., P 49. « **Marines Antique de la Méditerranée** » Fayard, Paris, 1964, P 49.

[4] – G. Parrot, Ch, Chipiez, Op.cit, P 881.

[5] – V. Berard, Op.cit, 409.

[6] – Pline, IXn LXI, 37.

قد تختلف طرق الصيد بإختلاف أنواع الأصداف ومناطق إنتشارها، وعمق المناطق التي تعيش فيها، فبعض الأنواع تصطاد باستخدام الشباك، كما قد تصطاد باستخدام السلاسل، وبعض الأنواع تلتقط مباشرة في حالة إنتشارها على الصخور [1].

المبحث الثاني: مراحل تحضير الصباغ:

لقد حافظ الفينيقيون على سر إعداد الصباغ الأرجواني، فقد كانت الأنسجة الأرجوانية سلع ذات قيمة مادية ومعنوية، فثمنها كان باهظا، لذلك احتكر الفينيقيون صناعته وبيعه وحافظوا على سر طريقة استخلاصه[2].

المطلب الأول: طريقة إستخلاص الصباغ:

الطريقة التي استخدمها الحرفيون الفينيقيون لاستخلاص الصباغ من الأصداف نجد لها ذكر عند بلين الأقدم، حيث ذكر أن الأصداف كانت تكسر من الأعلى فالمادة الملونة تتركز في أعلى جسم الحيوان الصدفي، فيؤخذ السائل من أحد الشرايين ويوضع في الملح [3]، حيث يخمر السائل باللون المائل للأصفر [4].

طريق إستخراج الصباغ من الأصداف حسبما ذكرها بلين قد تنطبق على بقايا الأصداف التي وجدت في العديد من المدن الفينيقية التي أقيمت فيها ورشات صباغة الأنسجة، حيث يلاحظ أن الأصداف المتراكمة، بها ثقب من نفس الجهة وفتحت بنفس المقدار، فالأصداف لم تكن مكسورة كليا، بل فتحت بمقدار ما يسمح لخروج الغدد الصبغية، وهذا ما يدل على خبرة الحرفيين الفينيقيين لإدراكهم الدقيق لموضع الغدد الصبغية.

1- دائرة المعارف، المجلد 9، ص 66.

2- فيليب حتي، " **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين** "، الجزء الأول، ص 206.

3- Pline IX.

4- وليد الجادر، " **الحرف والصناعات اليدوية في العصر الآشوري المتأخر النسيج والنساجون** "، مطبعة الآداب البغدادية، العراق، 1972، ص 206.

كذلك لإحداث الثقب في الصدفة، لم تكن تتم بسهولة، وهذا بالنظر إلى صلابة الصدفة، فالأمر قد يتطلب أداة حادة مخصصة لهذا الغرض [1]، كما قد يكون الحرفيون قد خصصوا أداة خاصة لاستخراج الغدد الصبغية، فهذه المرحلة من إستخلاص الصباغ تعد عملية تتطلب الدقة، خاصة وأن المقدار المستخلص من الصدفة الواحدة لا يتعدى القطرتين [2].

طريقة أخرى من المحتمل أن الحرفيين الفينيقيين قد استخدموها، فحسب راي بعض الباحثين عملية فتح الصدفة كانت تتم عن طريق الفرك، فالاحتكاك بين صدفتين يؤدي إلى إحداث ثقب بسهولة [3].

طريقة أخرى من المرجح أنها كانت مستخدمة باستعمال حصى صغيرة تتراوح ما بين 5 و10 سنتيمتر، فقد إكتشفت كتل مؤلفة من الحصى الصغيرة وجدت بالطبقات الأركيولوجية الفينيقية بمنطقة الصويرة بالمغرب الأقصى[4]، وقد تضاربت الآراء حول الغرض من استخدامها، ويرجح أنها كانت تستخدم لفتح الأصداف.

المطلب الثاني: طريقة تحضير الصباغ:

تعد مرحلة جمع المادة الصبغية مرحلة تتطلب الدقة، وقد تستغرق وقتا طويلا، لتأتي بعدها مرحلة تحضير الصباغ، وهذه المرحلة لا نجد ذكرها في المصادر الفينيقية لذلك سنأتي على ذكرها حسبما ذكره بلين الأقدم، من خلال ما شاهده في ورشات الصباغة في الفترة الرومانية وقد ذكرها ما يلي: "...من الضروري إضافة الملح، بمقدار عشرين وحدة لمائة ليرة، ثم يترك المزيج ينتقع لمدة ثلاثة أيام لا أكثر، لأن الصباغ يكون أكثر قوة كلما كان حديثا، ثم يغلى المزيج في أواني من الرصاص، حيث يتطلب حرارة متوسطة، لهذا يستعمل أنبوب موصول بالموقد الموضوع بعيدا عندما تطفو الرغوة على سطح المزيج يتم التخلص من الألياف

1- Maspero, **Histoire de l'orient**, (Hachette, 1891), P, 40.

2- ZVI, Herman, Op.cit., P 61.

3- وليد الجادر، المرجع السابق، ص 206.

4- محمد رضوان العزيفي، "**الفينيقيون في جزيرة الصويرة** "، (منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أغادير، سلسلة الندوات والأيام الدراسية، 1994)، ص 58.

الملتحمة على الغدد ...." [1]. من خلال ما ذكره بلين الأقدم يمكن أن نحدد أهم المراحل التي تمر بها عملية استخلاص الصباغ كما يلي:

*- بعد جمع الغدد الصبغية يتم وضعها داخل أواني من الرصاص [2]، وإختيارهم لهذا المعدن لم يكن ربما عشوائيا، بالمعادن الأخرى كالحديد أو النحاس تحدث أكسدة فعلى الأرجح أن الحرفيين الفينيقيين كنوا على دراية بذلك [3].

*- كما أنه من المحتمل أن الحرفيين الفينيقيين قد استخدموا أواني فخارية لنفس الغرض، وهذا إستنادًا إلى ما وجد على أثر التنقيبات الأثرية بين مدينتي صور وصيدا أهم المدن التي إنتشرت فيها ورشات صباغة الأنسجة، فقد وجد في مدينة سبارطة على قدور فخارية، بها راسب لونه أحمر يعود تاريخه إلى حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وقد أثبت التحليل الكيميائي أن المادة الراسبة هي مادة مستخلصة من حيوانات رخوية، وما يدعم أن هذه الأواني الفخارية كانت ضمن ما استخدم في ورشات الصباغ أنها وجدت إلى جانب بقايا الأصداف والتي حدد نوعا بـ: **الموركس ترنكولوس Murex Trunnculus** [4].

*- قد تختلف مادة الأحواض التي استخدمها الفينيقيون في ورشات الصباغة قبل الفترة الرومانية، فقد وجدت في مناطق أثرية قريبة من مدينة صور نوع من الأواني الحجرية وجدت إلى جانب ركام من أنواع مختلفة الأصداف البحرية، تتميز هذه الأواني بشكلها الكروي، إذ يتراوح إرتفاعها بين سبعين إلى تسعين سنتيمتر، أما قطرها الداخلي فيتراوح بين ثلاثين وخمسة وأربعون سنتيمتر، كما أنّها تبدو مزودة بثقوب قطرها يتراوح ما بين نصف

Pline, IX, LXI.-[1]

Khadija HAMID, « **Histoire Du Maroc a la Lumière de L'archéologie, Afrique Orient** » 2012, P 88.-[2]

Maitland, Op.cit, P 61. A. E.Dey.-[3]

[4]- خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 211.

وثلاثة سنتيمتر، وإحتمال كبير أنها كانت مخصصة لتعطين الغدد الصبغية [1]، فقد ذكر بلين الأقدم أن أواني الرصاص كانت مزودة بأنبوب الغرض منه إخراج الشوائب [2].

*- **الشرط الثاني** الذي ذكره بلين الأقدم إضافة الملح، حيث يضاف واحد كيلو غرام إلى 50 كيلو غرام من كمية الغدد [3]، الملح المضاف من المحتمل أن يكون ملح النطرون [4]، كما أنّه من المحتمل أن يكن ملح البحر[5]، والهدف من إضافة الملح حسب المبدأ الكيميائي لإنتقال المحاليل وبذلك يتم إخراج المادة الصبغية من الغدد التي يعتبر وسطا أقل تركيز.

*- **الشرط الثالث** الذي ذكره بلين هو ترك المزيد لمدة لا تتجاوز ثلاث أيام، حتى لا يفقد المستخلص قوته.

المطلب الثالث: مرحلة صباغة الأنسجة:

تعد مرحلة تثبيت الصباغ على الأنسجة مرحلة هامة وقد ذكرها بلين الأقدم كما يلي:

"... بما أن عملية المزج أصبحت تامة في اليوم العاشر، يلقى من أجل الاختيار قطة من الصوف... وتستمر عملية تعريض المزيج للحرارة إلى غاية الحصول على ما هو مرغوب، اللون الأحمر القاتم أفضل من اللون الأحمر الزاهي، الصوف يلقي لمدة خمس سنوات ثم يحفظ ليلقى مرة أخرى إلى غاية أن يتشرب السائل كليا " [6].

*- تتطلب عملية تثبيت الصباغ على الأنسجة الصوفية حسبما وردفي نصوص رأس الشمرا [7]، وحسبما ذكره بلين الأقدم، حيث تتم في المرحلة الأولى، اختيار الصباغ

1- وليد الجادر، المرجع السابق، ص 210.

2- Pline, IX, LXI.

3- J. Dourmet, Op.cit, P, 10.

4- وليد الجادر، المرجع السابق، ص ص 160-168.

5- Khadija HAMID, Op.cit, P 88.

6- Pline, IX, 60.

7- Thureau Dangins, Op.cit, P 140.

بإلقاء قطعة من النسيج الصوفي وتعرض لأشعة الشمس، حتى يتأكد الحرفي الصبّاغ من إنتهاء عملية تحضير الصباغ.

وقد يختلف نوع المزيج حسب الأصداف التي استخرجت منها الغدد الصبغية، فالألوان التي تحصل عليها الفينيقيون مختلفة كان أشهرها وأثمنها الأرجواني المعروف بـ: **الأرجوان الصوري**[1]، ويختلف عن باقي الألوان الأخرى التي تعد أطياف للون الأرجواني ولا تقل قيمة عنه من حيث الخصائص، فالأصبغة الأرجوانية بكل أطيافها تتميز بعدم زوالها[2]، وتختلف الألوان المتحصل عليها بحسب نوع الأصداف والتدرج في عملية التلوين.

مما ذكره بلين الأقدم ما يلي: "... البوق لا يستعمل وحده، فاللون لا يصطبغ، فكان يمزج مع البوربر، من هذا المزيج نتحصل على الصباغ المرغوب فيه، وهو نتيجة الأرجوان القاتم للحصول على صباغ ممتاز من أجل خمسين ليرة من الصوف، يمزج مائتين ليرة من البوق ومائة وإحدى عشر من البوربر، وهكذا يتحصل على لون بهي، من أجل اللون الصوري يغطس أولا الصوف في البوربر، قبل أن يتم تحضيره تماما، بعدها يغطس في البوق أجمل الأرجوان الصوري هو لون الدم المتخثر... " [3].

تتطلب عملية تثبيت الصباغ شرطًا أساسيًا، يتمثل في أشعة الشمس التي تعد ضرورية في هذه المرحلة، وهذا ما قد يشير إلى وجود فترة محددة من أيام السنة كانت تتم فيها عملية الصباغة، وقد تكون في فصل الربيع أي مع نهاية فترة جمع الأصداف، وهذا ما نستخلصه مما ذكر بلين الأقدم، وهو ما أكدته الأبحاث الحديثة، فالصباغ الأرجواني بخصائصه المتميزة، دفعت الباحثين إلى دراسته إنطلاقا من مصدره المتمثل في الأصداف المتنوعة وصلا إلى طرق إظهار اللون على الأنسجة الصوفية.

– أهم الأبحاث التي أجريت في هذا المجال ما قام به الباحث **لاكازدوتيه lacaze Dutthiers** فقد قم خلال سلسلة من التجارب التي أجراها باستخلاص الغدد الصبغية

1– J. Meirat, Op.cit, P 48.

2– Veronique KRIGS, « **La Civilisation Phénicienne et Punique** » E. J. Koelen, 1995, P 358.

3– Pline, IX, LXI.

وتثبيتها على الأنسجة الصوفية، وقد توصل خلال أبحاثه إلى عدّة نتائج نستعرض أهمها فيما يلي:

*- علاقة إظهار اللون بأشعة الشمس فخلال تجاربه المتكررة كان يقوم بتعريض الأنسجة الصوفية لأشعة الشمس غير المباشرة فلم يظهر اللون فتأكد أنه من الضروري تعريض الأنسجة مباشرة للأشعة فحرارة الشمس لا تكفي لإظهار اللون، كما أن أوقات تعريض الأنسجة تكون في أوقات محددة [1].

*- توصل إلى نتائج أخرى من خلال تجاربه، فاللون يظهر حسب كمية المادة الصبغيبة التي يشبع بها النسيج.

*- تأكد كذلك من خلال تجاربه أن الألوان ا لمتحصل عليها تختلف بحسب نوع الأصداف المستخدمة [2].

لقد تعددت الأبحاث والتجارب التطبيقية من أجل دراسة الصباغ الأرجواني، فلم تكن أبحاث لاكزدوتييه الوحيدة في هذا المجال، فمنهم الباحث **دوهاميل Duhamel** الذي وصل إلى نفس النتائج التي توصل إليها **لاكازدوتيه Lacaze Dutthiers**، فيما يخص أشعة الشمس وأهميتها في إظهار اللون، وقد توالت الأبحاث منها الأبحاث التي قام بها **بنكروفت Bencoroft** حيث توصل وهو الآخر إلى عدّة نتائج من أهمها أن اللون يخمر في الفراغ، فتعريضا لمادة الصبغية لأشعة الشمس وحرارتها ليظهر اللون [3].

1- Lacaze Duthiers, « **Memoire Sur la Pourpre** » (Annales des Sciences Naturelles, Tome XII, 1859), P-P, 28-62.

2- Ibid, PP 28-33.

3- دائرة المعارف، المجلد 9، ص 69.

المطلب الرابع: إنتشار حرفة الصباغ خارج الساحل الفينيقي:

إهتم الفينيقيون بالبحث عن المواد الخام والثروات خارج الساحل الفينيقي، ولم تكن بعض هذه المواد تنقل إلى الساحل الفينيقي، بل كانت تُصنع في نفس مكان إستخراجها فقد عرف عن الفينيقيين إقامتهم لورشات في المناطق التي تاجروا معها أو استوطنوها ولهم في ذلك أسباب من أهمها، ربح الوقت لتلبية الطلبات المتزايدة [1]، خاصة إذا تعلق الأمر بالأقمشة الأرجوانية التي إحتكرها الفينيقيون صناعتها وتجارتها فقد حافظوا على طرق إستخلاص الصباغ وتحضيره، إضافة لأمر متعلق بالمادة الصبغية التي كانت فترة الحصول عليها محدودة كما سبق الذكر [2] فضمانا للحصول عليها في أوانها تطلب من الفينيقيون إقامة ورشات بالقرب من أمكن الصيد [3].

سعى الفينيقيون للبحث عن مناطق تتوفر فيها أصداف الموركس، وقد دلت بقايا الأصداف المتراكمة في عدة مناطق أقام فيها الفينيقيون ورشات الصباغة وكانت أهمها في بحر إيجه والحوض الغربي للبحر المتوسط [4] وتعتبر هذه الورشات فروع لورشات الوطن الأم فينيقيا.

إستغل الحرفيون الفينيقيون أصداف الموركس في منطقة موري **Morée** الواقعة جنوب البلوبونيز **Péloponnèse** [5]، وبعض الباحثين يرون أن الفينيقيون كانت لهم الأسبقية في إستغلال هذه الثورة قبل الإغريق [6]، كما نجد بقايا الأصداف المتراكمة في منطقة منيكس **Meninx** [7][*] وحسبما ذكره بلين الأقدم **Pline L'ancien** الأصداف في منيكس كانت

---

1 - G. Parrot, Chipiez, Op.cit, P 881.

2 - J. Meirat, Op.cit, P 49.

3 - Z.VI. Herman, Op.cit, P 99.

4 - J. Meirat, Ibid.

5 - V. Berard, Op.cit, P 29.

6 - J.Meirat, Op.cit, P 49.

7 - (A). Barkaoui, **La marine Carthaginoise**, l'or du temps (Tunisie, 2003), P 133.

* - **منيكيس Meninx** التسمية القديمة لجزيرة جربة.

تعطي أجود الأصبغة [1] وقد كانت من أهم المناطق في الخوض الغربي للبحر المتوسط التي استغلت في إستخراج الأهداف وقد دام حرفة الصباغة إلى غاية الفترة الرومانية [2].

---

1 - Pline, L X II, 38.

2 - (A). Barkaoui, op.cit., P,133

الفصل الرابع

صناعة الزجاج

المبحث الأول: إكتشاف مادة الزجاج:

تعد صناعة الزجاج من أكثر الصناعات الحرفية التي إرتبطت بذكر الفينيقيين عبر التاريخ، فقد مارسوها على نطاق واسع، كما تاجروا بمختلف المنتوجات الزجاجية، وكانت مدينتي صور،(**TYR**) و صيدا (**Sidon**) من أهم مدن الساحل الفينيقي التي إنتشرت فيها ورشات صناعة الزجاج وهذه الأخيرة إنتشرت في مناطق خارج فينيقيا (1).

المطلب الأول: إكتشاف مادة الزجاج من طرف الفينيقيين:

تنسب صناعة مادة الزجاج للفينيقيين (2)، وهذا إستنادا إلى ما ذكر بلين الأقدم **Pline L'ancien** ، فحسبما ذكره هذا الأخير أن مجموعة من التجار الفينيقيين الذين يتاجرون بمادة النطرون **Natron**، نزلوا على الشاطئ السوري بالقرب من عكا، وأثناء قيامهم بتحضير طعامهم وما يلزمهم لذلك فلم يعثروا على أجار لاستخدامها كمساند لآنية الطعام فاضطروا لاستخدام كتل النطرون التي كانت معهم، وبعد إنتهائهم من تحضير الطعام ظهرت مادة سائلة (3). إستنادا إلى ما ذكره بلين الأقدم **Pline L'ancien** يكون الجار الفينيقيون هم المكتشفين لطريقة صنع مادة الزجاج، عن طريق الصدفة. فقد توفرت لهم المواد الأساسية اللازمة لصناعة مادة الزجاج والمتمثلة أساسا في الرمال، الأملاح، فدرجة الحرارة اللازمة لانصهارهما تتراوح ما بين 1000^0 مئوية و 1200^0 مئوية، وهذا الشرط يعتبر أساسي لا توفره درجة حرارة الموقد (4).

1- ZVI. Herman, Op.cit, P P 101-102.

2- طه باقر، " **مقدمة في تاريخ الحضارات** القديمة "، الجزء II ، الطبعة II، دار المعلمين العالمية، 1956، ص 246.

3- Pline, XXX, PP 110-111.

4- بشير زهدي، " **لمحة عن الزجاج القديم وروائعه في المتحف الوطني في دمشق (الحوليات الأثرية السورية)** "، المجلد 10، ص 107.

المطلب الثاني: ظهور صناعة الزجاج في الشرق الأدنى.

اختلفت أراء الباحثين حول تحديد فترة بداية صناعة الزجاج، كما هو الحال بالنسبة للمنطقة التي بدأت فيها ممارسة حرفة صناعة الزجاج، ويرجح الباحثين أنها بدأت في نفس الفترة بمصر وبلاد الرافدين، فظهرت المصنوعات الزجاجية عند المصريين في فترة الأسرة الثامنة عشر (1580 – 1358 ق.م)، كما وجدت مصنوعات زجاجية تعود إلى نفس الفترة في بلاد الرافدين[1].

يعتبر أغلب الباحثين أن ور صناعة الزجاج مرتبط بعمليات التزجيج المستخدمة في الصناعة الفخارية حيث استخدمت المادة الزجاجية كطلاء بشكل طبقات خفيفة على المصنوعات الفخارية والهدف من هذه العملية كان لغلق المسامات لمنع التسرب، كما أن المادة الزجاجية تعطي للمصنوعات الفخارية لون براق وسطح أملس[2].

بالنسبة لفترة ومكان استخدام المادة الزجاجية في عملية طلاء المصنوعات الفخارية لم يتمكن الباحثون من تحديد تاريخها بدقة بالنسبة للمكان عرفت مصر وبلاد الرافدين استخدام التزجيج في فترات متقاربة[3].

ارتبط ظهور الزجاج بعملية التزجيج والفترة التي تفصل بينها، مرت بمراحل استطاع الحرفيون خلالها استخدام مادة الزجاج كمادة أساسية، حيث تحصلوا على مادة الزجاج المتميزة بكثافاتها وليونتها، حيث استطاع الصانع الحرفي التحكم في هذه المادة في حالتها اللزجة، والبقايا الأثرية للمصنوعات الزجاجية التي وجدت في مصر وبلاد الرافدين تدل على التحكم الزجاجين في مادة الزجاج، حيث استطاعوا تشكيل مصنوعات زجاجية بطريقة دقيقة[4].

1- أشلاف فطومة، المرجع السابق، ص، 90.

2- نفسه.

3- هناء عبد الخالق، " **الزجاج الإسلامي في متاحف ومخازن الآثار في العراق مع دراسة أولية عن الزجاج القديم** "، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1976، ص – ص، 19-20.

4- أشلاف فطومة، المرجع السابق، ص، 90.

وهذا بإعتبار أن مادة الرمال تتركب من مادة الكوبالت Cobalt، هذه المادة التي تتطلب درجة حرارة عالية لا تقل عن 1450^0 مئوية لإنصهارها [1].

إستنادا إلى الدلائل العلمية لا يمكن تأكيد أسبقية الفينيقيين لاكتشاف مادة الزجاج، والتفسير الوحيد لما ذكره بلين الأقدم، هو نقله ربما له، كان يتداوله الفينيقيون، الذين عاصرهم في ورشات صناعة الزجاج في الفترة الرومانية أو ربما شهرة المصنوعات الزجاجية في المدن الفينيقية جعلت المعاصرين لهم ينسبون هذا الاكتشاف لهم.
تفسير آخر وهو أن الفينيقيين قد سبق لهم أن تاجروا بالمصنوعات الزجاجية المصرية. قبل أن يتخصصوا في صناعة الزجاج، فعلى الأرجح أن الشعوب التي وصلت إليها المصنوعات الزجاجية عن طريق التجار الفينيقيين هل كانت السبب في اعتقادهم أنها منتوجات فينيقية. فالمشتري لم يكن يفرق بين البائع والصانع ولم يكن ليتعرف على مصدر السلع الفينيقية إلا في فترة متأخرة [2].

المبحث الثاني: المواد المستخدمة في صناعة الزجاج:

تتركب العجينة الزجاجية من مواد خام تعد أساسية، حيث يتم مزجها بنسب معينة ليم صهرها في أفران ذات درجة حرارة عالية، وتعتبر الرمال المادة الأساسية التي تضاف إليها مواد أخرى أكاسيد المعادن، كربونات الصوديوم أو البوتاس، وكل مادة لها أهميتها [3].

المطلب الأول: الرمال:

تعتبر الرمال المادة الأساسية التي تدخل في تركيب العجينة الزجاجية، وقد توفرت الرمال، للزجاجيين الفينيقيين، على إمتداد الساحل الفينيقي من الشمال إلى الجنوب، وقد وجدت ورشات صناعة الزجاج في مدينتي صور وصيدا حيث كانت تنقل الرمال ذات النوعية

1- Dictionnaire Hachette, P 332.

2- G. Perrot, Ch. Chipiez, Op.cit, P 733.

3- هناء عبد الخالق، المرجع السابق، ص 18.

الجيدة إلى هذه الورشات وهذا يشهد عليه **سترابون Strabon** فقد ذكر في مؤلفه أنه من بين عكا وصور يوجد شاطئ من الكثبان، الرملية التي تستخدم في صناعة الزجاج، والرمال التي ذكرها سترابون ليست للإنصهار في المكان نفسه، لكنها كانت تنقل إلى صيدا [1].

حسبما ذكره سترابون الرمال كانت متوفرة على إمتداد الفينيقي، لكن الرمال المستخدمة في ورشات صناعة الزجاج كانت تختار بعناية حسب نوعيتها، وهذا قد يشير إلى خبرة الزجاجيين من خلال اختيارهم للمواد الخام حسب النوعية.

المطلب الثاني: المواد الأخرى:

1- المواد القلوية:

تتمثل المواد القلوية أساسا في مادة كربونات الصوديوم، أي المعروف بالنطرون [*].

وقد كان الفينيقيون يجلبونه من مصر، بحسب ما ذكر بلين الأقدم **Pline L'ancien** [2]، فأفضل النوعيات ما جلب من مصر، لما له من خصائص متميزة فلونه أبيض خالص، كما أنه هش وناعم وتظهر أهمية هذه الخصائص أثناء عملية النفخ، فالنطرون يجعل العجينة الزجاجية إحتمالا لعملية النفخ،كما أن إضافة النطرون يجعل للعجينة الزجاجية أكثر تجانسا.

2- أكاسيد المعادن:

تضاف أكاسيد المعادن في تركيبة العجينة الزجاجية بهدف تكوينها، فقد إهتم الزجاجون الفينيقيون بتلوين المصنوعات الزجاجية بألوان مختلفة. والتي كانت أكثر إستعمالا نجد اللون الأبيض، الأخضر، وخاصة اللون الأزرق الذي يعد اللون الغالب في المصنوعات الزجاجية الفينيقية [3].

1- Strabon, XVI, 2.

* – النظرون تعددت استخدامات النطرون قديما، فقد استخدمت عند ا لمصريين في عملية التحنيط، كما كان مستخدما في الصباغة والدباغة والطب. (أنظر Pline, XXX, 110-111).

2- Pline, XXX VI, 650.

3- Maria Louisa Uberti, le Verre, (Les phéniciens sous la direction Sabatino Moscati), P, 474.

يرتبط ظهور لون معين بنوع الأكسيد المضاف، فالحصول على اللون الأزرق يتطلب إضافة أكسيد الكوبالت، أما اللون الأخضر فيتحصل عليه بإستخدام أوكسيد النحاس، أما أكسيد المنغنيز خيوطي اللون الأصفر واللون الأسود والبنفسجي، أما اللون الأصفر. يستعمل للحصول عليه أكسيد الحديد وقد يضاف إليه أكسيد القصدير [1].

3- الأخشاب:

تتطلب الأفران الخاصة لصهر العجينة الزجاجية، الأخشاب التي تستخدم كوقود، وقد كانت في متناول الفينيقيين الذين توفرت لهم الأخشاب في الغابات التي ميزت المرتفعات الجبلية على الساحل الفينيقي، وحسب بعض الباحثين كانت الأخشاب عاملا أساسيا في نشأة وإنتشار حرفة صناعات الزجاج وتطورها في المدن الفينيقية [2].

المبحث الثاني: مراحل تطور صناعة الزجاج عند الفينيقيين:

مرت صناعة الزجاج بمراحل مختلفة، وذلك حسب الطرق التي استخدمها الزجاجون الفينيقيون في تشكيل العجينة الزجاجية، وقد صنفها الباحثون من خلال المصنوعات الزجاجية والتي سنأتي على ذكرها كما يلي:

أولا: الزجاج غير المنفوخ ويتم بطريقتين:

*- الطريقة الأولى: الصب على جسم رملي.

*- الطريقة الثانية: الصب في قوالب.

ثانيا: الزجاج المنفوخ ويتم بطريقتين:

*- الطريقة الأولى: النفخ في قوالب.

*- الطريقة الثانية: النفخ في الهواء [3].

1- G. Perrot, Ch. Chipiez, Op.cit, Tome III, P 733.

2- هناء عبد الخالق، المرجع السابق، ص 15.

3- بشير زهدي، المرجع السابق، ص ص 114-119.

المطلب الأول: الزجاج غير المنفوخ:

عرف الفينيقيون صناعة الزجاج غير المنفوخ منذ بداية القرن الخامس عشر قبل الميلاد، حسب بعض الباحثين واستمروا باستخدامها إلى حوالي القرن الأول الميلادي، وكما سبق الذكر تندرج ضمنها طريقتين:

1- طريقة الصب على جسم رملي:

المبدأ الأساسي المعتمد في هذه الطريقة هو أخذ قطعة معدنية طويلة ذات طرفين، الطرف الأول به مقبض ليتمكن الزجاج من مسكها والتحكم بها، أما الطرف الثاني يشكل عليه جسم من الرمل والطين[1]، ومن هذا المبدأ سميت طريقة الصب على جسم رملي، كما تسمى طريقة اللباب الرملي[2]، والهدف من وضع الجسم الرملي أو اللباب الرملي، هو إسناد العجينة الزجاجية عليه، على كذلك الجسم الرملي يشكل نوع من القوالب حيث تتخذ الآنية شكلها الداخلي منه والهدف الأهم أنه بإمكان الزجاج إخراجه من الآنية بمزيج الطين والرمل يمكن تفتيته [3]. الطريقة تتم بأخذ الزجاج القطعة المعدنية من مقبضها والطرف الثاني يغمس داخل العجينة الزجاجية حيث يحركها ويسحبها في حالتها اللزجة بحيث تكون معرضة للحرارة، وبذلك برفع الزجاج على الجسم الرملي، ويكون نوعا ما أملس نوعا ما، أما السطح الخارجي للآنية في حالتها اللزجة، ويتم ذلك باستخدام سطح من المعدن أو الحجارة حيث يصبح السطح الخارجي أمس [4].

أما التزيين فيتم باستخدام أدوات خاصة كالملاقط [5]، وهذه المرحلة تتطلب من الزَّجَاجْ ودقة متناهية لأن التهذيب والتزيين يتم قبل جفاف الآنية حيث يمكن التحكم في العملية.

1- نفسه.

2- هناء عبد الخالق، المرجع السابق، ص 16.

3- جان مازيل، المرجع السابق، ص 72.

4- Maria Louisa Uberti, (Les phéniciens sous la direction de Sabatino Moscati), P, 474.

5- بشير زهدي، المرجع السابق، ص ص 115-118.

بعد الإنتهاء من المرحلة الأولى من التشكيل والتزيين يقوم الزَّجَاجْ بسحب الجسم الرملي، ويتم ذلك بتحريك القطعة المعدنية حيث يتم تفتيت الجسم الرملي وإخراجه من عنق الآنية بسهولة (1).

المصنوعات الزجاجية التي تحصل عليها الفينيقيون باستخدام طريقة الصب على جسم رملي لها مميزاتها وخصوصياتها حيث يمكن تمييزها بمجرد النظر، الميزة العامة أنها مصنوعات عاتمة (2)، فهي ذات سمك فطريقة صنعها لا تسمح بتمدد العجينة الزجاجية، كما أن أغلبها تتميز بصغر حجمها، كالمزهريات والقوارير، التي خصصت للتزين أو لتعبئة المواد الثمينة كالعطور (3).

تميزت كذلك مصنوعات الزجاج غير المنفوخ بطريقة تزيينها فأغلبها مزينة بخطوط زجاجية ملونة **(أنظر الصورة رقم 7، 8 و 9).**

2- طريقة الصب في القوالب:

وجدت العديد من المصنوعات الزجاجية التي أكدت استخدام الزَّجَاجْ الفينيقي لطريقة الصب في القوالب، وهي طريق مستخدمة منذ الألف الأول قبل الميلاد، في المدن الفينيقية، وفي مناطق عديدة من الحوض الشرقي للبحر المتوسط (4).

المبدأ الأساسي لصناعة الزجاج بهذه الطريقة، يعتمد الزَّجَاجْ أساسًا على قوالب، مشكلة من قطعة واحدة أو مركبة من عدة قطع حيث تكون العجينة الزجاجية في حالتها اللزجة، فتتخذ شكل القالب، وتنزع بعد أن تبرد العجينة الزجاجية (5).

طريقة الصب في القوالب استخدمت إلى جانب طريقة الصب على جسم رملي، كما أنها إستمرت إلى جانب طرق أخرى سنأتي على ذكرها:

1- جان مازيل، المرجع السابق، ص 72.

2- G. Perrot, Ch. Chipiez, Op.cit, Tome III, P 739.

3- J. Toutain, Op.cit, P 165.

4- بشير زهدي، المرجع السابق، ص 119.

5- جورج كونتنو، "الحضارة الفنيقية"، ص 269.

المصنوعات الزجاجية المتحصل عليها بإستخدام القوالب لها خصائصها أهمي خاصية أنهى عاتمة وهي نفس خاصية المصنوعات الزجاجية بطريقة الصب على جسم رملي، كما يبدو وسطها الخارجي أملس وبراق [1].

أهم النماذج التي وجدت في فينقيا وخارجها، نجد الحلي كالعقود المركبة من عدة قطع، في كثير من النماذج تظهر متعددة الألوان والأشكال ويغلب عليها اللون الأزرق [2]. **(أنظر الصورة رقم 10).**

كذلك وجدت نماذج أخرى من الدلايات، التي تشكل جزء من عقود مصنوعة من مواد أخرى [3]**(أنظر الصورة رقم 11).**

كذلك نجد كذلك قطع مصنوعة بطريقة الصب في القوالب وتتمثل في الأسماك والأصداف التي رصعت على أواني زجاجية بإستخدام تقنية الترصيع، كما وجدت منفردة [4]..

وجدت الكثير من القطع الزجاجية المصنوعة بطريقة القوالب تعود إلى القرن الأول الميلادي، مما يدل على إستمرارية العمل بهذه الطريقة رغم تطور صناعة الزجاج بطرق أخرى، لكن الزجاج احتفظ بهذه الطريقة لارتباطها بتزيين الأواني الزجاجية وإرتباطها بصناعة الحلي.

المطلب الثاني: طرق صناعة الزجاج المنفوخ:

ينسب بعض الباحثين صناعة الزجاج للفينيقيين، نظرا لإهتمامهم الخاص بهذه الصناعة، وهذا إستنادا إلى ما ذكره بلين الأقدم **Pline L'ancien** وقد تضاربت الآراء بين مؤيد معارض، خاصة مع وجود ما يؤكد أسبقية المصرين وسكان بلاد الرافدين في مجال الزجاج

1- G. Perrot, Ch. Chipiez, Op.cit, Tome III, P 739.

2- Giovanna Pisano, « **Les Bijoux (les Phénicienne sous la direction de Sabation Moscati)**, P, 370.

3- جورج كونتنو، المرجع السابق، ص 270.

4- René Dussaud « **Un Nouveaux nom d'un verrière Sidonien** », **(Syria)**, P, 233.

لكن من المؤكد كذلك أن الفينيقيين كان لهم دور هام في تطوير طرق صناعة الزجاج للحصول على مصنوعات زجاجية متميزة، خاصة بعد إستخدامهم لطريقة نفخ الزجاج، فتحصل على زجاج شفاف، لم يسبق أن عرفه المصريون أو الرافديون، وربما هذا ما جعل بعض الباحثين ينسب إليهم إكتشاف الزجاج [1].

1- طريقة النفخ في القوالب:

إهتم الزجاجيون الفينيقيون بصناعة الزجاج المصنفر، والمتميز بنوع من الشفافية وقد تحصلوا عليه باستخدامهم لتقنية النفخ داخل القوالب، وقد كانت هذه التقنية تعطى أفضل النتائج فقد انتجوا مصنوعات زجاجية متنوعة مظهرها الخارجي أملس وبراق.
المبدأ الأساسي المستخدم في هذه الطريقة يعتمد أساسًا على القوالب المختلفة الأشكال والمصنوعة عادة من الطين أو الأخشاب وحتى من المعادن كالبرونز [2].

إذ كان الزجاج يقوم برفع العجينة الزجاجية في حالتها اللزجة بإستخدام قضيب معدني مجوف، بعد رفعه للمقدار المطلوب يضعه داخل القالب مباشرة ويقوم بعملية النفخ من الطرف الأول، فتتمدد العجينة الزجاجية بالمقدار الذي يسمح به حجم القالب.
النتيجة المتحصل عليها زجاج قريب من الشفاف أو ما يعرف بالزجاج المصنفر، الشكل الخارجي لهذا النوع من المصنوعات الزجاجية لا يتطلب تهذيب، إلا إذا أراد الزجاج تزيينها بالتقنيات المعروفة كالنقش، الكشط أو الترصيع. وقد تفنن الزجاج الفينيقي في تزيين هذا النوع من الزجاجيات [3].

---

[1] D.C.P.P., P, 490.-

[2] - بشير زهدي، المرجع السابق، ص 119.

[3] - نفسه، ص ص 124-125.

2- طريقة النفخ في الهواء:

لقد أدى استخدام تقنية النفخ داخل قوالب إلى تطور في صناعة الزجاج المنفوخ، فخلال القرن الأول الميلادي سيستغني الزجاجون عن القوالب لتتم عملية النفخ في الهواء [1]*.

طريقة النفخ في الهواء تتشبه من حيث المبدأ الأساسي طريقة النفخ في القوالب، فبعد رفع الزجاجة للعجينة الزجاجية يقوم الزَّجَاجْ بعملية النفخ في الهواء بحيث يستمر في النفخ. فتمدد العجينة الزجاجية يبقى مستمر خاصة أنه بإمكانه إبقائها لزجة. بإمكانه تعريضها للحرارة إذا إحتاج الأمر، لغاية الحصول على الشكل المطلوب، وهذه الطريقة تحتاج إلى مهارة ودقة. كما أنها أظهرت البراعة الذوق الفني للزجاجيين الفينيقيين.

لقد ساهم الفينيقيون بدرجة كبيرة في تطوير صناعة الزجاج إذ كان لهم الفضل في تطويرها خاصة بصناعتهم للزجاج الشفاف، كما كان لهم الفضل في نقل هذه الصناعة إلى مناطق خارج الساحل الفينيقي.

---

[1]- مسعود الخوند، المرجع السابق، ص 920.

* الزجاجيون الفينيقيون: تحصل الزجاجيون الفينيقيون بفضل استخدامهم اقنية النفخ في الهواء على الزجاج الشفاف، وقد أشرت إلى هذه التقنية برغم أنها خارج الإطار الزمني للبحث لإظهار استمرار التطوير في صناعة الزجاج عند الفينيقيين.

الفصل الخامس

بناء السفن

المبحث الأول: عوامل نشأة وتطور بناء السفن:

تخصص الفينيقيون في مجال صناعة السفن، فقد عرفوا بين معاصريهم من آشوريين، عبرانيين، وإغريق ومصريين بمهارتهم في هذا المجال [1]، فقد إمتلكوا سفن إستطاعوا السيطرة بها على الطرق التجارية في أرجاء البحر المتوسط لعدة قرون [2]، فقد إرتبطت بناء السفن بالتجارة البحرية. وتطورها إرتبط بالتوسع التجاري [3].

لقد ارتبط ظهور وتطور بناء السفن بعوامل طبيعية دفعت بالفينيقيين ركوب البحر كما ساهمت العوامل التاريخية السياسية في هذا التطور ونذكر فيما يلي أهم هذه العوامل:

المطلب الأول: طبيعة الموقع الجغرافي للساحل الفينيقي:

الساحل الفينيقي بمساحته الضيقة يمتد طوليا بموازاة البحر، حيث يقابله من الشمال إلى الجنوب [4]، وينحصر بين البحر والجبل [5]، فالبحر المتوسط يحده من الغرب على إمتداد طولي والمرتفعات الجبلية تتخلله من الناحية الشرقية هذه الخصائص التضاريسية تمثل العوامل الطبيعية التي دفعت بالفينيقيين للبحر فقد كان الساحل الفينيقي بلدا مدفوعا نحو البحر [6]. يتميز الساحل الفينيقي بضيق المساحة عموما، والمساحة الزراعية خصوصا فالشريط الساحلي ضيق والجبال التي تتخلله زادت من ضيق المساحة. هذا إنعكس على

---

1 - Weil, « **La Phénicie et L'Asie occidentale** » Librairie Armand, Colin, Paris, P 15.

2 - Piero Bartonoli « **Les Navires et la navigation (les phéniciennes sous la direction de Sabatino Moscati),** P 72.

3 - جورج كونتنو، " **الحضارة الفينيقية** "، ص 32.

4 - سباتينو موسكاتي، " **الحضارة الفينيقية** "، ص 22.

5 - جورج كونتنو، نفسه.

6 - فرنان بروديل، المرجع السابق، ص 78.

مساحة الأراضي الصالحة للزراعة، وبالتالي على المنتوجات الزراعية التي تؤمن بالدرجة الأولى حاجيات السكان الغذائية خاصة مع تزايد عدد السكان [1].

للبحر المتوسط مميزات. فرغم إتساع مساحته، يكاد يكون مقفل. ففي الناحية الشرقية يتصل بالبحر الأوسط عبر مضيقي البوسفور والدردنيل، كذلك في الناحية الغربية ما يفصله عن شبه الجزيرة الأيبيرية والساحل الإفريقي مضيق جبل طارق، فسواحله متقاربة إذ يكاد يكون بحيرة [2].

البحر المتوسط بحر هادئ إلى حد كبير، بإستثناء الاضطرابات التي تحدث في فصل الشتاء، فالجو يكاد يكون صحوا في أغلب فصول السنة، فالهدوء الذي يميزه ساهم بشكل كبير في توجه الفينيقيين للملاحة. وصناعة السن التي إرتبط تطورها بسهولة الملاحة في البحر المتوسط [3].

ظروف الملاحة في العصور القديمة وخاصة بالنسبة للملاحين الفينيقيين كانت ملائمة، وعرفوا كيف يستغلون خصائص البحر المتوسط التي نذكر أهمها فيما يلي:

– تقارب سواحل البحر المتوسط في أكثر من موضع [4].

– إنتشار الجزر خاصة في الحوض الشرقي وتقاربها مما جعلها نقاط إرتكاز ملاحية [5].

– اليابسة لاتكاد تغيب عن نظر الملاح في الجو الصافي [6] .

---

[1] – سباتينو موسكاتي، المرجع السابق، ص 22.

[2] – لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 29.

[3] – السيد غلاب، المرجع السابق، ص 39.

[4] – لطفي عبد الوهاب يحي، نفسه، ص 28.

[5] – أحمد حامدة، " **التجارة الكنعانية (الفينيقية) في البحر المتوسط**"، ص 67.

[6] – السيد غلاب، نفسه.

– التيارات البحرية التي تميز بهدوئها النسبي خاصة الحوض الشرقي [1].

– الرياح التي تهب في الإقليم الشرقي للبحر المتوسط بشكل دائم من الشمال إلى الجنوب [2] وقد أحسن الملاحون الفينيقيون استغلالها في توجيه سفنهم. كما كانت لهم دراية بإتجاهات أخرى [3].

ضيق المساحة الزراعية سيدفع بالفينيقيين للتوجه إلى البحر للبحث عن الثروة السمكية. في البحر الموسط المحاذي للساحل الفينيقي [4]، فلم يكن بإمكانهم ذلك إلا بإستخدامهم لوسائل النقل البحري المتمثلة في السفن، فكانت سفنهم الأولى الخاصة بالصيد بسيطة تتلاءم مع نشاطهم خاصة وأنهم لم يتوغلوا في البحر، فقد كانوا يصطادون بالقرب من الساحل [5].

المرتفعات الجبلية ميزة تضاريسية فقد تخللت الجبال الساحل الفينيقي، بشكل يوازي البحر، فنجد الفينيقيين منحصرين بين البحر والجبل وفي بعض الأحيان نجد الجبال تمتد إلى البحر حيث تلامسه، وقد كانت من هذه الناحية عائقا طبيعيا لإمتداد المساحة، كما كانت عائقا أمام تنقل السكان بين مدن الساحل الفينيقي.

ففي بعض المناطق المرتفعات تقترب من البحر. ففي الكثير من المناطق على إمتداد الساحل الفينيقي يتعد المرتفعات الجبلية مسافة تتراوح ما بين إثني عشر كيلومتر وخمسة عشر كيلو متر [6].

---

1 – Maitland, A.E Dey, op.cit, P 270.

2 – السيد غلاب، المرجع السابق، ص، 39.

3 – Maitland, A.E Dey, Ibid.

4 – Jean Meirat, op.cit, PP 46-47.

5 – Piero Bartonoli « **Les Navires et la navigation »** (sous la direction de Sabatino Moscati), P 72.

6 – جورج كونتنو، " **الحضارة الفينيقية** "، ص 33.

المرتفعات الجبلية التي تخللت الساحل الفينيقي جعلته مقسما ومنفصلا في الكثير من المواقع، وبذلك شكلت فعلا عائقا أمام تنقل السكان فوجدوا البحر أسهل طريق [1].

المطلب الثاني: الموقع المطل على البحر:

يمتد الساحل الفينيقي على جزء من الحوض الشرقي للبحر المتوسط، فهذا الأخير يعد الإمتداد الطبيعي لفينيقيا [2]، إذ يحدها بشكل طولي من الشمال إلى الجنوب.

الواجهة البحرية المقابلة للساحل الفينيقي كان لها دور هام في توجه الفينيقيين للبحر، لصيد، والتنقل والتجارة. وقد ساهم كذلك بشكل كبير في تطور صناعة السفن، فخصائص البحر المتوسط ومميزاتها لا نجدها في البحار الأخرى، وفي مجملها شجعت الفينيقيين على الملاحة والتوسع فيما بعد.

المطلب الثالث: توفر الثورة الخشبية:

بالإضافة إلى العوامل السابقة الذكر، إنفرد الفينيقيون بإمتلاكهم للثروة الخشبية التي تُعد أساس قيام صناعة السفن، فالأخشاب المادة الأولية الأساسية التي تتشكل منها السفن.

تعتبر الأخشاب ثروة بالنسبة للفينيقيين، فنجد المساحات الغابية في إقليم الحوض الشرقي للبحر المتوسط. تغطي المرتفعات الجبلية الممتدة خاصة من الناحية الشرقية للساحل الفينيقي **(أنظر الخريطة رقم 02)**. توازي المرتفعات الجبلية البحر الممتدة من الناحية الغربية، وهذا يعد توازن طبيعي فريد من نوعه، فالساحل الفينيقي بمساحته الضيقة ساهمت المرتفعات الجبلية في زيادة ضيق المساحة الزراعية وعرقلت تنقل السكان نحو الداخل أو بين مدن الساحل الفينيقي، لكن من جهة أخرى ساهمت إلى جانب البحر في دفع الفينيقيين لممارسة الملاحة وبالتالي صناعة السفن.

---

[1] – أحمد حامدة، " التجارة الفينيقية (الكنعانية) في البحر المتوسط "، ص 68..

[2] – لطفي عبد الوهاب يحي، " اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري "، دار النهضة العربية، (بيروت)، 1979، ص 28.

تؤكد المصادر الأدبية المعاصرة للحضارة الفينيقية على توفر الأخشاب في فينقيا، وكانت أخشاب للأرز أهم الأنواع الأشجار التي تنمو في إقليم البحر المتوسط[1]. والمعروفة بإسم **أرز لبنان Liban Cedrus** [2]، نسبة إلى المرتفعات الشرقية المعروفة بمرتفعات لبنان[3].

أخشاب الأرز لها عدة مميزات جعلت منها أجود الأخشاب المستخدمة في بناء السفن، فطولها قد يتجاوز أربعون متر، وقطرها قد يتجاوز أربعة أمتار [4]، وقد قدر متوسط طولها بخمسين مترا، كما أنها من الأنواع المستقيمة [5].

لم تكن أخشاب الأرز الثروة الغابية الوحيدة، فإلى جانبه كانت تنمو أشجار السرو والصنوبر [6] والبلوط [7]، المستخدمة أخشابها في صناعة بعض أجزاء السفينة.

المطلب الرابع: الظروف التاريخية السياسية:

بلغت البحرية الفينقية خلال الفترة الممتدة ما بين 1100 قبل الميلاد إلى 800 قبل الميلاد [8]، أقصى تطور. فخلال هذه الفترة أصبحت المدن الفينيقية من الثلاسوقراطيات البحرية، إذ إمتدت سيطرتها على كامل أرجاء البحر المتوسط بحوضيه الشرقي والغربي، بزعامة مدينة صور التي وصلت أساطيلها إلى جميع البحار المعروفة آنذاك [9].

---

1 – السيد غلاب، المرجع السابق، ص 120.

2 – دائرة المعارف، الجزء التاسع، ص 377.

3 – فيليب حتي، "تاريخ لبنان"، ص 20.

4 – G. Herman, op.cit, P39.

5 – دائرة المعارف، نفسه.

6 – أحمد حامدة، "التجارة الكنعانية (الفينقية) في البحر الموسط"، ص 68.

7 – السيد غلاب، نفسه، ص 310..

8 – Lionel Casson, « **Les Marins de L'antiquité** » Hachette, P 92.

9 – Attilo Gaudio, **Les empires de la mers**, René Julliard, Paris, 1962, P; 590.

قبل الفترة المذكورة لم يكن الفينيقيون قد بلغوا في مجال بناء السفن تطورا وإزدهارًا مقارنة ببحريات أخرى كالبحرية الإيجية التي تعد من أولى البحريات في البحر المتوسط فقد سيطروا على الملاحة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط قبل الفينيقيين [1] إلى غاية غزوات الدوريين الذين تسببوا في سقوط البحرية الإيجية وزوال سيطرتهم [2].

العلاقة بين سقوط البحرية الإيجية وإزدهار صناعة السفن وسيطرتهم على الملاحة في البحر المتوسط، نستخلصها من رأي **جورج سارتون** في هذا الموضوع فيما يلي:

"…. يقع موطن الفينيقيين على طول سواحل الطرف الشرقي للبحر المتوسط، فلا عجب أنهم إهتموا إهتماما كبيرا بالملاحة منذ زمن مبكر جدا، كأنهم يقفون في شرفة عالية يدققون منها النظر على حياة البحر المتوسط، فإذا كان الجو صافي إستطاعوا أن يروا بأعينهم تلال قبرص، أمامهم التي لم تزل المركز البارز للحضارة والسوق الكبيرة للتجارة فهي على مقربة من يسارهم لكن المجال ظل ضيقًا أمام الملاحيين الفينيقيين مادامت السيطرة البحرية المينوية باقية عوملوا معاملة القراصنة كلما تجاسروا على التوغل في البحر فلما فقد **الكِرِيتِيّون** السيطرة على البحر حوالي القرن الثاني عشر قبل الميلاد كان الملاحون الفينيقيون على أهبة لأن يخلفوهم وهم قد فعلوا ذلك وفي أهبتهم لذلك و مقدرتهم عليه دليل على إستعداد طويل وإذ جاء تحررهم من رقبة الحكم المصري مع إنهيار السيادة الكريتية، فإنهم إستطاعوا أن يستغلوا الموقف إستغلالا كاملا فلم يلبثوا أن أصبحوا سادة التجارة في البحر المتوسط من غير أن ينافسهم في ذلك أحد سوى الملاحين اليونانيين…." [3].

إرتبط سقوط البحرية الإيجية بتطور صناعة السفن عند الفينيقيين فقبل الآلف الأولى قبل الميلاد لم يكن يملك الفينيقيون أسطولا تجاريا رغم توفر الثروة الخشبية وقدرتهم

---

[1] – Attilio Gaudio, op.cit, P; 590.

[2] – أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 117..

[3] – جورج سارتون، المرجع السابق، الجزء الأول، ص 240.

على بناء سفن تصلح للملاحة البحرية وهذا ما يتأكد لنا من طلب تحتمس الثالث في النصف الأول من القرن الخامس عشر قبل الميلاد عندما أراد نقل الأخشاب. من فينقيا لمصر لم يجد في فينقيا سفنا كافية لنقلها فطلب المساعدة من الأسطول الكريتي [1]، وهذا دليل على تقدم البحرية الإيجية وهذا يؤكد لنا أن السفن الفينيقية في هذه الفترة لم تكن قادرة على منافسة الأسطول الإيجي.

بالإضافة إلى ما سبق هناك آراء أخرى تؤكد أن السفن الفينيقية الأولى كانت على نمط السفن الإيجية وهذا ما نستخلصه من رأي **السيد غلاب** فيما يلي: " ...إن بناءا لسفن التي تستطيع أن تمخر عباب البحر وهي غير السفن النهرية. ظهر أولا في بحر إيجه وإن الدول البحرية قامت في هذه المنطقة وتدل أنماط السفن المنقوشة على الآثار الإيجية على أن الصلة وثيقة بين السفن الفينيقية الأولى وبين السفن القبرصية أي أن السفن الإيجية المتأخرة كانت شبيهة سفن الفينيقيين، وقد سبق أن ذكرنا أن حركة شعوب البحر في النصف الأول من الألف الثانية قبل الميلاد قد أدت إلى إنبعاث شعوب إيجه من كريت وقبرص نحو الساحل الفينيقي والفلسطين وأن هؤلاء حملوا عناصر الحضارة عند ظهور التجارة البحرية ومن ثم كانت السفن الإيجية...." [2].

المبحث الثاني: مراحل بناء السفينة:

تتميز عملية صناعة السفينة بمراحل رئيسية قد تختلف في بعض التفاصيل حسب نوع وحجم السفينة، وقبل الشروع في عملية البناء يحضر الحرفيين الذين نعتبرهم مهندسين مخطط للسفينة، توضح فيه أبعادها، حجمها، شكلها الخارجي وأقسامها الداخلية ليتم بعدها تحديد المواد الأساسية اللازمة لكل جزء من السفينة [3].

---

1 – جورج كونتو، " **الحضارة الفينيقية** "، ص ص 432-434.

2 – السيد غلاب، المرجع السابق، ص 420..

3 – Piero Bartoloni, **(les navires et la navigation)**, les phénicien sous la direction de Sabatino Moscati, P, 72

المطلب الأول: تحضير أجزاء السفينة:

تتم مرحلة تحضير أجزاء السفينة بدءًا من تحضير الأخشاب بإعتبارها المادة الأساسية التي تشكل السفينة حيث تتم عملية قطع الأشجار في المرتفعات الجبلية. وتتم هذه العملية من طرف المختصين من الفينيقيين إذ تشهد المصادر على خبرتهم فقد ورد في سفر الملوك ما يؤكد ذلك: "....فأمر رجالك أن يقطعوا لي أرز من لبنان ورجالي يعاونوهم وأجرة رجالك أدفعها إليك بالمقدار الذي تريد فأنت تعلم أن لا أحد من شعبنا خبير بقطع الخشب مثل الصيد نونيين " [1].

تتم عملية قطع الأخشاب في فصلي الصيف والخريف وهي الفترة الأمثل لعملية القطع. والهدف من ذلك ضمان جفاف الأخشاب لتفادي تشققها عند إستعمالها [2] خاصة وأنها موجهة لصناعة السفن فكان من الضروري تجفيفها إذ تترك في أماكن قطعها ليتم نقلها في فصل جريان مياه الأنهار والوديان [3]، وكثيرة هي المجاري المائية التي تنبع من المرتفعات الجبلية في فينقيا أو تمر بمحاذاتها كما أن أغلبها تصب في البحر المتوسط وبالتالي تكون نقطة بداية المجاري المائية قريبة من أماكن قطع الأخشاب وتنتهي في ورشات صناعة السفن [4] **(أنظر الخريطة رقم 02).**

تعتبر المجاري المائية طرق نقل طبيعية إستفاد منها الفينيقيون في عملية نقل الأخشاب التي تعتبر ثقيلة، وهذا يؤكد لنا تكامل الطبيعة على الساحة الفينيقي وعبقرية الفينيقيين في الاستفادة منها، ونجد عدة مدن فينيقية إشتهرت بصناعة السفن وتجارة الأخشاب كمدينة جيل التي يمر بها نهر ليكوس المعروف حاليا بنهر الكلب ويصب

---

1 – الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الملوك الأول، 5 20.

2 – Barkaoui (A), op.cit, P 161.

3 – جان مازيل، المرجع السابق، ص 40.

4 – Dimitri barmaki , op.cit, P 12.

في البحر المتوسط، كذلك مدينة صور التي إشتهرت بصناعة السفن تتميز بمرور نهر الأورنت إذ يمر بمحاذاة المدينة، فمجراه يتوسط جبال لبنان الشرقية والغربية ويشق طريقه إلى البحر في الجرف الجنوبي لجبال الأمانوس [1] **(أنظر الخريطة رقم 02).**

طريقة التعويم سهلت على الفينيقيين عملية نقل الأخشاب كما أنها طريقة لازالت تستخدم في بعض المناطق لنفس الغرض، كما أنها مفيدة في معالجة الأخشاب قبل إستخدامها، ولم تكن طريقة التعويم الطريقة الوحيدة المستخدمة في نقل الأخشاب، فقد كانت تنقل مباشرة. وهذا ما تؤكده المصادر. فقد ظهر على مشهد لمدينة فينيقية في النقش النافر بقصر سنحاريب (705−681 ق م) عملية قطع ونقل الأخشاب من الغابات إلى البحر **(أنظر الصورة رقم 18).**

كما أكدت أسفار العهد القديم ذلك: "...وأرسل حيرام إلى سليمان بقوله له وصلتني رسالتك وأنا على إستعداد أزودك بكل ما تحتاج إليه من خشب الآرز وخشب السرور ورجالي ينزلونه من لبنان إلى البحر، فأطوفه وأقطره إلى الموضع الذي تسميه لي ..." [2]. وقد تكون هذه الطريقة في نقل الأخشاب خاصة في حالة قطعها للتجارة بها.

إلى جانب تحضير الأخشاب، يتم تحضير المواد الأخرى اللازمة كالأجزاء المصنوعة من المعدن، كالمسامير المستخدمة في تثبيت الألواح [3]، والمدك [4] والكتان المستخدم في حياكة الأشرعة [5]، والقار والشمع المستخدم في عملية الجلفطة والتزييت [6].

---

1 - Dimitri barmaki , op.cit, P 12.

2 - الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الملوك الأول، 5 22-23.

3 - Barkaoui (A), op.cit, P 1610

4 - Casson (L), op.cit, P 130.

5 - فيليب حتي، " **تاريخ لبنان** "، ص 136.

6 - السيد غلاب، المرجع السابق، ص 428.

بعض الباحثين يؤكدون أن الفينيقيين كانوا يقومون ببناء سفنهم في وقت قصير إذ يقومون بالإحتياط المسبق فيعدون القطع المطلوبة مسبقا حسب الطلب [1] ويقومون بتخزينها في مستودعات ورشات صناعة السفن ليتم تركيبها مباشرة .

المطلب الثاني: تركيب أجزاء السفينة:

إستخدم الحرفيون الفينيقيون طريقتين أساسيتين في تركيب أجزاء السفينة وذلك حسب مراحل تطور بناء السفن وهذه الطرق لم تكن خاصة بالفينيقيين وحدهم فقد كانت مستخدمة عند المهمتين من معاصريهم بمجال الملاحة وصناعة السفن كالإغريق الذين إستفادوا من الفينيقيين في هذا المجال والمصريين [2] والآشوريين [3]، وقد يكون هناك إختلاف في بعض التفاصيل .

الطريقة الأولى: تتمثل في تشكيل جسم السفينة عن طريق ترصيع الألواح المشكلة للسفينة حيث تثبت الواحدة فوق الأخرى دون إستخدام صالب القاعدة والألواح في هذه الحالة تكون مزودة بثقوب يتم إدخال الحبال منها لربط الألواح وشدها إلى بعضها البعض وهذه التقنية إستخدمت عند المصريين حسبما يبدو من سفينة خوفو [4]. **(أنظر الصورة رقم 12).**

السفن التي قام ببنائها الفينيقيون حسب الطريقة المذكورة لم تكن سفن قوية فهي صالحة للملاحة النهرية، أو الملاحة الساحلية. حيث كان سفن الفينيقيين الأولى بسيطة إستخدموها للتنقل بين موانئ مدن الساحل الفينيقي التي لا تستغرق مدة طويلة كما أنها كانت تبحر بمحاذاة الساحل فلم تكن سفنهم قوية قادرة على الإبحار لمسافات بعيدة [5].

---

1 – محمد الدنيا، " **الفينيقيون وأساطيرهم** " (الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011)، ص 10.

2 – Barkaoui (A), op.cit, P, 126.

3 – رضا جواد الهاشمي، المرجع السابق، ص، 44.

4 – H. Stierlin, op.cit, P. 26.

5 – Piero Bartonoli « **Les Navires et la navigation (les phéniciennes sous la direction de Sabatino Moscati** » P, 72

الطريقة الثانية: والتي تعتبر أكثر تطورا من الأولى. تتمثل في تقنية البناء على الهيكل المحضر مسبقا أو البناء على قفص بحيث يتم إنجاز هيكل السفينة المكون من صالب القاعدة المتمثل في قطعة خشبية توضع بشكل أفقي ويصنع الصالب عادة من أخشاب السنديان [1]. واستخدام الصالب في صناعة السفن يعد مرحلة جديدة لتطور صناعة السفن القوية حيث يساهم الصالب في الحفاظ على توازن السفينة في البحر، كما أنه يشكل قاعدة للهيكل المكون كذلك من أضلع تشكل ما يشبه القفص، بحيث تثبت الأضلع إستنادا إلى الصالب، وتكون متناظرة وعددها متساوي من الجانبين وهي تحدد حجم وشكل السفينة النهائي ويتم بعدها تغطية الأضلع بالألواح بطريقة التسقيف ويستخدم لتثبيتها المسامير المعدنية التي تضمن تثبيتها بإحكام، وقد عثر الباحثون على مسامير يبلغ طولها إثنان وعشرون سنتمتر وأخرى يصل طولها إلى خمسة وستون سنتمتر [2] .

بالنسبة لإستخدام صالب القاعدة والمسامير المعدنية في هذه الطريقة يعد تطورا، زاد من قوة ومتانة السفينة، فالصالب الممتد في شكل عارضة خشبية من قطعة واحدة. من أخشاب الآرز المتميزة بطولها ومتانتها وصلابتها ومقاومتها، يعد إختيار موفق للفينيقيين لذلك كانت سفنهم قوية بإمكانها الإبحار إلى مسافات بعيدة [3].

الدليل التاريخي على أهمية الصالب في صناعة السفينة، هدية زكر بعل ملك جبيل، الذي قدم هدية للفرعون المصري سمند، صالب من خشب الآرز من قطعة واحدة، فمصر لم تكن بها أشجار تصلح لنصاعة سفن قوية، فقد إعتمدوا في صناعة سفنهم على صالب مؤلف من جزء أو عدة أجزاء، فلم تكن سفنهم تصلح للملاحة البحرية فإقتصرت على الملاحة النهرية.

---

1 - Barkaoui (A), op.cit, P 191.

2 - Ibid, P 162.

3 - فردريك معتوق، المرجع السابق، ص 164.

المطلب الثالث: الجلفطة والتزييت:

بعد الإنتهاء من مرحلة تركيب أجزاء السفينة، تليها في المرحلة الأخيرة عملية الجلفظة والتزييت التي تتم بإستخدام مواد خاصة كالقار والشمع والزيوت وأنواع من الصمغ. تتم عملية الجلفطة بإستخدام مادتي القار والشمع التي كان يجلبها التجار الفينيقيون من منطقة البحر الأوسط [1] وحسب بعض الباحثين كانت تجلب من منطقة البحر الميت[2] وكانت عملية الجلفطة تتم بحشو الشقوق والثقوب بقطع من القماش وتطلى بالقار ليتم بذلك سد الثقوب بإحكام [3]. كما إستخدم الحرفيون الفينيقيون أنواع من الزيوت والصمغ التي كانت تستخرج من الأخشاب المتوفرة في غابات الساحل الفينيقي، حيث تطلى بها السفينة للمحافظة عليها من التلف [4].

الجلفطة لها أهميتها الخاصة في مجال بناء السفن، فالهدف منها كان منع تشقق هيكل السفينة وتمنع تسرب الماء إلى داخل جوف السفينة [5] و بالمواد المستخدمة في عملية الجلفطة تحمي الجزء الخارجي للسفينة المصنوع من الأخشاب التي تتعرض للتلف لكثرة ملامستها لمياه البحر. فيكون بذلك القار مادة عازلة وهذه التقنية التي عرفها الفينيقيون وغيرهم من شعوب الحضارات القديمة تعد في مجملها تقنية بالغة التطور آنذاك [6].

تؤكد المصادر الأدبية إستخدام القار ذو اللون الأسود في طلاء سفنهم وهذا ما نستخلصه مما ذكر هوميروس في الأوديسة في وصفه للسفن التجارية الفينقية التي كانت تتاجر في بلاد الإغريق فيما يلي: ".... وهم قوم يشتهرون بسفنهم وبأنهم أوغاد جشعون فأحضروا معهم تحفا لا عد لها في سفنهم السوداء...." [7].

---

[1] – السيد غلاب، المرجع السابق، ص ص 418– 428.

[2] – فرنان بروديل، المرجع السابق، ص 78.

[3] – مجموعة من المؤلفين، " **شريعة حمورابي، وأصل التشريع في الشرق** "، ترجمة أسامة سراس، الطبعة الرابعة، دار علاء الدين، 2005، ص 127.

[4] – فيليب حتي، " **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين** "، الجزء الأول، ص 105.

[5] – فرنان بروديل، نفسه، ص 78.

[6] – رضا جواد، الهاشمي، المرجع السابق، ص ص 37–49.

[7] – هوميروس، " **الأوديسة** "، ترجمة أمين سلامة، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، 1977–1978، ص 379.

جلفطة السفن تقنية معروفة عند الفينيقيين ومن عاصرهم كسكان بلاد الرافدين، فقد ورد في ملحمة جلمامش إستخدام القار عند بناء السفينة [1]. كما هو عند العبرانيين فقد ورد في سفر التكوين ما يدل على ذلك في المرحلة الأخيرة لإنجاز سفينة نوح: "... وأطلها من داخل ومن خارج بالقار...." [2].

ورد كذلك ما يدل على عملية الجلفطة بإستخدام مادة الزفت، وهذا ما حسب ماورد في سفر الخروج في قصة النبي موسى – عليه السلام – ".... ولما لم يمكنها ان تخبئه بعد اخذت له سفطا من البردي وطلته بالحمر والزفت ووضعت الولد فيه ووضعته بين الحلفاء على حافة النهر ..." [3].

تعد عملية الجلفطة مرحلة هامة وضرورية لإستكمال إنجاز السفينة، فقد كانت عملية تسند إلى مختصين في هذا المجال إذ تتطلب وسائل خاصة كالأفران اللازمة لإذابة مادة القار [4].

إلى جانب إستخدام القار والشمع كانت المعادن كالرصاص من المواد التي استخدمت في حماية الجزء الخارجي للسفينة. فقد كانت صفائح من الرصاص توضع على الجزء السفلي للسفينة بغرض حمايتها من التآكل [5].

المطلب الرابع: طقوس الإنتهاء من بناء السفينة:

بناء السفن لها أهميتها الخاصة، عند الفينيقيين لإرتباطها بجانب مهم من حياتهم الاقتصادية، فلا وجود للتجارة البحرية بدون صناعة السفن لذلك كانت لها أهمية بالغة.

---

[1] – ملحمة جلجامش اللوح الحادي عشر، العمود الثاني، السطر 65-66.

[2] – الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين، 6 14.

[3] – نفسه، سفر الخروج، 2 3.

[4] – رضا جواد الهاشمي، ص 49.

[5] – Piero Bartonoli « **Carthage et le Control des Mers, Les Phéniciens en Algérie, Les Vois du Commerce entre la Méditerranée et la L'Afrique noire** », ministère du Culture, 2011, Algérie.

كما إرتبطت هذه الصناعة بالجانب الديني حيث كانت على الأرجح تقام إحتفالات وطقوس دينية على غرار ما كان يقوم به القدماء عند بناء السفن (❖).

الطقوس والإحتفالات الدينية لم نجد لها ذكر عند الفينقيين بصفة مباشرة لكن ما يكون يقوم به الفينيقيون من تقديم القرابين والنذور إرضاءًا للآلهة عند إبحار السفينة قد يدل على وجود طقوس أخرى.

إرتابطت حياة الفينيقيين بالبحر، المورد الأساسي بثرواته وأسهل طريق لأساطيلهم التجارية، فما كان عليهم إلا إتخاذ آلهة بحرية تحميهم وتضمن سلامتهم خلال رحلاتهم الطويلة، فكانوا يقدمون النذور والقرابين والذبائح البشرية للآلهة [1] آشيرة، والإله يم إله المياه المتمردة وحتى يضمنوا سلامتهم من مخاطر البحر [2].

المبحث الثالث: أجزاء السفينة:

قام الحرفيون الفينيقيون بناء أنواع مختلفة من السفن حسب الغرض من إستخدامها.

فالسفينة التجارية تختلف في بعض الأجزاء عن السفينة الحربية، وتختلف كذلك عن السفن المخصصة للنقل والصيد، فالأجزاء الأساسية قد نجدها متشابهة. وقد تختلف من حيث بعض التفاصيل، كذلك الإختلاف مرتبط بمراحل تطور صناعة السفينة.

المطلب الأول: الصالب:

صالب قاعدة السفينة لما ظهر في السفن الفينيقية الأولى التي كانت تبدو بسيطة ومصنوعة بطريقة ترصيع الألواح، وأصبحت السفن متينة بعد أن أدخل الصالب حيث تكون

❖ – إهتمت شعوب الحضارات القديمة بإرضاء الألهة بتقديمهم للقرابين والنذور وإقامة الطقوس الاحتفالية، على غرار ما كان يقوم به سكان بلاد الرافدين، الذين إهتموا بصناعة السفن، وهذا ما نستخلصه من ملحمة جلجامش، عندما إنتهى أتونا بشتم من بناء السفينة فقد قام بتوزيع النبيذ بكثرة كما قام بتقديم الذبائح، كما كانوا يقومون برمي نموذج للسفينة، عند الدخول للبحر بهدف ضمان سلامتها من الأخطار ولضمان الأرباح التجارية.
أنظر رضا جواد الهاشمي المرجع السابق، ص 47.

[1] – فيليب حتي، " **تاريخ لبنان القديم** "، ص 164.

[2] – خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 248.

الأجزاء أكثر تماسكا، والصالب في السفينة التجارية كان يصنع من خشب الصنوبر المتميز بخفته، أما السفينة الحربية فقد صنع من أخشاب البلوط الأكثر صلابة ومقاومة. نظرا لدور السفينة الحربية وما قد تتعرض له من صدمات [1].

المطلب الثاني: المجاذيف:

زودت السفن الفينيقية بالمجاذيف ويختلف عددها حسب أنواع السفن ودورها.

فعددها يكون في السفينة الحربية كبيرا مقارنة بالسفينة التجارية وسفن النقل والصيد وهذا ما يظهر لنا من خلال النماذج المختلفة للسفن الفينيقية التي ظهرت على النقوش الآشورية منها التي وجدت في قصر سرجون الثاني **(أنظر الصورة رقم 15).**

فسفن النقل تبدو مزودة بمجذافين أما السفن الحربية. فالمجاذيف تبدو من الجانبين صفين وقد يتجاوز عددها من الجانبين عشرين مجذافًا، وقد تزود بأكثر من خمسين مجذافًا من الجانبين في حالة السفينة الحربية ذات الطوابق.

صنع الحرفيون الفينيقيون المجاذيف من أخشاب البلوط وهذا حسبما ذكره حزقيال في نبؤته عن مدينة صور التي وصفها بالسفينة وذكر أجزاءها ومصدر كل جزء منها، فالمجاذيف كانت تصنع من أخشاب البلوط التي كانت تجلب من منطقة باشان "... من بلوط باشان صنعوا مجاذيفك ....." [2]. تحصل الفينيقيون على أخشاب البلوط من مناطق قريبة ومن مرتفعات الساحل الفينيقي، وإختيارهم لهذا النوع من الأخشاب لتميزها بالصلابة. وحسب بلين الأقدم **Pline L'ancien** إستخدمت أنواع أخرى من الأخشاب كالسرو[3] والمتميز بخفة وزنها وطولها القويم [4] وهذا النوع من الأخشاب كانا متوفرا على مرتفعات الساحل الفينيقي [5].

---

[1] - Barkaoui (A), op.cit, P 192.

[2] – الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر حزقيال، 27 6.

[3] – Pline, XVI, 195.

[4] – Barkaoui (A), op.cit, P 191.

[5] – فيليب حتي، " <u>تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين</u> "، الجزء الأول، ص 39.

إختار أنواع من الأخشاب لصناعة المجاذيف تماشيا مع دورها وتتميز المجاذيف بطولها وشكلها الملائم لدورها فالجزء العلوي يتمثل في المقبض حيث يمسك به أجذاف، وتبدو المجاذيف ممتدة بشكل طولي ينتهي بجزء عريض مسطح له دور أساسي والمتمثل في دفع الماء من جانبي السفينة. لذلك أختيرت أنواع الأخشاب الخفيفة الوزن والصلبة [1]. تبدو المجاذيف في بعض أنواع السفن الفينيقية مثبتة عبر فتحات **(أنظر الصورة رقم13)** وتثبيتها عبر فتحات له دور يتمثل في تسهيل حركة المجاذيف. ويمكن التحكم فيها بسهولة كذلك تقلل من الجهد الذي قد يبذله المجذفون.

الهدف الأساسي من إستخدام المجاذيف هو زيادة سرعة السفينة وتوجيهها حسب الإتجاه المرغوب فيه، وعلى الأرجح أن المجاذيف قد استخدمت كجزء أساسي في السفن الفينيقية قبل إستخدامهم للأشرعة [2].

"..... ولكن قوة الريح جرفتهم بعيدا من هناك في عنف ضد رغبتهم ولم يكونوا يقصدون الغدر بي فوصلنا إلى هنا ليلا بعد أن طفنا هائمين، من هنا تدفعنا الريح وبسرعة أخذنا نجذف بهمة حتى بلغنا داخل الميناء...." [3].

نستخلص من خلال ما ذكره هوميروس أن السفينة التجارية الفينيقية كانت مزودة بالشراع. وفي حالة حدوث تقلبات في الجو كما هو الحال بالنسبة للملاحين الفينيقيين الذين غيرت الرياح إتجاه سفينتهم فأعدوا توجيهها بإستخدام للمجاذيف.

إضافة إلى المصادر الأدبية التي تأكد من خلالها إستخدام الملاحين الفينيقيين للمجاذيف، في السن التجارية فقد استخدمت كذلك في سفن النقل البسيطة كما تبدو سفن نقل الأخشاب التي تبدو في مشهد بقصر سنحاريب، حيث ظهرت المجاذيف التي تتعدى إثنين

---

1 – Barkaoui (A), Ibid.

2 – Maitland (A), E Dey, op.cit, P 40.

3 – هوميروس، " **الأوديسة** "، ص 351.

من الجانبين إذ إعتبرنا أن الجهة الخلفية من المشهد بها نفس العدد **(أنظر الصورة رقم15)** كذلك بالنسبة لسفن النقل التي ظهرت على البوابات البرونزية في بلوات Balawat **(أنظر الصورة رقم 16).**

استخدمت المجاذيف في السفن الحربية بأعداد كبيرة نظرا لدورها، فالسفينة الحربية توجه حسب الضرورة مما يتطلب سرعة في توجهها، كما أن العدد الكبير يتناسب مع شكل السفينة المتميزة بطولها **(أنظر الصورة رقم13)** فقد يتراوح عددها من الجانبين بحوالي أكثر من عشرين مجذاف وقد يتجاوز عددها الخمسين في حالة السفن ذات الطوابق.

المطلب الثالث: الشراع:

يعد الشراع أو ما يعرف كذلك بالقلاع [1]، جزء هام من أجزاء السفينة خاصة التجارية وعلى الأرجح أن أول من إستخدم الشراع هم قدماء المصريين الذين إهتموا بصناعة السفن النهرية.

تحاك الأشرعة عند الفينيقيين من مادة الكتان [2] التي كان يتحصل عليها التجار الفينيقيين من مصر، هذه الأخيرة التي عرفت بكثرة نمو هذا النوع من النباتات والمستخدم في حياكة الأنسجة [3] وهذا ما يؤكده حزقيال في نبؤته عن مدينته صور فقد ذكر ما يلي:

".... الكتان الموشى من مصر نشرته شراعا وراية " [4].

استخدم الملاحون الفينيقيون الأشرعة بهدف الاستفادة من قوة الرياح والتيارات البحرية التي تدفع بالسفينة والتي كان الملاحون يدركون إتجاهاتها حسب مواسم محددة، وقد زودت السفن الفينيقية بشراع واحد مربع الشكل وقد تكون مزودة بأكثر من شراع، فقد ظهرت بعض السفن التجارية مزودة بشراع رئيسي كبير الحجم، مثبت على الساري المركزي وشراع ثان

---

1 – رضا جواد الهاشمي، المرجع السابق، ص 52.

2 – فيليب حتي، " **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين** "، ص 136.

3 – أحمد حامدة، " **التجارة الكنعانية (الفينيقية) في البحر المتوسط** "، ص 69.

4 – الكتاب المقدس، العهد القديم، حزقيال، 27 7.

أصغر منه مثبت على ساري ثانوي مثبت في مؤخرة السفينة والهدف منه كان للاستفادة من الرياح الخلفية [1]. أما لون الشراع فحسب بعض الباحثين كان أرجوانيا [2].

المطلب الرابع: الساري.

يعتبر الساري جزء مهم في السفينة المزودة بشراع، ويتمثل الساري في عمود خشبي يثبت عادة في وسط السفينة، والهدف منه تثبيت الدوقل، فيأخذ الساري موضعه العمودي ويثبت عليه الدوقل بشكل أفقي ويكون بذلك توازن في السفينة.

يتم تثبيت الساري عبر ثقب ليخترق سطح السفينة ويمر ليصل إلى صالب القاعدة وهذا يزيد كذلك من توازن السفينة [3] وعادة السفن تزود ساري مركزي كما قد تزود ساري ثانوي يثبت عليه شراع صغير خلفي [4].

المطلب الخامس: الدوقل.

يتمثل الدوقل في قطعة طويلة من الأخشاب تثبت في أعلى الساري بشكل متقاطع حيث يثبت عليها الشراع من الأعلى، فيسدل في حالة إستخدامه ويطوى في حالة عدم إستعماله [5] **(أنظر الصورة رقم 20).**

يصنع الدوقل من أنواع الأخشاب الخفيفة، كالسرو فقد نصح القدماء بصنع الدوقل من أخشاب السرو الخفيفة [6]، ويستخدم في بعض السفن دوقل واحد وفي بعض الأحيان يستعمل دوقلين متوازيين حيث يثبت الأول في الأعلى والثاني في الأسفل . ويثبت عليهما الشراع ويربط الدوقلان بحبال تستخدم للتحكم في حالة فتحه أو طيه عند الدخول للميناء للرسو أو في حالة تغير الجو [7].

---

1 - Casson (L), op.cit, P 111.

2 - خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 210.

3 - Georges Conteneau. **" Mission Archéologique A Sidon 1914"**, (Syria II, 1920), P 39.

4 - Maitland (A), E Deyn op.cit, P 42.

5 - M. Gras, P., Rouillllard, op.cit, P 133.

6 - Barkaoui (A), op.cit, P 171.

7 - Maithand, A.Edey, op.cit, P 45.

المطلب السادس: الحبال.

يتطلب تثبيت بعض أجزاء السفينة إستخدام الحبال، فقد إستخدمت الحبال في السفن التجارية المتميزة بالشراع، والتحكم فيه يتطلب وجود الحبال، فتثبيت الشراع يتطلب إستخدام الحبال القوية، وعادة يثبت الشراع بحبل رئيسي وقد يزداد عدد الحبال المستخدمة حسب أبعاد الشراع [1] ويظهر من مشهد السفن التجارية الراسية بميناء مصري، حبال متعددة ومتساوية العدد من الجانبين حيث تظهر بشكل تناظري على جانبي الساري وعددها ثمانية.

تثبيت أجزاء السفينة بالحبال لم يكن عشوائيا، وحتى ربطها كان يتطلب عقد خاصة وقد وضع **سباتينو موسكاتي Sabatino Moscati** تصورا لنماذج من العقد المستخدمة قديما على السفن (**أنظر الصورة رقم17**).

المطلب السابع: الدفة.

تعد الدفة أو ما يعرف كذلك بالكوثل، من الأجزاء التي تميز السفن التجارية والحربية وحتى سفن النقل البسيطة، وهذا حسبما يبدو من النماذج المختلفة للسفن الفينيقية (**أنظر الصور رقم21**). وتعرف الدفة كذلك بالسكان ويقصد بمعناه أنه تسكن به السفينة عن الحركة والإضطراب [2]. تظهر الدفة بشكل المجذاف العريض في نهايته بحيث تكون الدفة قصيرة، تثبت من الجانبين في مؤخرة السفينة، من الجهتين واحدة في الجهة اليمنى والأخرى في الجهة اليسرى.

تظهر الدفة كذلك بشكل مختلف، فقد ظهرت في سفن النقل الفينيقية في مشهد السفن في قصر سنحاريب بشكل مجذاف لا ينتهي بنهاية عريضة. كما يكون عليه عادة وهذا الاختلاف قد يكون سببه نوع وحجم السفينة.

---

[1] – آيت عمارة ويزة، " **دور السفينة في التجارة والتوسع الإستيطاني في البحر المتوسط** "، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، إشراف محمد البشير شنتي، معهد التاريخ (1995)، ص 82.

[2] – رضا جواد الهاشمي، المرجع السابق، ص 50.

المطلب الثامن: المنخس.

يعرف المنخس بالمهماز أو المدك [1] زودت به السفن الحربية حيث يثبت في مقدمتها، ويرجح بعض الباحثين أن الفينيقيين هم أول من إستخدمه في سفنهم وكان ذلك حوالي 1000 قبل الميلاد [2].

يتمثل المنخس في الجزء البارز في مقدمة السفينة الحربية [3] حيث يبدو ممتد نحو الأمام بنهاية مدببة [4]. والهدف من تثبيت في المقدمة لاستخدامه كسلاح ملحق بالسفينة فدوره كان يتمثل في تحطيم السفن المعادية [5]. **(أنظر الصورة رقم 13).**

كما يسهل إندفاع السفينة[6] نحو الأمام بشقه للأمواج، ويثبت المنخس في مقدمة السفينة مع مستوى الماء [7]، وهذا حسبما يظهر من خلال بعض نماذج السفن الحربية الفينيقية. وفي بعض السفن التجارية فربما كانت تزود بالمنخس بغرض الحماية لأنها تتعرض لأخطار أو ربما كان لهذا النوع من السفن دورين تجاري وحربي، فحتى الأساطيل التجارية كانت تتطلب الحماية خلال رحلاتها البحرية الطويلة [8]. يصنع المنخس عادة من المعادن، التي كانت من المواد المستخدمة في صناعة بعض أجزاء السفينة، والغرض من صنع المنخس من المعدن يجعله أكثر فعالية في أداء دوره [9].

كما أنه أداة لمقاومة الصدمات التي قد تتعرض لها السفينة، وطريقة إستخدام المنخس تتم وفق حركة بسيطة حيث تتحرك السفينة إلى الخلف ثم تدفع بقوة إلى الأمام

---

1 – فيليب حتي، " **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين** "، ص 136.

2 – Maitland, A.Edey, op.cit, P 46.

3 – Daniel Costelle, **«Histoire De La Marine »** (Larousse,1979), P 13.

4 – محمود شاكر، **موسوعة الحضارات القديمة والحديثة وتاريخ الأمم** ، (دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2002)، ص 239.

5 – Barkaoui (A), op.cit, P 203.

6 – Dictionnaire de la Bible, Tome 4, P 506.

7 – Barkaoui (A), Ibid.

Mario (N))Sabatino (M

8 – Sabatino (M), Mario (N), **«Phéniciens et Grecs En Méditerranée»**, (édition Atlas, 1978), P 18

9 – Barkaoui (A), Ibid.

بإستخدام المجاذيف، فيحدث المنخس ثغرة في السفينة المقابلة مما يسمح يتسرب الماء فتغرق السفينة [1].

المطلب التاسع: مقدمة ومؤخرة السفينة.

حسب نماذج السفن الفينيقية التي ظهرت على الشواهد الأثرية يمكن تمييز المقدمة عن المؤخرة. فحسب مشاهد السفن التجارية الراسية بإحدى موانئ مصر والتي تعود إلى حوالي 1400 قبل الميلاد تظهر المقدمة والمؤخرة مرتفعتان بنفس المستوى[2] **(أنظر الصورة رقم19 و20).** نفس الميزة ظهرت على السفن الفينيقية في النقوش الآشورية **(أنظر الصورة رقم 15).** حيث تبدو المؤخرة والمقدمة على نفس الإرتفاع والشكل.

تميزت السفن الحربية بمقدمة ممتدة أفقيا مع مستوى الماء وفي هذه الحالة تكون المقدمة مزودة بالمنخس. بينما تظهر مؤخرة السفينة مرتفعة ومحدودية نحو الداخل، ظهرت مقدمة بعض النماذج للسفن الفينيقية بمقدمة مزخرفة برؤوس حيوانية مثل السفن التي ظهرت على النوافر الآشورية حيث تبدو على شكل رأس حصان **(أنظر الصورة رقم15)** وهذا النوع من الزخرفة لم يكن خاصا بالسفن الفينيقية فقد كانت عرفا جاريا في مقدمة السفن القديمة[3].

ظهرت كذلك مؤخرة بعض السفن الفينيقية على شكل ذيل سمكة **(أنظر الصورة رقم 15)** كما ظهرت مرتفعة على شكل رقبة البجع [4] **(أنظر الصورة رقم 15).**

المطلب العاشر: المرساة.

زودت السفن الفينيقية بالمرساة أو ما يعرف كذلك بالغاطس [5] وهي أداة إستخدمها الملاحون منذ أقدم العصور، دورها الأساسي أثناء إرساء السفينة في الميناء وقد أكدت

---

1 – محمد إبراهيم بكر، " **قراءات في حضارة الإغريق القديمة** " الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002، ص 47.

2 – Georges Daressy. **“ Une Flottille Phénicienne D’après une Peinture Egyptienne“**, (Revue Archeologique, T XX, V II, 1895), P 287.

3 – جورج كونتنو، " **الحضارة الفينيقية** "، ص 355

4 – Georges Contenau. **“ Mission Archéologique A Sidon“**, 1914, P 382.

5 – أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 53.

المصادر الأدبية والأثرية، ففي سياق حديث هيرودوت عن الرحلة التي قام الملاحون الفينيقيون حين قادوا أسطول نخاو الثاني، خلال الرحلة كانوا يتوقفون كلما حل الخريف: ".... وكلما حل الخريف ألقوا بمراسيهم ...." [1] وقد أكدت كذلك عثر على بعض المراسي المصنوعة من الحجارة، بالقرب من الساحل الفينيقي [2]، فقد استخدمت الحجارة في صناعة المراسي الثقيلة [3].

استخدمت كذلك المعادن في صناعة المراسي كالحديد والبرونز، وحتى من الفضة فحسب **ديودور الصقلي،** إستبدل الملاحون الفينيقيون مراسيهم المصنوعة من الرصاص بمراسي من الفضة، عند نزولهم بشبه الجزيرة الأيبيرية لكثرة الفضة في المكان [4].

المراسي لم تكن تستخدم في إرساء السفينة فقط، فالمراسي كانت كذلك من ضمن ما يقدم من القرابين والنذور، فربان السفينة عند عودته إلى موطنه، بعد أن نجى من أخطار البحر كان يقدم مرساة سفينته إلى الإله، فالمراسي كانت رمزا للأمان والخلاص [5].

المطلب الحادي عشر: السلالم.

زودت السفن الفينيقية بسلام، تستخدم عند النزول والصعود من السفينة، وهذا حسب ما ظهر على الشواهد الأثرية التي ظهرت عليها السفن الفينيقية [6] **(أنظر الصورة رقم 20).**

من خلال ما سبق يمكن أن نستنتج أن الفينيقيين قد قاموا بصناعة سفن متينة وقوية، فقد إختارو لأجزائها أفضل ما توفر لهم من أخشاب، كل جزء صنع من خشب ملائم. فأخشاب الآرز الصلبة القوية والمتينة خصصت لصناعة الصالب والبلوط لصناعة

---

1 - Hérodote, IV, 42.

2 - أونور فروست، " **جزيرة أرواد صخورها البحرية ومراسيها** "، ترجمة بكري الأسود، (الحوليات الأثرية السورية، المجلد 14، 1964)، ص 255.

3 - فردريك معتوق، المرجع السابق، ص 148.

4 - Diodore De Sicile, V, 35, 15.

5 - فردريك معتوق، نفسه، ص 148.

6 - Casson (L), op.cit, P 115.

المجاذيف فالبلوط متين ويلوى دون أن يكسر، والسرو النوع المقاوم لا تخترقه مياه البحر والكتان خصص للأشرعة. فهو متين وناعم، وهذا الاختيار لم يكن عشوائيا ويدل على خبرة الفينيقيين وإدراكهم لخاصية كل نوع من الأخشاب ومدى ملائمتها لكل جزء حسب وظيفته [1].

المبحث الرابع: أنواع السفن الفينيقية:

إهتم الفينيقيون بصناعة أنواع من السفن تختلف في خصائصها حسب مجال إستخدامها، فنجد سفن النقل والصيد أولى النماذج للسفن الفينيقية، كما إهتموا بصناعة السفن الحربية، وقد تخصصوا في صناعة السفن التجارية لإرتباطها بنشاط التجارة البحرية.

المطلب الأول: سفن النقل والصيد:

إستخدم الفينيقيون سفن الصيد البسيطة وقد تكون أولى نماذج السفن التي صنعها الفينيقيون [2]، فقد توجهوا للبحر في مرحلة مبكرة بهدف تلبية حاجياتهم الغذائية من صيد الأسماك، المتوفرة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط [3] إلى جانب إستخدامها في صيد أصداف الموركس المستخدمة في صباغة الأنسجة.

إهتم الفينيقيون بصناعة سفن النقل المتميزة بصغر حجمها فهي قليلة الإرتفاع، حيث تبدو مثل الزوارق المكشوفة وهذا حسب النماذج التي ظهرت على نوافر قصر سرجون الثاني، حيث ظهرت بحمولتها من الأخشاب المثبتة على المؤخرة، تبدو كذلك غير متسعة لعدد كبير من الركاب بحيث تبدو بمجذف واحد **(أنظر الصورة رقم 15).**

---

[1] – فردريك معتوق، المرجع السابق، ص 163.

[2] – محمود شاكر، المرجع السابق، ص 238.

[3] – J. Meirat, op.cit, P 49.

ظهرت سفن النقل البسيطة إلى جانب السفن التجارية الضخمة، فقد كانت مخصصة لنقل الحمولات الخفيفة. فلا تحتاج إلى عدد كبير من المجذفين أو أشرعة [1] و قد كانت تسحب إلى الشاطئ. حسبما يبدو على نماذج سفن فينيقية ظهرت على البوابات البرونزية في بلاوت Balawat [2] **(أنظر الصورة رقم 16).**

الخصائص العامة لسفن النقل أنها تتميز بشكلها التناظري، فالمقدمة والمؤخرة مرتفعتان بشكل عمودي، وعلى نفس المستوى بإمتداد بسيط يظهر في المؤرخة مقارنة بالمقدمة [3] **(أنظر الصورة رقم 15).**

تبدو كذلك من نماذج سفن النقل أن الدفة مثبتة في مؤخرة السفينة وتتكون من قطعتين واحدة إلى اليمين وأخرى إلى اليسار، وعلى ما يبدو أن هذا النوع من السفن تبحر بإستخدام المجاذيف، فلم يظهر وجود الشراع أو الساري [4].

المطلب الثاني: السفينة الحربية:

عرف عن الفينيقيين أنهم من أكثر الشعوب المساهمين قديما، فلم يكن لديهم إهتمام بالجانب العسكري، فإهتمامهم الأول كان التجارة البحرية، لكن المصادر الأدبية والأثرية تؤكد ناعتهم للسفن الحربية [*]، والتي كانت تبحر إلى جانب السفن التجارية بغرض الحماية[5].

تتميز السفينة الحربية من حيث شكلها، حجمها وبعض أجزائها عن أنواع السفن الأخرى، بمميزات وخصائص نذكرها فيما يلي:

---

1 - Maitland, A.Edey, op.cit, P 88.

2 - Georges Contenau. **“ Un Bas Relief Assirien Du Musée Louver “**, (Journal Asiatique, T IX, 1917), P-P 182-183.

3 - Georges Contenau. **“ Mission Archéologique A Sidon“**, (Syria, II, 1920) PP 38-39.

4 - جورج كونتنو، " **الحضارة الفينيقية** "، ص 354.

* - كان ملوك آشور كلما أرادوا القيام بحملات عسكرية بحرية لجأوا إلى الفينيقيين المختصين في صناعة السفن، عند مهاجمته لبلاد عيلام، عبر البحر نزولا من دجلة والفرات. وهي سفن متطابقة الشكل مع السفن الفينيقية، فقد ظهرت سفن الآشوريين الخاصة بالملاحة النهرية مصنوعة من المواد المحلية كالقصب وإستمر الفينيقيون بتقديم خبرتهم في هذا المجال حتى في الفترة الفارسية خلال الحروب الميدية. (**أنظر** جورج كونتنو، نفسه، رضا جواد الهاشمي، المرجع السابق، ص 44. فيليب حتي، " **تاريخ لبنان** "، ص ص 187-188).

Georges Contenau. “ Un Bas Relief Assirien Du Musée Louver “, P 183.

5 - Maitland, A.Edey, op.cit, P, 44.

– السفينة الحربية خفيفة وسريعة تماشيا مع مجال إستخدامها [1].

– تتميز بطولها وضيقها، حيث عرضها يكون بقدر ما يتسع تعدد صفوف المجذفين عكس السفينة التجارية [2].

– السفينة الحربية غير مرتفعة الجوانب في أغلب أنواعها [3].

– السفينة الحربية مزودة بعدد كبير من المجاذيف لضمان سرعتها وخفة حركتها.

– عدد المجذفين يزداد بزيادة عدد المجاذيف، فحركة السفينة وسرعتها مرتبطة بالجهد المبذول من المجذفين [4].

– زيادة عدد المجذفين والمجاذيف تزيد من قدرة التحكم في السفينة خلال الأوقات الصعبة [5].

– قد يبلغ عدد المجاذيف في السفن الحربية الخمسين مجذاف [6] وقد تكون موضوعة في صفين من كل جانب، أو مزدوجة الصفوف من كل جهة كما يبدو في سفينة **البيرام Bireme**.

– قد تكون السفينة الحربية متعددة الطوابق، كما يبدو في السفينة الثلاثية .

– السفينة الحربية بمقدمتها مزودة بسلاح المهماز، المصنوع من المعدن [7].

– بعض النماذج من السفن الحربية مزودة بـ **Bastinage** وهو عبارة عن قوائم منظمة يعلوها متكأ تظهر على حواف السفن الحربية والتجارية. وفي السفينة الحربية يخصص لتعليق تروس المحاربين [8].

---

[1] Février (G), **Les Origines de la Marine Phénicienne** (Revue D'histoire de La Philosophie et L'Histoire – Général De La Civilisation, 3 Années 1935), P 1935.

[2] ZVI. Herman, op.cit, P 87.–

[3] Maithand, A.E Dey, op.cit, P 44.–

[4] ZIV. Herman, Ibid, P 44.–

[5] Ibid.–

[6] – فيليب حتي، "تاريخ لبنان"، ص 136.

[7] Daniel Costelle, op.cit., P 13.–

[8] ZIV. Herman, P 87.–

– السفينة الحربية مزودة بشراع يستخدم عادة خارج أوقات الخطر [1].

المطلب الثالث: السفينة التجارية.

تطورت صناعة السفن عند الفينيقيين تدريجيا، تماشيا مع تطور الملاحة، فقد أصبح الملاحون الفينيقيون يقومون برحلات بحرية بعيدا عن الساحل الفينيقي. فأبحروا إلى الجزر القريبة. ووصلوا إلى موانئ مصر وبلاد الإغريق وخلال هذه المرحلة ظهرت سفن ذات حجم أكبر من السفن الأولى، المتمثلة في سفن النقل البسيطة التي كانت تحاذي الساحل في الرحلات التجارية الأولى [2].

خلال المرحلة التي أبحر فيها الفينيقي من الحوض الشرقي إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط ووصولا إلى المحيط الأطلسي أصبح بإمكان الفينيقيين صناعة سفن قوية ومتينة يمكنها الإبحار إلى مسافات بعيدة وهذا يدل على متانة وصلابة السفن التي صنعت بدقة وبعد خبرة طويلة في مجال صناعة السفن.

قليلة هي المصادر الأثرية التي يمكن أن تصرف لنا السفينة التجارية ويمكن أن نقدمه من خصائص يمكن أن نستخلصه من بعض المعطيات الأثرية المتمثلة في النقوش الآشورية، ومشهد وصول السفن التجارية في أحد الموانئ المصرية، بالإضافة إلى ما ورد في المصادر الأدبية ونخص بالذكر سفر حزقيال الذي وصف السفينة التجارية الصورية قبل رثائه لصور، ويمكن أن نستخلص ما ذكره فيما يلي: " عملوا كل ألواحك من سرو نسيد أخذوا أرزًا من لبنان يصنعوه لكل سواري، صنعوا من بلوط باشان مجاذيفك، صنعوا.... كتان مطرز من مصر هو شراعك يكون لك راية، الاسمانجوني، والأرجوان من جزائر أليشة

---

[1] – ZIV. Herman, P 87.

[2] – شيماء عبد الباقي محمود، **صناعة السفن الحربية في مدن البحر المتوسط وكيفية تطورها عند المسلمين خلال القرن الأول الهجري، السابع الميلادي**، (مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجلد 7، العدد 3، 2012)، ص، 4.

كانا غطاؤك، أهل صيدون وأرواد كانوا ملاحيك، حكماؤك يا صور الذين كانوا فيهم هو ربابينك . شيوخ الجبيل وحكماؤك كانوا فيك قلافوك ..." [1].

حسب وصف حزقيال السابق ذكره للسفينة التجارية الفينيقية، تبدو أنها كانت سفينة متينة، صنعت من أفضل المواد التي توفرت للفينيقيين أو جلبوها من خارج فينقيا، كأخشاب الآرز القوية، والسرو المقاوم، وأخشاب البلوط المتينة. وأشرعتها من الكتان الناعم، وحتى طاقم السفينة كان من المختصين في المدن الفينيقية. فالربان والبحارة كانوا من مدينة صور أما المجذفين فكانوا من مدينتي صيدا وآرواد، أما الجلفطة فقد كانوا من مدينة جبيل. **(أنظر ملحق النصوص رقم 02)**

يمكن أن نستخلص خصائص السفينة التجارية من مصادر أخرى خاصة من مشهد وصول الأسطول التجاري على قبور طيبة بمصر **(أنظر الصورة رقم 19 و20)**.

– تظهر السفينة التجارية بمقدمة ومؤرخة مرتفعتين. حيث تبدو المؤخرة مزودة بدفتين مثبتين على الجانبين الأيمن والأيسر [2].

– تتميز بساري مركزي واحد مثبت في وسط السفينة والهدف منه الحفاظ على توازن السفينة [3].

– السفينة التجارية مزودة بشراع مربع الشكل مثبت بواسطة حبال رئيسية وأخرى ثانوية، بحيث يمكن التحكم في وضعية الشراع، وهذا الأخير يعد جزء مهم، فالأساطيل التجارية تبحر في مواسم محددة معتمدة على إتجاه الرياح والتيارات البحرية، التي تساعد في دفع السفينة بالإتجاه المرغوب فيه [4].

---

1 – الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر حزقيال،27، 5-8.

2 – Attilio Gaudio, op.cit, P; 51.

3 – Ibid.

4 – Maitland, A.Edey, op.cit, P 45.

- السفينة التجارية تتميز بحجمها الكبير وشكلها المستدير وهذا مقارنة بالسفن الحربية، فتكون سفينة مجوفة وواسعة [1].

- حسبما ذكره هوميروس كانت السفن التجارية الفينيقية ذات لون أسود، فقد كانت تطلى بالقار من الخارج [2].

- عرض السفينة التجارية يساوي ثلث أو ربع طولها حيث تتراوح ما بين ثمانية وخمسة وعشرون مترا [3]. **(أنظر الصورة رقم 21).**

---

1 - Maithand, A.Edey, op.cit, P, 45.

2 - هوميروس، " **الأوديسة** "، ص 351.

3 - Ibid, P 460.

الباب الثاني

التجـــارة البحريـــــة

الفصل الأول:

الطرق التجاريـــة

المبحث الأول: دوافع توجه الفينيقيين للتجارة البحرية:

مارس الفينيقيون التجارة البرية وخاصة البحرية على نطاق واسع فلا يكاد يذكر الفينيقيون وإلا كان يقصد بهم التجار البحريون، فهم من الشعوب السامية، فصفتهم الغالبة أنهم مارسوا التجارة لكنهم تميزوا عن غيرهم من الشعوب السامية لإهتمامهم الواسع بالتجارة البحرية [1]، وكان هذا نتيجة لظروف طبيعية وتاريخية، دفعت بالفينيقيين للتوجه إلى التجارة البحرية فأصبحوا رواد التجارة البحرية بين الشرق والغرب خلال فترة زمنية تجاوزت ثلاث قرون [2].

المطلب الأول: الدوافع الطبيعية.

عاش الفينيقيون على شريط ساحلي له خصائص سمحت للفينيقيين بممارسة نشاطات إقتصادية مختلفة، أول هذه النشاطات كانت الزراعة. نظرا لخصوبة التربة، لكن المساحة الزراعية كانت محدودة نظرا لكون الساحل للفينيقي شريط ضيق. يتخلله في كثير من المواقع[3] **(أنظر الخريطة 02)** المرتفعات الجبلية التي تمتد في شكل سلاسل، حيث عرقلت الامتداد الطبيعي للأراضي الزراعية والسهول.

وبالرغم من إجهتاد الفينيقيين في هذا المجال بوضع المدرجات على سفوح الجبال لاستغلال الأراضي الخصبة بالقدر الممكن، دفعتهم هذه الظروف الطبيعية للبحث من موارد أخرى، فتوجهوا للبحر في أول الأمر للبحث عن مصدر للغذاء فكان يقومون بصيد الأسماك. لم يكن ركوب البحر في أول الأمر من أجل تأمين الغذاء فقط فالظروف الطبيعية من حيث التضاريس جعلت التنقل صعبا بين المدن الفينيقية التي فرضت عليها أن الطبيعة أن تكون عزلة عن بعضها بسبب المرتفعات التي تمتد في كثير من المناطق حتى البحر، فقد عرقلت

---

[1] - أنور الرفاعي، شاكر مصطفى، " **معالم الحضارات** "، ط 1، الطبعة الهاشمية، 1947، ص 46.

[2] - أحمد حامدة، **التجارة الكنعانية الفينيقية**، ص 68.

[3] - سباتينو موسكاتي، " **الحضارة الفينيقية** "، ص 24.

التنقل، مما دفع بالفينيقيين لركوب البحر، فقد كان أسهل طريق بين المدن الفينيقية فكانت عملية التنقل تتم بإستخدام السفن البسيطة [1].

ساهمت طبيعة الساحل الفينيقي المتميزة بالتعرجات الملائمة لإنشاء الموانئ، فالرؤوس والخلجان كانت أماكن طبيعية تصلح لرسو السفن وسرعان ما أدخل عليها الفينيقيون إصلاحات وتحسينات لتصبح موانئ مؤمنة لرسو السفن [2]. ويكون الفينيقيون قد إستغلوا ظروفهم الطبيعية أحسن استغلال فلم يكن الموقع المطل على البحر الميزة الهامة، فقد إمتلك الفينيقيون ثروة خشبية ساهمت بشكل كبير في تطور الملاحة [3]، فالأخشاب تعتبر المادية الأساسية لصناعة السفن التي تخصص الفينيقيون في صناعتها.

إكتملت الظروف الطبيعية الملائمة لقيام الفينيقيين بالتجارة البحرية فقد كان موقع الساحل الفينيقي مركزا هاما تلتقي وتنتهي فيه الطرق التجارية الرئيسية، سواء البرية أو البحرية فالمناطق الداخلية إرتكزت فيها تجارة القوافل [4] فكانت المدن الفينيقية مركزا للبضائع المختلفة التي كان يعاد تستخدمها وتصديرها [5].

المطلب الثاني: الدوافع السياسية.

حاول الفينيقيون الخروج من دائرة التنافس المتعدد الأهداف في المنطقة، فكان خيارهم ركوب البحر، خاصة وأن هذه الأوضاع تزامنت مع سقوط البحرية الإيجية التي كان لها تأثير بالغ الأهمية على حياة الفينيقيين الاقتصادية.

وهذا ما نستخلصه من رأي جورج سارتون: " .... يقع موطن الفينيقيين على طول سواحل الطرف الشرقي للبحر المتوسط، فلا عجب أنهم إهتموا إهتماما كبيرا بالملاحة منذ زمن مبكرا

---

[1] - السيد غلاب، المرجع السابق، ص 426.

[2] - عبد الفتاح محمد وهيبة، "**مصر والعالم القديم، جغرافية تاريخية**"، در النهضة العربية، 1972، ص 160.

[3] - G. Herm, op.cit, P 790.

[4] - السيد غلاب، نفسه، ص 112.

[5] - G. Herm, Ibid

جدًا، كأنهم يقفون في شرفة عالية يدققون منها النظر على حياة البحر المتوسط، فإذا كان الجو صافيا إستطاعوا أن يروا بأعينهم تلال قبرص.

أما مصر التي لم تزل المركز البارز للحضارة والسوق الكبيرة للتجارة فهي على مقربة من يسارهم. لكن المجال ظل ضيقا أمام الملاحين الفينيقيين مادامت السيطرة البحرية المينوية باقية عوملوا معاملة القراصنة كلما تجاسروا على التوغل في البحر فلما فقد الكرتيون السيطرة على البحر حوالي الثاني عشر قبل الميلاد، كان الملاحون الفينيقيون على أهبة لأن يخلفوهم وهم قد فعلوا ذلك وفي أهبتهم لذلك ومقدرتهم عليه دليل كاف على استعداد طويل وإذا جاء تحررهم من الحكم المصري، مع إنهيار البحرية الكريتية، فإنهم إستطاعوا أن يستغلوا الموقف استغلالا كاملا، فلم يلبثوا أن أصبحوا سادة الاتجار في البحر المتوسط من غير أن ينافسهم في ذلك أحد سوى الملاحيين ....." [1].

فسقوط البحرية الإيجية [2] فتح المجال أمام التوسع الفنيقي بدون منافسة.

فقد كان للفينيقيين استعداد لركوب البحر، والبحث عن مناطق للتوسع التجاري خارج دائرة التنافس في الحوض الشرقي للمتوسط. فكما سبق الذكر، فينقيا كانت ملتقى الطرق التجارية، فقد ربطت بموقفها الاستراتيجي بين التجارة البرية والبحرية، وبإعتبارها المنفذ البحري لبعض القوى الداخلية وقعت في دائرة التنافس والحملات، فكان سقوط البحرية الإيجية عاملا سياسيا ساهم في دفع الفينيقيين لركوب البحر والخروج من دائرة الصراعات والتنافس.

---

[1] - جورج سارتون، المرجع السابق، ج 1، ص 240.

[2] - سيطرت البحرية الإيجية على الملاحة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط قبل الفينيقيين. وقد ازدهرت الحضارة الكريتية التي تعد أهم مراكز الحضارة في بحر إيجه، ما بين 2400 ق.م- 1400 ق.م، وقد كان أهم نشاط مارسه الكريتيون صناعة السفن والتجارة البحرية، فقد وصلوا إلى درجة رفيعة من التطور في جميع مظاهر الحياة المادية، خاصة صناعة السفن. وقد أطلق عليهم الملاحين الأوائل. وقد ساهمت ظروفهم الطبيعية في تطور الملاحة. فقد توفرت لهم الثروة الخشبية المتمثلة خاصة في أخشاب السرو، والموقع المتميز، وسط البحر فجزر بحر إيجه متقاربة فيما بينها، فاليابسة لا تغيب عن نظر الملاح، وعلى إثر هجوم الدوريين على المنطقة حوالي القرن الثاني عشر قبل الميلاد سقطت البحرية الإيجية وفقدت السيطرة على الحوض الشرقي للبحر المتوسط. (أنظر محمد بكر إبراهيم، " المرجع السابق، ص ص 32-33. السيد غلاب، المرجع السابق، ص 175. (M. Gras Rouillard, op.cit, P 133 Attilo Gaudio, op.cit, P 25.

المطلب الثالث: الدوافع الاقتصادية:

قبل أن يتوجه الفينيقيون لممارسة التجارة البحرية مارسوا التجارة البرية في مرحلة مبكرة التي كانت تتم بالاعتماد على تجارة القوافل، حيث كانت تتم بين البحر الأحمر ومنطقة خليج العقبة والبحر المتوسط إلى منطقة أشدود « Ashdod » [1](*) حيث كان التجارة الفينيقيون وسطاء تجاريون فتحصلوا على أهم منتجات الشرق باعتبار أن القوافل التجارية كانت تأتي من المناطق الداخلية للشرق الأدنى وقد وصل للفينيقيين أهم المنتوجات من الأحجار الكريمة وخاصة التوابل التي كانت تجارتها بيد الفينيقيين[2].

لعب التجار الفينيقيون دور الوسطاء التجاريون حيث لم يحققوا أرباحا باعتبار أن لهم كذلك شركاء تجاريين كذلك كانت التجارة البرية تهددها الأخطاء خاصة فترات الحروب والصراعات، حيث كانت تقطع الطرق التجارية مما كان يؤدي إلى أضرار على تجارة الفينيقيين، في هذه الحالة كانه على الفينيقيين التوجه إلى طرق أكثر أمانا، فكان خيارهم التوجه إلى الطرق البحرية، دون التخلي عن الطرق البرية[3]. وما شجعهم على التوجه إلى البحر غياب المنافسة في المرحلة الأولى.

توجه الفينيقيون إلى التجارة البحرية، حيث أصبحت لهم مراكز تجارية معلومة بعضها كانوا يصلون إليها عبر الطرق البرية مثل مصر وأخرى كانت قريبة عبر البحر مثل قبرص، كما توجهوا إلى مناطق مجهولة كانت لتحقيق أهداف، فقد سعى التجار الفينيقيين للبحث عن الثروات ومواد خام، كان أهمها المعادن لسد حاجيات الأسواق في الشرق، فكانت جزر

1– René Dussaud, « **Le commerce des anciens phéniciens à la lumière d'un poème des dieux gravieux et beau** », (syria TX VII, 1936), P-P, 59-60.

* أشدود Ashodo : موقع حاليا في فلسطين، قرب من عسقلان (أنظر: D.C.P.P., P 44).

2– محمد الخطيب، المرجع السابق، ص، 77.

3– كارل بنهردت، المرجع السابق، ص 122.

البحر المتوسط وبعض مناطقه الساحلية أولى محطاتها التجارية التي وصلوا إليها عبر البحر بسفنهم[1].

المبحث الثاني: الطرق البحرية:

توجه الملاحون الفينيقيون نحو الحوض الغربي للبحر المتوسط عبر طرق رئيسية وثانوية:

المطلب الأول: الطرق الرئيسية نحو الحوض الغربي للبحر المتوسط:

– انتقل الملاحون الفينيون عبر الطريق البحري الشمالي والمعروف بطريق الجزر حيث كانت السفن الفينيقية تبحر من الموانئ الساحل الفينيقي لتتوجه نحو جزيرة قبرص[2]، وهذا بالاعتماد على التيارات البحرية الجنوبية الشمالية من الرياح الملائمة [3] حيث تدفع السفن الشراعية ثم إلى جزيرة رودس، ليتوجهوا مع التيارات الشرقية الغربية نحو الجزر اليونانية. بعد تجاوز البلوبنيز ويبلغوا الساحل الإيطالي مرورًا بجزيرة صقلية مع التيارات نفسها. في هذه المرحلة بإمكان الملاحيين الفينيقيين أن يتوجهوا عبر طريقين، الأول نحو سردينيا مرورا بجزر البليار.

كما يتيح التيار الغربي الصاعد نحو مضيق أعمدة هرقل. الوصول إلى قادس [4]. **(أنظر الخريطة رقم 07).**

بالنسبة لطريق العودة، كان الملاحون الفينيقيون يعمدون على تيارات بحرية أخرى، حيث كانت تتم رحلة العودة من أقصى منطقة في الحوض الغربي للمتوسط أي من أعمدة

1– المطران يوسف الدبس، المرجع السابق، ص ص، 314، 257.

2 - Sandro Filippo Bondi, « **Les Phénicienne vers L'occident(les Phénicienne en Algérie- Les Vois du Commerce entre la Méditerrané et L Afrique Noire**), P 14.

3 - فريدريك معتوق، المرجع السابق، ص 178.

4 - Sandro Filippo Bondi, Ibid.

هرقل إلى موانئ الساحل الفينيقي الوطن الأم. حيث تتم عن طريق المساحلة Cabotage عبر شواطئ شال إفريقيا، وصولا إلى مصر، ومنها صعودا إلى موانئ الساحل الفينيقي[1].

الطريق الرئيسي الثاني ويعرف بالطريق الجنوبي، حيث كانت السفن الفينيقية تنطلق من موانئ الساحل الفينيقي متجهة إلى مصر، لتواصل التوجه نحو جزيرة كريت ثم جزيرة مالطا. لتصل إلى قرطاجة، ولتواصل المساحلة على طول السواحل بشمال إفريقيا وصولا إلى أقصى منطقة بالحوض الغربي للمتوسط [2]. **(أنظر الخريطة رقم 08)**

المطلب الثاني: الطرق الثانوية:

بالإضافة إلى الطرق الرئيسية عرفت طرق ثانوية يمكن أن نعتبر بعضها طرق عرضية حيث تعبر البحر من الشمال إلى الجنوب وفي الاتجاه المعاكس. وقد أبحر الفينيقيون وفق عدة طرق ثانوية [3] حيث أبحروا من موانئ الساحل الفينيقي إلى مصر، خاصة من ميناء جبيل [4] كما أبحروا إلى الجزر القريبة مثل قبرص [5]، والملاحظ أن الطرق الثانوية كانت تتضمنها الطرق الرئيسية التي كان يبحر الفينيقيون عبرها إلى مناطق بعيدة. **(أنظر الخريطة رقم 06).**

الملاحظ من خلال الطرق التي أبحر عبرها الملاحون الفينيقيون أنهم كانوا يعتمدون على الجزر فقد اتخذوها نقاط إرتكاز، كما اعتمدوا على المساحلة Cabotage وهذا تفاديا للتوغل إلى مسافات بعيدة فلم يكن البر يغيب عن أنظارهم [6].

---

1 - فريدريك معتوق، المرجع السابق، ص 178.
2 - Sandro Filippo Bondi, op.cit, P 14.
3 - محمد الخطيب، ال مرجع السابق، ص 70.
4 - H. Stirelin , op.cit, P 28.
5 - Sandro Filippo Bondi, Ibid.
6 - السيد غلاب، المرجع السابق، ص 39.

المبحث الثالث: مميزات الملاحة الفينيقية:

يعد الملاحين الفينيقيين الأوائل الذين قاموا بالملاحة من السواحل الفينيقية إلى سواحل شمال إفريقيا، مرورا بمجموعة من الجزر كما سبق الذكر بإعتمادهم عليها بالدرجة الأولى كنقاط إرتكاز ملاحية، فالرحلة البحرية من الحوض الشرقي إلى الحوض الغربي كانت تستغرق فترة زمنية بالنظر إلى الظروف الملاحية آنذاك، وقدرة السفن،لكن الملاحيين الفينيقيين تجاوزوا صعوبات الملاحة فقد وصلوا إلى درجة من التطور في مجال صناعة السفن لم يسبق أن وصل إليها معاصريهم من مارسوا الملاحة البحرية بالإضافة إلى إكتسابهم لمعارف ملاحية.

المطلب الأول: الاعتماد على المساحلة:

اعتمد الفينيقيون على المساحلة حيث كانت سفنهم تبحر بمحاذاة السواحل وينطبق الأمر على الطريق البحري الرئيسي المتوجه إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط، حيث إتخذوا من عدة مناطق ساحلية على إمتداد لرسو سفنهم،فقد وجدوا رؤوس وخلجان ملائمة طبيعيا لرسو السفن حيث أقاموا في هذه المناطق موانئ سرعان ما أدخلوا عليها تحسينات واتخذوها لضرورة ملاحية موانئ للتوقف والاستراحة وفي الفترات اللاحقة من مناطق للتبادل التجاري. وينطبق الأمر في الحوض الغربي على سواحل شمال إفريقيا. حيث تظهر سلسلة من الموانئ الفينيقية متقاربة فيما بينها حيث لا تتعدى المسافة بينها أربعين كيلومتر. فللضرورة الملاحية كانت الملاحة قديما تدوم ليوم واحد وفقا للإبحار عن طريق المساحلة[1].

أسس الفينيقيون مجموعة من الموانئ على إمتداد سواحل شمال إفريقيا [*] إنطلاقا من لبدة **lepcis Magna** وهدرموت **Hadrumète** [2] مرورًا بأوتيكا وقرطاجة، حيث نجد بإتجاه

---

[1] – فرديريك معتوق، المرجع السابق، ص 169.

[*] – بالنسبة للمنشآت الفينيقية على سواحل شمال إفريقيا، لا يمكن أن نميز في كثير من الأحيان بينها وبين المنشآت القرطاجية خاصة الواقعة غرب قرطاجة، فقد أسس في الفترة البونية وبعضها فينيقية أصبحت تحت إشراف قرطاجة.

[2] – Fantar (M.H), **« Les Phénicienne en Algérie, Tunisie, et En Libye » (D.H.A)** , PP 92-95.

الغرب سلسلة من الموانئ، أهمها هيبون، الواقعة على خليج هادئ قليل العمق، إختارها الفينيقيون كمحطة للاستراحة ويُعد ميناؤها صالح لرسو السفن طبيعيا، ومن تسميتها الفينيقية التي تعني في اللغة الفينيقية المكان الخفي أو المخبأ، وقد أسسها الفينيقيون حوالي القرن الثاني عشر قبل الميلاد [1]. وغرب هيبون **Hippon** يقع ميناء ميناء روسيكادا **Rusicada** وهي التسمية الفنيقية التي تعني حسب رأي بعض الباحثين الرأس المنير أو رأس النور [2]. فالسابقة **Rus** تعني عند الفينيقيين رأس، فقد أنشأوا عدة موانئ على الرؤوس لضرورة ملاحية ومعنى التسمية قد تشير إلى إستخدام المنارات لاهتداء السفن ليلا، وميناء و روسيكادا يتميز بموقعه المحمي من الرياح الشمالية الغربية، فالميناء يقع غرب الرأس [3]. وإختيارها لموقع الميناء كان مرتبط بحماية طبيعية حيث يضمنون إرساءًا آمنا لسفنهم.

بالاتجاه غربا من ميناء روسيكادا أنشأ الفينيقيون ميناء شولو Chulu – القل حاليا- حيث يتميز كذلك بموقعه المحمي من الرياح الشمالية الغربية [4].، وبمواصلة الإبحار نحو الغرب نجد ميناء إيجيجيلي Igigili والتسمية فينيقية تعني جزيرة الجمجمة فالسابقة تعني الفينيقيين جزيرة ، فالميناء محمي بسلسلة من الجزر الصغيرة التي على شكل قوس [5] يليها ميناء صلداي Saladae – بجاية حاليا- المميز بموقعه المحمي من الرياح الشمالية الغربية، فتكون بذلك السفن محمية من الرياح [6] .

من أهم الموانئ الفينيقية على سواحل شمال إفريقيا ميناء إيكوزيوم **Icozium** المحمي بأربعة جزر صغيرة وقريبة من الميناء[7] .

---

[1] – محمد البشير شنيتي، " **هيبون القديمة** "، (مجلة الأصالة، العدد 35/34، الجزائر، 1976)، ص ص 27-28..

[2] – نفسه، روسيكادا- سكيكدة- (مجلة الآثار، العدد 6، معهد الآثار الجزائر، 2007)، ص 13.

[3] – محمد الصغير غانم، " **معالم التواجد الفنيقي البوني في الجزائر** "، ص 27.

[4] – نفسه.

[5] – Orfali (M. KH), op.cit, P 70.

[6] – محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص ص 27-28.

[7] – Orfali (M.KH) , Ibid.

بالإضافة إلى أهم ميناءين بالاتجاه غربا ميناء أيول **IOL** وتيبازة **Tipaza** وهي تسميات فينيقية، وقد اختار الملاحون الفينيقيون موقع الميناءين لملائمتهما لرسو سفنهم وسهولة شواطئها الرملية [1] .

اتخذ الفينيقيون من عدة مواقع على إمتداد سواحل شمال إفريقيا لإنشاء سلسلة من الموانئ القريبة من بعضها لضرورة ملاحية فقد كانت محطات للاستراحة والتوقف لمواصلة الإبحار نحو الغرب وصولا لمستوطناتهم، وبعضها أصبحت محطات تجارية خاصة بعد تأسيس قرطاجة فقد أصبحت منشآت تحت إشرافها نظرا لأهمية مواقعها كانت لتجارة العبيد أهميتها الخاصة في الحضارات القديمة، نظرا للدور الذي يقوم به العبيد، من مختلف الأعمال التي كانوا يمارسونها، في المنازل المزارع، والحرف، وقد تاجر الفينيقيون كما سبق الذكر بالعبيد المتخصصين في الصناعات الحرفية والزراعية [2]. وقطع الأشجار، فقد كان إتقان العبيد لحرفة معينة يعد مقياسا في تحديد ثمنه، والدور الهام الذي قام به الفينيقيون من خلال تجارة العبيد كان حضاريا، فقد نقلوا مؤثرات حضارية في مختلف المجالات بطريقة مباشرة عن طريق العبيد إلى مناطق مختلفة [3].

المطلب الثاني: الارتكاز على الجزر

قبل أن يتوجه الفينيقيون للتجارة والاستيطان في المناطق البعيدة عبر الساحل اهتموا منذ البداية بتأمين طرقهم التجارية، عن طريق اتخاذهم للجزر نقاط ارتكاز ملاحية، حيث إرتبط التواجد الفينيقي في جزر البحر المتوسط بحوضيه الشرقي والغربي منذ البداية بضرورة ملاحية، حيث كان الملاحون الفينيقيون يلجأون إلى مرافئ طبيعية حيث تصلح لرسو السفن. في حالة كثيرة كان توقف الملاحين الفينيقيين يستهدف التموين، الاستراحة أو إصلاح سفنهم، ومن خلال ملاحظتنا لخرائط الطرق التجارية نلاحظ أن أغلب الجزر التي أقام فيها

---

[1] – محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص ص 81-84.

[2] – Diodore de Sicille, XX, 69, 2-13.2.

[3] – السيد غلاب، المرجع السابق، ص 445.

الفينيقيون تقع في خط سير الملاحيين الفينيقيين سواء في الطريق الشمالي أو الجنوبي **(أنظر الخريطة رقم 6، 7 و8).**

كانت جزيرة قبرص أولى جزر البحر المتوسط الشرقية، وتعتبر أول نقطة إرتكاز ملاحية توجه منها الملاحون الفينيقيون نحو آسيا الصغرى وبإتجاه جزر إيجه وبلاد الإغريق[1] حيث كانت جزيرتي رودس وكريت أقرب الجزر إلى قبرص وقد إستفاد الفينيقيون من تقارب الجزر المنتشرة في بحر إيجه، وكانت كذلك محطات تجارية لتبادل السلع التي كانت تحملها السفن التجارية الفينيقية، كما قاموا باستغلال الثروات التي توفرت لهم وخاصة المعادن حيث قاموا بنشاط التعدين [2].

توجه الفينيقيون وفقا للطريق البحر الرئيسي نحو الجنوب بإتجاه الحوض الغربي للبحر المتوسط، حيث نجد أهم الجزر التي إستوطن الفينيقيون بها، وتعتبر جزيرة مالطا أولى الجزر التي نجدها قريبة من سواحل شمال إفريقيا، وقد تميزت مالطا بوجود أماكن صالحة لرسو السفن، وكغيرها من الجزر كانت مكانا ملائما لإقامة الفنيقيين الدائمة، ومحطة تجارية هامة في الطريق البحري الجنوبي المتوجه نحو شمال إفريقيا [3].

وقد أكدت الأبحاث الأثرية على إقامة الفينيقيين وقيامهم بنشاطات إقتصادية خاصة التجارة. وهذا ما أكده ديودور الصقلي حول طبيعة التواجد الفينيقي في مالطا: "... إن سكانها جالية فينيقية ، إنبسطت تجارتها إلى الأوقيانوسي، فكانت لهم هذه الجزيرة أوفق محطمة من حيث موقعها ومرفئها، الأمين فأصبح سكانها في أمد وجيز أصحاب ثروة وشهرة الجزيرة الثانية تسمى كولوس على مقربة من الأولى وهي مستعمرة فينيقية " [4].

---

1 – المطران يوسف الدبس، المرجع السابق، ص ص 212-237..

2 – نفسه، ص 260.

3 – Moscati (S) Amadsi Guzzo (M.G), **« La Présence Phénicienne en Sicille en Sardaigne et a Malte »** (D.H.A), PP 66-67.

4 – Diodore De Sicille, 2, 12.

لا تقل جزيرة صقلية أهمية عن باقي جزر البحر المتوسط الغربية، وفي هذا السياق يذكر تيوسيديد **Thucydides** ما يلي: "....لقد أحاط الفينيقيون بسواحل صقلية مستقرين على نتوءات، ممتدة في البحر، كما تركزا في الجزر الصغيرة الواقعة قرب الشاطئ وكانوا في ذلك يستهدفون التجارة مع الصقليين " (1).

تتميز صقلية بسواحلها الملائمة لإنشاء المرافئ الطبيعي، وقد إستفاد الفينيقيون من هذه الخاصية، حيث تركزوا في جميع جهات الجزيرة وهذا ما قد يؤكد لنا الأهمية الإستراتيجية للجزيرة كونها نقطة عبور إلى أقصى المناطق في الحوض الغربي، وكما أنها قريبة من سواحل شمال إفريقيا خاصة أوتيكا وقرطاجة كما إستفاد الفينيقيون من موارد الجزيرة فصقلية تميز بتربتها الخصبة (2).

ذكر تيوسيديد **Thucydides** في سياق حديثه عن التواجد الفينيقي في جزيرة صقلية، تركزهم في الجزر الصغيرة القريبة من صقلية وربما يقصد جزيرة باتلريا، وهي جزيرة صغيرة المساحة، اتخذها الفينيقيون مستودعا لما يلزمهم في أسفارهم (3).

وصل كذلك الفينيقيون إلى سردينيا وأقاموا فيها منذ نهاية الالف الثانية قبل الميلاد، وكغيرها من المناطق التي توسع فيها الفينيقيون تميزت بوجود مرافئ لرسو السفن، كما أنها من المناطق الغنية بالمعادن حيث قام الفينيقيون بنشاط التعدين فإستخرجوا الفضة، الحديد، والرصاص، كما أنها تتميز بأراضيها الخصبة الصالحة لزراعة الحبوب، ولم تكن الأهداف الاقتصادية وحدها سبب في إختيار الفينيقيين للإقامة بجزيرة سردينيا، فموقعها القريب من شبه الجزيرة الأيبيرية يجعلها منها موقع إستراتيجي لحماية مصالح الفينيقيين في المنطقة كما أنها نقطة عبور نحو جنوب شبه الجزيرة الأيبيرية والمحيط الأطلسي (4).

---

1 - Thucydides, VI, 2, 6.

2 - Gsell (S), H.A.A.N. T IV, (Hachette, 1920), P 409

3 - المطران يوسف الدبس، المرجع السابق، ص 269.

4 - Moscati (S) Amadsi Guzzo (M.G), (D.H.A.), op.cit, PP 58-65.

تواجد الفينيقيون في جزيرة إيبيزا، التي إختلف المؤرخون حول تاريخ وصولهم إليها، لكن من المؤكد أن الإقامة الدائمة للفينيقيين بالجزيرة كانت بعد تأسيس مدينة قرطاجة[1].

إرتبط إستقرار الفينيقيين في جزيرة إيبيزا بأهداف إقتصادية، فقد وجدت بقايا أثرية تدل على قيام الفينيقيين بحرفة الصيد وتجفيف الأسماك إلى جانب بقايا أثرية تدل على قيامهم بحرفة الصباغ الأرجواني [2].

لكن يبقى الهدف الأساسي إستراتيجيا، فقد كانت إيبيزا إلى جانب سردينيا موقعا هاما لحماية مصالح الفينيقيين الاقتصادية في شبه الجزيرة الأيبيرية.

المطلب الثالث: الاعتماد على المعارف الملاحية

كثيرة هي المصادر التي تؤكد تقدم الفينيقيين، في مجال الملاحة البحرية. فقد ذكر سترابون Strabon أن مدينة صور قد إزدهرت بفضل مهارة أهلها في مجال الملاحة [3]، وهذا التقدم مرتبط أساسا بالمعارف المختلفة التي إستطاع الفينيقيون توظيفها في مجال الملاحة. كان الفينيقيون على دراية وإلمام يعلم الفك، فقد استخدموا النجوم، للاهتداء بها أثناء الملاحة ليلا[4]، وقد أكد الإغريق ذلك، فقد أطلقوا تسمية Phoenik على مجموعة النجم القطبي [5]، فقد إستعان به الملاحون الفينيقيون في تحديد إتجاه الشمال فكان بمثابة البوصلة الطبيعية[6].

إستخدام النجم القطبي في تحديد إتجاه الشمال قد تكون له علاقة بالإبحار المتّكرر موانئ الساحل الفينيقي بإتجاه المدن الفينيقية المتوزعة بشكل طولي، أو بين موانئ الساحل الفينيقي

---

1 – محمد الصغير غانم، " **التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط** "، ص ص 82-83.

2 – نفسه.

3- Strabon, XVI, 23.

4- Ibid.

5- Mohamed Hassanine FANTER, « **Les phéniciens en méditerranée** », Tunisie, P 73.

6- Maitland, A, Edey, op.cit, P 227.

بإتجاه مصر [1]. فربما لاحظ الملاحون النجم القطبي يظهر دوما في إتجاه الشمال، وقد إستفاد الإغريق من الفينيقيين حسبما ذكره سترابون Strabon [2].

بالإضافة إلى المعارف في مجال علم الفلك كان الملاحون الفينيقيين على دراية بالرياح وإتجاهاتها في مواسم معينة، كنوا يبحرون وفقا لاتجاهاتها الموسمية وهذا تماشيا مع سفنهم التجارية المزودة بالأشرعة، وتماشيا مع طبيعة الرياح كانت الملاحة خلال فصلي الربيع حيث تكون الرياح مناسبة بغض النظر عن وجود الرياح الباردة، رياح الميسترال Mistral ورياح السيروكو الحارة Sirocco [3].

إستفاد كذلك الملاحون الفينيقيون من التيارات البحرية، التي تتمثل في حركة مياه البحر، بحيث تختلف قوتها ومستوى إرتفاعها بحسب ظواهر طبيعية وخصائص مياه البحر التي تختلف من منطقة إلى أخرى وتتمثل أساسا في الرياح، الكثافة، درجة الحرارة وملوحة المياه[4] بالنسبة للبحر المتوسط تتميز التيارات البحرية بالهدوء في الحوض الشرقي[5] تحدث بسبب إنتقاء مياه البحر الأسود عند مضيقي البوسفور والدردنيل. وتكون خفيفة لأن مياه البحر الأسود أقل ملوحة لكثرة الأنهار المتدفقة فيه فترسب مياه البحر المتوسط، فتحدث حركة في المياه وهي خفيفة واقل خطورة وإرتفاعا من التيارات التي تحدث في الحوض الغربي فالتيارات البحرية في هذه المنطقة تحدث عند إلتقاء مياه البحر المتوسط الأكثر. ملوحة من مياه المحيط الأطلسي فتحدث حركة مياه قوية [6].

---

1 - René Dussaud, « **<u>Le Commerce des Ancienne Phénicienne a la Lumière de Poème des dieux Gracieux et Beau »</u>** P 60

2 - Strabon, XVI, 23.

3 - Maitland, A, Edey, op.cit., P, 227.

4 - ملوحة المياه تؤثر على حدوث التيارات البحرية في البحر المتوسط حيث تقدر نسبة الملوحة بـ 39 غ/ لتر أو 37 غ/ لتر. وهذه النسبة تعدّ مرتفعة كون البحر المتوسط بحر يكاد يكون مغلق، كما أن نسبة التبخر كبيرة والمياه التي تصب من الأنهار قليلة تحدث التيارات عند إلتقاء مسطحين مائيين مختلفين من حيث درجة الملوحة. حيث تترسب المياه المالحة، وترتفع المياه الأقل ملوحة، وتحدث بذلك حركة في المياه، وقد ينخفض أو يرتفع مداها بحسب الفرق بين نسبتي الملوحة. (أنظر هشام الصفدي، المرجع السابق، ص 36. السيد غلاب، المرجع السابق، ص ص 38-39).

5 - السيد غلاب، نفسه.

6 - هشام الصفدي، نفسه، ص 36.

إستفاد الفينيقيون من مجالات معرفية مختلفة قاموا بتطبيقها بشكل عملي فقد كانوا ملمين بمجال الحساب والقياسات حسبما ذكره سترابون Strabon [1] ويظهر ذلك عمليا من خلال الإبحار بين جزر البحر المتوسط التي تنتشر في الحوضين الشرقي والغربي، وكانت قبرص أول جزيرة أبحر إليها الفينيقيون [2].

عرف الفينيقيون كيف يستفيدون من ظاهرة المد والجزر بحكم عيشهم على الساحل، وقد إستفادوا من هذه الظاهرة إلى جانب ما سبق ذكره من ظواهر طبيعية وجمعوا كل معارفهم التي لم تكتمل في فترة قصيرة وعند إكتمالها، إستطاعوا الإبحار إلى الأماكن البعيدة وهذا يؤكد أن إبحارهم لم يكن عشوائيا، بل كان مدروسا وفقا لمعارف علمية.

وقد حددت فترة الملاحة تماشيا مع الظروف المناخية في البحر المتوسط والظواهر الطبيعية، فحددت فترة الملاحة ب: ستة أشهر خلال فصلي الربيع والصيف حيث تكون الرياح مناسبة بغض النظر عن هبوب الرياح الميسترال Mistral ورياح السيروكو Sirocco الحارة، وتكون الملاحة صعبة في فصلي الخريف والشتاء[3].

---

1 - Strabon, XVI, 27.

2 - Sandro Filippo Bondi, op.cit, P 14.

3 - Maitland, A. Edey, op.cit, P 227.

الفصل الثانـي:

التوسع التجاري والاستيطان

المبحث الأول: التوسع الفينيقي

ارتبط التوسع والانتشار الفينيقي بالتجارة البحرية، حيث استقر الفينيقيون خارج مدن الاسحل الفينيقي في عدة مناطق واختلف التسميات التي أطلقت عليها وتختلف من باحث إلى آخر وأغلبها لا ترتكز على خلفيات بل مجرد تسميات وأهمها نجد: المستعمرات، المستوطنات، محطات تجارية، وكالات تجارية موانئ، مدن.

المطلب الأول: طبيعة التوسع الفينيقي

تعد تسمية المستعمرات الفينيقية الأكثر استعمالا عند الباحثين الغربيين باعتبار أن الفينيقيين استقروا في مناطق خارج الساحل الفينيقي، وإذا اعتبرنا هذا النوع من التوسع استعمار، فهذا الأخير يتطلب في أغلب الأحيان استخدام أساليب القوة للاستيلاء على الأراضي أو الانتزاع غصبا، وهذا لا ينطبق على التوسع الذي قام به الفينيقيون فقد عرفوا عبر تاريخهم أنهم مسالمين.

ويتميز بالمرونة في تعاملهم، فهدفهم الأول من التوسع كان تجاري أكثر منه توسع من أجل كسب أراضي، بالإضافة إلى ذلك كان استقرارهم على السواحل والمناطق القريبة من البحر، فلم يتوسعوا نحو الداخل، وهذا حتى في المناطق التي لا نجد فيها قوة سياسية، هذا ما يؤكد أن التوسع الفينيقي لم يكن استعمارا بالمفهوم المتعارف عليه، لذلك نفضل تسمية هذا النوع من التوسع بالاستيطان(1) فقد صاحب التوسع الفينيقي هجرة مجموعة من الفينيقيين وأهم نموذج لهذا النوع من الاستيطان، مدينة قرطاجة التي أقامها الفينيقيون في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

أقام الفينيقيون في مناطق تتميز بوجود قوة سياسية وفي هذه الحالة ستختلف طبيعة إقامتهم التي كانت دائمة لكن لها مميزات حيث نجد الفينيقيين قد أقاموا وكالات تجارية، فكان عليهم

---

[1] - فريديريك معتوق، ص ص، 53-54.

دفع إتاوات مقابل إقامتهم وقيامهم بنشاطات إقتصادية وهذا النوع من الإقامة في مصر حيث كان للفينيقيين أحياء خاصة بهم ولهم حق التجارة والمسالحة في الموانئ المصرية[1].

أنشأ الفينيقيون محطات تجارية كان الهدف منها إقامة أماكن للبيع واتخاذها كمحطات لاستراحة الملاحين. بعد قيامهم برحلات شاقة، كما كانت أسواق بمقايضة مختلف سلعهم[2]، وهذا النوع من المنشآت ينطبق في أغلب الأحيان على الجزر المنتشرة في البحر المتوسط التي اعتمد عليها الفينيقيون منذ بداية رحلاتهم البحرية كنقاط إرتكاز ملاحية[3]، وأصبحت محطات تجارية أقام فيها الفينيقيون في حالة وجود موارد يمكن استغلالها كالمعادن. وهذا ينطبق على جزيرة قبرص باعتبارها أولى المحطات التجارية[4].

بالنسبة للمحطات التجارية التي تعتبر أولى المنشت الفينيقية بعضها كانت تقتصر على وظيفتها التجارية وهي أصطلح على تسميتها بالمحطات Comptoires التي يمكن أن نحدد خصائصها فيمايلي:

- المحطات التجارية مكان لتبادل السلع بين التجار الفينيقيين وسكان المنطقة التي نزلوا بها.
- المحطات التجارية لم يكن للفينيقيين بها أراضي تحت سيطرتهم.
- نشاط الفينيقيين في هذه الأماكن التي تقتصر وظيفتها على التبادل التجاري محدودة في نفس مكان محدد للمحطة التجارية والذي يكون عادة الميناء وما يحيط به.
- المحطات التجارية تكون عادة مزودة بمستودعات أو مخازن مخصصة لسلع التجار [5].

---

[1] - Lionello Ciolo, op.cit., PP 22-23.

[2] - Ibid., P, 23.

[3] - لطفي عبد الوهاب يحي، " **<u>اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري</u>** "، دارا لنهضة العربية، ص، 28.

[4] - جورج كونتنو، الحضارة الفينيقية، ص، 105.

[5] - محمد رضوان العزيفي، **ليكسوس مستوطنة فينيقية بالساحل الاطلسي للمغرب**، (مطبعة الآفاق، فاس، 2010)، ص 279.

وبذلك تكون تسمية المحطات التجارية لا تنكبق غعلى كل المناطق التي وصل إليها الفينيقيون.

المطلب الثاني: شروط إختيار مناطق التوسع:

إمتدت مناطق التوسع الفينيقي من الحوض الشرقي للبحر المتوسط إلى أقصى المناطق في الحوض الغربي هذه المناطق لها مميزات وخصائص تعتبر شروط ومقاييس طبيعية إعتمد عليها الفينيقيون في كثير من الأحيان، ما يؤكد أن إختيارهم لم يكن عشوائيا.

تعتبر مناطق توسعهم الأولى الجزر المنتشرة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط فقد كانت أولى محطاتهم التجارية، وقد تم إختيارها وفقا لظروف الملاحة في العصور القديمة فقد كان الملاحون الفينيقيون يجوبون أرجاء الحوض الشرقي للبحر المتوسط إنطلاقا من موانئ مدن الساحل الفينيقي، بإتجاه الجزء القريبة منه والمتميزة بالتقارب فيما بينها [(1)]، فقد كانت الملاحة تدوم خلال الجو الصحو وخلال فترة النهار حيث كانت السفن ترسو عند حلول الليل في آقرب مكان ملائم لرسو السفن، فقد كانت اليابسة لا تكاد تغيب عن نظر الملاح في حالة الجو الصحو [(2)]. وهذا ما ساعد الملاحين الفينيقيين الذين اتخذوا من الجزء نقاط إرتكاز ملاحية وإستراحة [(3)]. فكانوا يبحرون لمسافات قصيرة، كما أن بعض هذه الجزر كانت قريبة من الساحل الفينيقي يمكن رؤيتها من مسافة قريبة وهذا ينطبق على جزيرة قبرص القريبة من الساحل الفينيقي، فقد كانت تلالها تظهر للملاحين الفينيقيين [(4)].

وقد ركز الفينيقيون على الأهداف الاقتصادية، فهي سبب خروجهم فقد إهتموا بالثروات الطبيعية، خاصة المواد الخام كالمعادن، وهو الهدف الرئيسي للانتشار الفينيقي ينطق على الكثير من المناطق التي تواجد فيها الفينيقيون، وقاموا فيها بنشاطات مختلفة،

---

[1] -Donald Harden, op.cit, P 27.

[2] – أحمد حامدة، " **التجارة الكنعانية (الفينيقية) في البحر المتوسط** "، ص 67.

[3] – لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 28.

[4] – السيد غلاب، المرجع السابق، ص، 39.

كإستخراج المعادن وهذا ينطبق على جزيرة قبرص بإعتبارها أولى المحطات [1].

بالإضافة إلى الضرورة الملاحية والأهداف الاقتصادية بالنسبة لاتخاذ الفينيقيين من الجزء محطات نجد البعد الاستراتيجي من ضمن شروط إختيارهم لبعض الجزر، كجزيرة صقلية التي إعتبرها الفينيقيون همزة وصل بين الشرق و الغرب [2].

من أهم الشروط الطبيعية التي كان الملاحون الفينيقيين يعتبرونها شرطا أساسيا في مناطق توسعهم، الموقع المطل على البحر مباشرة، وهذه الخاصية تعتبر خاصية عامة تجمع بين كل مناطق التواجد الفينيقي سواءًا كانت جزرًا أو مواقع أخرى، وهذا بحكم أن وسيلة التنقل كانت السفينة فكان من المهم عند الملاحين الفينيقيين أن يتميز الموقع بوجود مكان يصلح لرسو السفن، فكان إختيارهم، لمناطق ساحلية تتميز بوجود رؤوس وخلجان أو شواطئ رملية بحيث يسهل رسو السفن فيها أو سحب السفن منها إلى اليابسة وفي كل الحالات لم يلبث الفينيقيون أن أدخلوا تحسينات وتحصينات للموانئ الطبيعية وفقا لاحتياجاتهم الملاحية، وبهدف تأمينها كذلك [3].

إختيار الملاحين الفينيقيين للمواقع الساحلية لم يكن مرتبط فقط بضرورة ملاحية، فهذه المناطق القريبة من البحر كانت تؤمن للتجار الفينيقيين الحماية الطبيعية ضد الخطر الخارجي والداخلي، فقد قاموا بإنشاء تحصينات كان أهمها الموانئ المزدوجة التي كانت بغرض الحماية من الخطر الخارجي حيث نجد في بعض الموانئ المرفأ العسكري[4].

أما بالنسبة للحماية من الناحية الداخلية ونقصد به خطر السكان المحليين وإحتياطا من الجانب الفنيقيين لم يتوغلوا في أغلب مناطق تواجدهم، كما أنهم لم تكن لهم علاقات مع

---

[1] – فرح نعيم، " **موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم** "، (دار الفكر، 1986)، ص 135.

[2] – المطران يوسف الدبس، " **تاريخ سوريا الدنيوي والديني** "، الجزء الأول، (دار نظير عبود، 1984)، ص، 269.

[3] – أورفه لي محمد خير، " **خصائص العمارة الفينيقية في المغرب القديم خلال القرن الاول قبل الميلاد** "، (إشراف هشام الصفدي، معهد التاريخ، الجزائر، 1975–1976)، ص ص، 18–20.

[4] Donald Harden, op.cit, PP 25–27.–

السكان المحليين في المراحل الأولى إلا في إطار التبادل التجاري [1]. وهو نوع من الحيطة والحذر، كما اتخذوا من إختيارهم للمواقع المرتفعة نوع من التحصين الطبيعي، حيث كان بإمكانهم مراقبة ما يدور حول مدنهم، إضافة إلى إهتمامهم بإحاطة مدنهم بأدوار وهذا ينطبق على مدينة قرطاجة، المتميزة بموقعها الاستراتيجي [2].

إتخذ الفينيقيون مواقع كثيرة ساحلية كانت قريبة من الجزر، والغرض من ذلك كان اللجوء إليها سفنهم في حالة وجود خطر داخلي[3]. وهذا النموذج ينطبق على العديد من المناطق التي إتخذها الفينيقيون كمحطات للاستراحة والتجارة في الحوض الغربي للبحر المتوسط. والتسمية الفنيقية لهذه المناطق بقيت شاهدة على التواجد الفينيقي بها[4]، ونجد أمثلة من هذه الموانئ على إمتداد ساحل شمال إفريقيا، فمدينة **IOL شرشال حاليا**، والتي تعني جزيرة الرمل والسابقة **I** التي نجدها في تسميات أخرى تعني في اللغة الفينيقية جزيرة، مما يوجهنا لوجود جزيرة قريبة من الساحل يلجأون إليها في حالة الخطر، وينطبق الأمر كذلك على **إيكوزيوم Icosium** و تعني **جزيرة البوم**، ميناؤها كان محميا بجزر قريبة من الشاطئ[5].

بالنسبة للمسافة التي قدرت بحوالي 30 كيلو متر والتي تميز البعد بين أغلب المحطات التجارية الفينقية من بعضها البعض والتي تعادل مسافة الإبحار لمدة يوم واحد تؤكد لنا أن إختيارهم من البداية كان مرتبط بضرورة ملاحية فهذا التقارب بين المحطات التجارية لم يكن عشوائيا [6].

---

1 – M. L' ABBE, « **Recherches Archéologiques sur les colonies Phéniciennes** » (Ernest Le Roux, 1973), P 77.

2 – أورفه لي محمد خير، المرجع السابق، ص ص 18-20.

3 – Orfali Mohamed Kheir, « **Les Ports Phénico- Puniques En Algérie** », (Les Phéniciens en Algérie, Les Vois du Commerce entre la Méditerranée et L'Afrique Noire, Ministère de Culture, 2011), P 70

4 – Szncer Maurice, **toponymes phéniciens en méditerranée occidentale**,(Lyede, 1977), PP, 171-174.

5 – محمد الصغير غانم، **معالم التواجد الفينيقي**، الجزائر، ص ص 86-87.

6 – GENIEVIEVE . S, SENNqucer, (G.H.A), op.cit, P 50.

إضافة للشروط الطبيعية كانت للمواقع التي إستوطنها الفينيقيون مميزات أخرى من الناحية الاقتصادية، وهي الهدف الأول والمتمثل في توفر المواد الخام التي كان يحتاجها الفينيقيون في صناعتهم وتجارتهم وخاصة المعادن [1].

كانت كذلك الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة من أسباب إختيارهم لكثير من المناطق، والهدف من ذلك كان لقيامهم بنشاط الزراعة لتأمينات حاجياتهم الغذائية. كما إستغلوا بعض المنتوجات الزراعية وإهتموا بزراعتها لغرض تجاري. ونجد الفنيقيين في هذه المناطق قد إستقروا وأسسوا مدنا، وقرطاجة أحسن مثال على ذلك، فقد تميزت بأراضيها الخصبة الصالحة لزراعة انواع كثيرة من المحاصيل الزراعية كالكروم وأشجار الزيتون التي إستغلوها في إنتاج النبيذ وزيت الزيتون.

بالإضافة إلى ثروات طبيعية أخرى إهتم الفينيقيون بإستغلالها في مناطق إنتشارها كالثروة السمكية أو أصداف الموركس، وبصفة عامة كانت المواد الخام والثروات الطبيعية من أهم ما جذب الفينيقيين للاستقرار في كثير من المناطق كانت بعيدة عن الساحل الفينيقي الوطن الأم.

المبحث الثاني: المنشآت الاقتصادية خارج الساحل الفينيقي

تطلب تواجد الفينيقي مرتبط أساسا بالتجارية البحرية إنشاء منشآت اقتصادية كان لها دور هام في عملية التوسع الفينيقي والاستيطان.

المطلب الأول: الموانئ:

تعد ظاهرة الإنتشار والتوسع الفينيقي ظاهرة مرتبطة أساسا بالتجارة البحرية وهذه الأخيرة إرتبطت بالسفن والملاحة وإنشاء الموانئ. وبإعتبار الميناء مكان ضروري لرسو السفن، والتبادل التجاري، فقد كان الفينيقيون يختارون مكان إقامتهم وتجارتهم، بما يلائم سهولة إرساء سفنهم.

[1] – المطران يوسف الدبس، المرجع السابق، ص 255.

لقد قام الباحث **نيكولاس كارايو Nicolas Carayon** [*] بإحصاء عدد الموانئ التي أقامها الفينيقيون على إمتداد الساحل الفينيقي، جزر بحر إيجه، جزر البحر المتوسط المنتشرة في الحوض الشرقي والغربي، وسواحل شمال إفريقيا وجنوب شبه الجزيرة الأيبيرية وقد قدر عددها بـ 183 ميناء وأصطلح على تسميتها مجمع موانئ [1].

بالنسبة للساحل الفينيقي أحصى نيكولاس كارايون أحصى الموانئ وقدرها بـ 15 ميناءًا منتشرة من الشمال إلى الجنوب[2] فقد وجد الفينيقيون على إمتداد ساحلهم مواقع ملائمة طبيعيا لرسو السفن [3] منها ما كانت موانىء مخصصة لسفن الصيد والنقل البسيطة، ومنها ما كانت موانىء مهيأة لإنطلاق السفن التجارية. إذ كانت مزدهرة حيث كانت نقطة الإنطلاق نحو إتجاهات مختلفة من أهمها ميناء صور، صيدا، آرواد، جبيل إذ كانت موانئ هذه المدن المذكورة تبحر السفن منها بإتجاهات مختلفة نحو الشرق والغرب، والشمال والجنوب، وعبر كل أرجاء البحر المتوسط بسواحله وجزره المنتشرة شرقا وغربا، فقد كانت فينقيا ملتقى الطرق التجارية بفضل موقعها المتميز وموانئها [4].

الملاحظ بالنسبة لموانئ مدن الساحل الفينيقي أنها لا تبعد عن بعضها البعض مسافات طويلة، فهي متقاربة [5]، فأغلب الموانئ الأولى التي قام الفينيقيون باستخدامها كانت السفن تنتقل بين مدن الساحل الفينيقي فالتنقل برًا كان صعبا نظرا لصعوبة التضاريس فكان البحر أسهل طريق سلكه الفينيقيون مع مرور الزمن أصبحت السفن الفينيقية تستخدم الغرض الصيد والتجارة البحرية التي ستعرف تطورًا وإزدهارًا إنطلاقا من موانئ الساحل الفينيقي ونخص بالذكر، ميناء مدينة جبيل، وصيدا وصور.

---

* – قام الباحث نيكولاس كارايون Nicolas Carayon سنة 2008 بنشر دراسة قام بها في إطار إنجازه لأطروحة دكتوراه حول الموانئ الفينيقية، ونشرها في كتاب يخص الموانئ الفينيقية في لبنان، وقد قام بهذه الدراسة إعتمادا على عدة تخصصات، التاريخ، علم الآثار، الرسوبية، الجيومورفولجيا، وقد وضع فهرس تفصيلي لأهم 15 ميناءا على إمتداد الساحل الفينيقي.

1 – Nicolas Carayon, « **Les Ports Phéniciens Du Liban** » 2008, P 1.

2 – Ibid, P 3.

3 – Donald Harden, op.cit, P 27.

4 – Nicolas Carayon, op.cit, P 3.

5 – Ernest Renan, « **Mission De Phénicie** » (Imprimerie Impérial, Paris, 1864) P 836.

أما بالنسبة للموانئ التي قام الفينيقيون بإنشائها خارج الساحل الفينيقي يمكن تقدير عددها إستنادًا إلى الدراسة التي قام بها نيكولاس كارايون **Nicolas Carayon بـ 167 ميناء**، نجد هذه الموانئ منتشرة على إمتداد سواحل وجزر البحر المتوسط بحوضيه الشرقي والغربي، فلا نجد موقعا أقام فيه الفينيقيون دون أن يهتموا بإنشاء الميناء، فمن شروط إختيار المواقع عندهم أن يكون ساحليا يصلح لرسو السفن طبيعيا وإن تطلب الأمر في كثير من الحالات كنوا يقومون بإدخال تحسينات [1].

أدرك الفينيقيون أهمية الأرصفة لموانئهم، خاصة التجارية، فقد وضعوها من أجل حماية السفن بالدرجة الأولى، بالإضافة إلى تسهيل عملية شحن أو إفراغ حمولة السفن التجارية، بحيث تكون السفن قريبة من الرصيف [2].

قام الفينيقيون كذلك تقنيات خص كاسرات الأمواج، حيث كانت تزود بفتحات ذات شكل دائري، يكون موضعها تحت مستوى الماء، والغرض من وضعها ضمان إنكسار مياه الأمواج المندفعة وبذلك تتم حماية الميناء والسفن الراسية من أمواج البحر، المندفعة، أما الهدف الثاني فكان يتحقق عند مرور الماء مندفعا عبد الفتحات فيتولد تيارًا مائيا يخرج من مدخل الميناء ويخرج منه كل الرواسب المتراكمة خاصة الرمال [3].

خاصية أخرى نجدها تميز الموانئ الفينيقية التي كانت مزدوجة مثل ميناء مدينة صور في فينقيا وميناء قرطاجة في شمال إفريقيا، حيث يشكل الميناء من مرفأين [4]. بالنسبة لميناء صور كان الغرض من جعله ميناء مزدوج حماية السفن من التقلبات الجوية حيث كانت السفن ترسو حسب إتجاه الرياح جنوبا أو شمالا [5] كان الهدف حماية المدينة.

---

1 -. Nicolas Carayon, op.cit, P 1

2 – هشام الصفدي، " **شواهد من حضارات البحر الأبيض المتوسط** "، ص 32.

3 – نفسه.

4 – .Attilo Gaudio, op.cit, PP 59-60

5 – جورج كونتنو، الحضارة الفينيقية، المرجع السابق، ص 33.

فميناء قرطاجة نجده مزدوج ميناء تجاري والآخر عسكري [1] نفس الخاصية نجدها في المركز التي أقامها الفينيقيون بجزيرة سردينيا إذ كانت تتميز بوجود مرفأين بإتجاهين مختلفين لاستخدامها حسب إتجاه الرياح [2].

المطلب الثاني: خصائص الموانئ الفينيقية:

تعد الموانئ أهم ميزة للساحل الفينيقي، فالموانئ نجدها تقريبا على إمتداد هذا الساحل، نظرا لخصائصه الطبيعية الملائمة لإنشاء الموانئ، بإعتبارها في البداية أماكن مخصصة لرسو السفن، ولم يتركها الفينيقيون على طبيعتها فقد أدخلوا عليها تحسينات وتعديلات وفقا لمعارف، هندسية، لجعل الموانئ تلاءم إحتياجاتهم، حيث كانوا يقومون بتسخير الظروف الطبيعية للمكان.

بعض الموانئ في البداية لم تكن سوى موانىء رملية بحيث تنحدر الماء بميل خفيف، حيث يسهل سحب السفن من البحر إلى الشاطئ الرملي في حالة سوء أحوال الطقس أو في حالة عدم نزول السفن إلى البحر حيث تبقى مدة طويلة راسية [3] وهذا النوع من الموانئ نجده منتشر عموما في سواحل شمال إفريقيا. حيث أقام الفينيقيون الذين إستفادوا من معطيات الطبيعة في إنجاز الموانئ التي تطورت من موانئ طبيعية إلى إصطناعية [4].

قام الفينيقيون بإدخال تحسينات على الموانئ المنتشرة على طول الساحل الفينيقي، ولم يتم إستكمالها إلا بالتدريج، حيث قاموا بإستخدام تقنيات لتحصين الموانئ، والهدف العام كان حماية السفن وتسهيل رسوها، نظرا للطبيعة الصخرية لأغلب الموانئ المنتشرة على إمتداد الساحل الفينيقي، كانت الموانئ تزود بالأرصفة، بحيث كانوا يقومون بإجراء قياسات تخص أعماق مداخل الموانىء، وكانت نتيجة هذه القياسات إنشاء الأرصفة البحرية، وهذا

---

[1] – محمد الصغير غانم، " **معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر**"، (دار الهدى، 2003)، ص ، 87.

[2] – Sabatino Moscati, **« L'épopée des Phéniciens »** P 287.

[3] – جورج كونتنو، المرجع السابق، ص 364.

[4] – محمد الصغير غانم، نفسه، ص ص، 86- 87.

يؤكد إمتلاك الفينيقيين لخبرة وتطبيقهم لمعارف في مجال الهندسة، كذلك تطبيقهم لها يعد أسلوب فريدا من نوعه آنذاك فقد كانوا سباقيين لمعاصريهم من الأمم البحرية في مجال إجراء قياسات للموانئ [1].

المطلب الثالث: نماذج من الموانئ

1-ميناء مدينة صور:

عرفت مدينة صور بتوسع تجارتها البحرية وإزدهارها، خاصة في الفترة الممتدة ما بين 1100 قبل الميلاد إلى حوالي 800 قبل الميلاد [2] خلال هذه الفترة كان ميناء مدينة صور نقطة إنطلاق السفن التجارية بمختلف الاتجاهات عبر البحر المتوسط وخير وصف لحركة ميناء صور ما ورد في سفر حزقيال [3] **(أنظر ملحق النصوص 2)**، **(أنظر الخريطة رقم04)**.

أما وصف الميناء والمدينة فقد ورد عند **سترابون Strabon** الذي ذكر ما يلي:

".... أما عن صور فهي جزيرة تماما مقامة على نسق جزيرة أرواد ويصلها بالبر لسان أقامه الإسكندر أثناء حصاره للمدينة ولصور ميناءان أحدهما مغلق وهو الميناء الشمالي، والآخر مفتوح، وهو الذي نسميه بالميناء المصري، وقد نهضت المدينة بمهارة أهلها في الملاحة والصناعة ...."[4].

إستنادا إلى وصف **سترابون Strabon** لمدينة صور وميناءها والدراسات الأثرية، يمكن إعطاء صورة لميناء صور، فقد كان ميناء مزدوج ، فقد عرف إهتمام الفينيقيين بإنشاء الموانئ المزدوجة، التي وجدت داخل وخارج الساحل الفينيقي.

---

[1] – هشام الصفدي، "**شواهد من حضارات البحر الأبيض المتوسط**"، الأصالة، العدد 5، ديسمبر 1977، ص 22.

[2] – Attilo Gaudio, op.cit, P 59.

[3] – الكتاب المقدس، سفر حزقيال، 27.

[4] – Strabon, XVI, 23.

بالنسبة لميناء صور عرف المرفأ الواقع في الناحية الشمالية بالمرفأ الصيداوي وله مميزات حيث تميز بوجود الأرصفة في الحواجز والأحواض هذه الأخيرة كانت مخصصة لبناء السفن فعادة الموانئ كانت تتضمن ورشات لنصاعة السفن [1].

أما المرفأ الثاني عرف بالمرفأ المصري **(أنظر الخريطة 04)** وقد أدخلت عليه تحسينات وإضافات كالأرصفة والحواجز [2] وحسب الأبحاث الأثرية الحديثة تأكد الباحثون أن الميناء القديم لمدينة صور ناشئ من خط صخور بارز في البحر تم الإيصال بجعلها حواجز تصد الأمواج، وهذا الإنجاز قام به الفينيقيون خلال القرن التاسع قبل الميلاد في فترة حكم الملك حيرام الأول (969-936 قبل الميلاد) حيث قاموا بإيصال مدينة صور المقامة على جزيرة تبعد بمسافة حوالي واحد كيلومتر عن الساحل الفينيقي، حيث ردمت الصخور في مياه البحر فأصبحت بذلك المدينة متصلة مع البر بالممر الصخري [3]، وضم إلى الجزيرة الكبرى عدة جزر صغيرة كانت قريبة منها [4].

من أهم المميزات الأخرى لميناء صور المزدوج أن الميناء الصيداوي مفتوح على البحر بإعتباره المرفأ التجاري، أما المرفأ المصري فلا يمكن الدخول إليه إلا بعد المرور على المرفأ الشمالي من المرفأ المصري الجنوبي مخصص للبحرية الحربية، لذلك كان محمي بجدار عال، بحيث يحجب الرؤية من خارجه، فمن يكون خارج المرفأ لا يمكن أن يرى ما بداخل المرفأ [5].

في هذه الحالة بالنسبة لميناء صور نجد أن تقسيمه مرفأين جنوبي وشمالي له أهمية إستراتيجية أكثر من أن يكون محمي ضد التغيرات الطبيعية [6].

التحسينات التي أدخلت على ميناء مدينة صور لم تخص هذا الميناء فقط.

---

1 - Attilo Gaudio, op.cit, P 60.

2 - Ibid.

3 - David Soren, **Carthage splendeur et décadence d'une** civilisation, (Albin Michel, 1994), P 42.

4 - جورج كونتنو، " **الحضارة الفينيقية** "، ص 348.

5 - Attilo Gaudio, op.cit, PP 59-60.

6 - محمد الصغير غانم، " **التوسع الفينيقي في غربي المتوسط** "، ص 61.

فقد كانت على إمتداد الساحل الفينيقي، موانئ أخرى تطلبت تهيئة نظرا لخصائصها الطبيعية المتميزة بوجود الصخور، وينطبق الأمر على العديد من الموانئ منها، ميناء جبيل، أورواد وصيدا، بالإضافة إلى أن هذه الموانئ كانت في أغلبها مزدوجة، لأسباب إستراتيجية وظروف طبيعية وهي خاصية نجدها في موانئ أخرى أقيمت خارج الساحل الفينيقي، أهمها ميناء سردينيا وقرطاجة التي سنأتي على ذكره كنموذج الموانئ في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

2-ميناء قرطاجة:

يعتبر ميناء قرطاجة من أهم الموانئ التي أنشأها الفينيقيون في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وقد كان إختيارهم لموقع إنشاء المدنية مرتبط بموقعها الإستراتيجي، الملائم لإنشاء الميناء، وخير وصف لميناء قرطاجة نجده عند **أبيان Appian** الذي وصفه كما يلي: " كانت مرافئ قرطاجة معدة بحيث تسمح بمرور السفن من أحدها إلى الآخر، حيث تدخل من البحر عن طريق مدخل عرضه سبعون قدما، كان يتم إغلاقه بسلاسل من حديد، كان الميناء الأول مخصصا للسفن التجارية، وتوجد في وسط الميناء الثاني جزيرة.

وتظهر الأرصفة ذات فواصل حول الميناء والجزيرة، لها القدرة على إستيعاب 220 سفينة، بالإضافة إلى وجود مخازن لعدة السفن وأدواتهم وأمام كل مقصورة يوجد عمودان أيونيان يعطيان هيئة رواق مستمر على كل من المرفأ والجزيرة، وقد بني في الجزيرة دار الأميرالية تصدر منه الإشارات بواسطة الأبواق، حيث يراقب الأميرال بنفسه كل شيء، وتقع الجزيرة قرب مدخل الميناء، ترتفع بشكل قوي، بحيث يستطيع الأميرال أن يراقب ما يجري في عرض البحر، بينما الذين يقتربون من البحر لا يستطيعون أن يميزوا ما يجري في الداخل، حتى التجار القادمون لا يستطيعونه أن يروا الترسانات مباشرة، إذ كان يحجبه جدار

مضاعف كما توجد أبواب يمر منها تجار السفن من المرفأ الأول إلى المدينة دون المرور من الترسانات. هكذا كان مظهر قرطاجة في ذلك الوقت " [1].

يعد ميناء قرطاجة نموذج للموانئ الاصطناعية المزدوجة، المعروفة بإسم القطون **Cothon**، وهي تسمية سامية مشتقة من فعل قط وتعني نحت.

3-ميناء ليكسوس:

تختلف الموانئ الفينيقية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، عن غيرها من الموانئ في الساحل الفينيقي، فأغلبها تم إدخال تحسينات عليها نظرا للخصائص التضاريسية التي تتميز بها، كالتعرجات الصخرية فلم يكن بإمكانهم سهولة في رسو السفن ودخولها وخروجها من الميناء، وهذه الخصائص لا نجدها في الموانئ التي أنشأها الفينيقيون في سواحل شمال إفريقيا التي تعتبر موانئ بسيطة وطبيعية حيث كان بإمكان السفن أن تصل بسهولة إلى اليابسة، وهذه الحالة تنطبق على الكثير من الموانئ من أهمها ميناء ليكسوس، وبإعتباره كذلك من أهم الموانئ التي تعددت فيها نشاطات الفينيقيين فقد كان ميناء ليكسوس إحدى محطات الاستراحة والصيد وتمليح الأسماك [2].

تصميم الميناء الفينيقي في مناطق مختلفة كان بمثابة تسخير للظروف الطبيعية للمكان، وفي هذه الحالة بالنسبة لميناء ليكسوس يتميز ببنية مرفئية لها خصائصها المرتبطة بطبيعة المنطقة، فالميناء يمثل جزء من الرصيف النحوي **لنهر اللوكوس Loukous** [3] وحسب **بيار سانتاس Pierre Cintas** يذكر أن ميناء لكسوس لم يكن سوى شاطئ رملي شكله نصف دائري حيث كانت السفن تجر إلى اليابسة بسهولة وهذا يؤكد أن التحسينات التي قام بها الفينيقيون في الميناء كانت قليلة، كما أن الفرضية السابقة الذكر تصح في حالة السفن الخفيفة الوزن كسفن الصيد التي قد يسهل جرها بإستخدام مساحب خشبية [4].

---

1 - Appian, **Histoire Romaine**, trad. Goukowsky, (Paris, 2001), VII, 96.

2 - D.C.P.P., P 357.

3 - Michel Ponsich, « **Implantation rural du Maroc Phénicien (D.H.A.)** », P, 86.

4 - Cintas (P), « **Manuel D'Archéologie Punique** » T, II, PP 56-57.

هناك دراسات أخرى قد تقلل من صحة الفرضية السابقة وذلك إعتمادا على معطيات أهمها أن السفن التجارية الفينيقية كانت ذات حجم كبير باعتبارها سفن مخصصة للحمولات الكبيرة من السلع والمنتوجات التي كان يتاجر بها الفينقيونن وهذا ما قد يؤكد إستحالة به السفن إلى اليابسة باستخدام المساحب الخشبية، وقد تصح الفرضية في حالة أخرى، حيث ربما كانت ترسو السفن المحملة في الماء وفي حالة إفراغ الحمولة يتم إستخدام سفن صغيرة تنقل البضائع من السفينة الكبيرة إلى البر، وتعرف هذه المسافة.

المبحث الثالث: المعابد خارج الساحل الفينيقي

يعتبر المعبد مؤسسة دينية لها أهميتها في الحياة اليومية عند شعوب الحضارات القديمة، ولا تختلف أهمية المعبد عن الفينيقيين من الناحية الدينية عن غيرهم، لكن بالنسبة للفينيقيين نجد خصوصية إنفردوا بها، قد قاموا بإنشاءا لمعابد خارج مدن الساحل الفينيقي في المناطق التي تاجروا معها والتي إستوكنوا فيها بعيدا عن الوطن الأم، فقد كانت المعابد أولى المنشآت التي إهتم الفينيقي بتأسيسها خارج فينقيا [1].

الهدف العام من إنشاء المعبد ليكون مكانا يسكنه الإله، وهو كذلك مكان إتصال الإنسان بالإله [2] وهذا ينطبق على الفينيقيين وغيرهم ممن عاصرهم في حضارات أخرى.

المطلب الأول: خصائص المعبد الفنيقي:

وجدت العديد من البقايا الأثرية لمعابد فينيقية داخل وخارج الساحل الفنيقي وهذا ما مكن الباحثين من تحديد الخصائص العامة للمعبد الفينيقي، وأقدم المعابد التي كشفت عنها التنقيبات الأثرية في منطقة الساحل الفينيقي قد يعود تاريخها إلى حوالي اللف الثالثة قبل

---

[1] – محمد رضوان العزيفي، " **الدور الاقتصادي لمؤسسة المعبد في عملية التوسع الفينيقي (أضواء جديدة على تاريخ شمال إفريقيا القديم وحضارته)** "، (الرباط، 2007)، ص 224.

[2] – فيليب حتي، " تاريخ لبنان "، ص 165.

الميلاد وتتميز المعابد في هذه الفترة بشكلها البسيط، وستظهر المعابد الفينيقية في الفترات اللاحقة أكثر تعقيدا [1].

أهم خصائص المعبد الفينيقي والمتمثلة في الأجزاء الأساسية والتي نجدها في أغلب المعابد التي أنشأت خارج مدن الساحل الفينيقي، حيث نجد المذبح ويكون عادة من الحجارة، ويعتبر أبزر ما يميز المعبد الفينيقي نظرا لإرتكابه بتقديم الأضحيات والتي تعد من أهم الطقوس الدينية التي تقام في المعابد داخل الوطن الأم فينيقيا وخارجه في العديد من المناطق التي حل بها التجار الفينيقيون لذلك نجد أن بعض المصادر على ذكر المذبح دون ذكر المعبد، وهذا يعني وجود إختلاف بنيهما، فالفرق بين المذبح والمعبد يعد فرقا ظاهريا فقط، لأن المعبد والمذبح يعتبران عنصران متكاملان في الديانة الفينيقية، وقد يسبق إنشاء المذبح باقي العناصر الأخرى في المعبد، نظرا لأهمية تقديم الأضحيات قبل إقامة طقوس أخرى، بالإضافة إلى ما سبق الفينيقيون إهتموا بتقديم أضحيات الأساس عند الشروع في البناء[2].

إضافة إلى المذبح بإعتباره الجزء الأساسي نجد في المعبد الفينيقي العمود المقدس إذ يعتبر في الديانة الفينيقية رمزا إلى الإله الذكر، بالإضافة إلى إقامة رموز أخرى للإله تتخذ عادة شكل العمود المصنوع من الخشب أو الحجارة، كما صنع الفينيقيون تماثل لآلهتهم التي كانت تصنع من البرونز وقد وجدت العديد من هذه النماذج خارج الساحل الفينيقي [3].

---

1 - فيليب حتى، "**تاريخ لبنان**"، ص 165.

2 - نفسه، ص 166.

3 - نفسه.

المطلب الثاني: نماذج من المعابد الفينيقية:

1-المعبد الفينيقي في مصر:

تؤكد المصادر أنه كان من عادة التجار الفينيقيين إقامة مكان للعبادة أينما حلوا، وهذا ما تؤكده العديد من النصوص المرتبطة بتأسيس العديد من المدن والمراكز التي أقاموا بها في الحوض الشرقي للبحر المتوسط والحوض الغربي للبحر المتوسط [1] التي إندمجت مع الآلهة المصرية، وأبرز مثال الآلهة عشتاروت التي إندمجت. مع الآلهة المصرية سمت، ومثال آخر على إنتشار الآلهة الفينيقية في مصر ، إسم أحد ابناء رمسيس الثاني، الذي عرف بإسم ميدي أستروت أي محبوب عشتروت [2].

لقد تحدث هيرودوت عن إقامة الفينيقيين بمصر، في أحياء خاصة بهم وفي نفس السياق ذكر ما يؤكد إقامتهم للمعابد منها ما خصص لعبادة الإله ملقرات، وهذا ما نستخلصه مما يلي: "... وإلى ما يسمى الآن بفرع النيل، الكانوبي والملاحات كان يوجد على الشاطئ معبد لهم قليس " [3].

ذكر كذلك هيرودوت عبادة الفينيقيين في مصر للآلهة عشتروت وهذا ما نستخلصه فيما يلي: "... فالجالية في ممفيس كانت تقيم حول معبد للآلهة عشتارت " [4].

قد يختلف التواجد الفينيقي في مصر، عن غيره في المناطق التي تاجروا معها كون مصر قوة سياسية، لكن رغم ذلك كان الفينيقيون يشرفون على مصالحهم الاقتصادية، من خلال مؤسسة المعبد. وسنأتي على ذكر ذلك من خلال العلاقات بين مصر و فينقيا.

---

[1] – محمد رضوان الغريفي، " **الدور الاقتصادي لمؤسسة المبعد في عملية التوسع** "، ص 224.

[2] – أحمد الفرجاوي، " **بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة** "، (المعهد الوطني للتراث، تونس، 1993)، ص ص 189–190.

[3] – Hérodote, II, 113.

[4] – Ibid .

2-المعابد في بلاد الإغريق:

أقام الفينيقيون في بلاد الإغريق، وقد إرتبط تواجدهم المبكر بأسطورة **كدموس Kadmos** التي سنأتي على ذكرها من خلال العلاقات التجارية بين فنيقيا وبلاد الإغريق، فحين وصل كدموس إلى بلاد الإغريق قام بإنشاء معبد للإله **بوسيدون Poséidon** (*) المطابق للآله الفينيقي ملقرات، وترك مجموعة من الفينيقيين ليقوموا بالإشراف على المعبد[1].

3-المعابد الفينيقية في جزيرة قبرص:

تعد جزيرة قبرص من أهم جزر البحر المتوسط، التي أقام فيها الفينيقيون بمناطق مختلفة منها، حيث مارسوا فيها نشاطات إقتصادية مختلفة وقد قاموا بإنشاء معابد كثيرة، من أهمها معبد عشتارت في منطقة **بافوس Paphos** وقد أشار إلى وجود هذا المعبد هيرودوت[2]. بحكم تركز الفينيقيين بعدة جهات في جزيرة قبرص، قاموا بإنشاء معابد أخرى، وبعض هذه المعابد أقيمت على بقايا معابد تعود إلى الفترة الموكينية [3].

4-المعابد الفينيقية في قادس:

أسس الفينيقيون مدينة قادس، في شبه الجزيرة الأيبيرية، وتعد رواية **سترابون Strabon** حول تأسيس مدينة قادس، أهم **رواية** يمكن أن نستخلص منها إهتمام الفينيقيين بإقامة مكان لأداء طقوسهم الدينية. وقد ذكر ما يلي:

"..... وبما أنهم قدموا قربانا للآلهة في ذاك المكان من الساحل ولم تكن الأضحيات مناسبة فإنهم رحلوا من حيث أتوا، وبعد مدة قام المبحوثون بإجتياز المضيق، حيث وصلوا

* - **بوسيدون Poséidon** إله إغريقي.

1 - Diodore De Sicile, V, 58-20.

2 - Hérodote, 1, 105.

3 - محمد رضوان الغريفي، " الدور الاقتصادي لمؤسسة المعبد في عملية التوسع الفنيقي "، ص 233.

إلى جزيرة مهداة لهرقل، توجد بالقرب من آونابا وهي مدينة أيبيرية تبعد عن المضيق بحوالي ألف وخمس مائة عقدة. وبما أنهم إعتقدوا بوجود الأعمدة هناك قاموا من جديد بتقديم القرابين للآلهة ومرة أخرى كانت الأضحيات مخالفة فعادوا إلى الوطن، وخلال الحملة الثالثة أسسوا قادس، وشيدوا المعبد في الجهة الشرقية للجزيرة والمدينة في الجهة الغربية...." [1].

تعد مدينة قادس من أهم المدن التي أسسها الفينيقيون، في شبه الجزيرة الأيبيرية وكغيرها من المدن الفينيقية، لم يتوان الفينيقيون لإنشاء المعبد قبل تشييدهم للمدنية نفسها، ولهم في ذلك أسباب سنأتي على ذكرها لاحقا [2].

5-المعبد الفينيقي في قرطاجة:

تعد مدينة قرطاجة من أهم المدن الفينيقية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، إرتبط تأسيس هذه المدينة بحضور المؤسسة الدينية قبل وصول الفينيقيين إلى موقع المدينة، في شمال إفريقيا، وهذا ما نستخلصه مما ذكره **يوستينوس Justin** ".... وشعرت هكذا عليس بأنها مجبرة على الفرار وعرفت كيف تحتال على شقيقتها، وأبحرت بأموال زوجها ومؤيد لها إلى قبرص، ومنها إلى إفريقيا، بعد إن إنضم إليها في قبرص كاهن **Juno**، الذي ضمن لنفسه ولأسرته، من بعده الإشراف الديني في المدينة الجديدة " [3].

تؤكد لنا رواية **يوستنيوس Justin** إهتمام الفينيقيين بحضور السلطة السياسية والمؤسسة الدينية عند الشروع في إنشاء مدنهم فحضور الأميرة عليسة يمثل حضور السلطة السياسية وأخذها معها الكاهن يؤكد أهمية المعبد في أي مدية تؤسس خارج الوطن الأم فينقيا وتعد بذلك قرطاجة ثاني مدينة في الحوض الغربي إلى جانب مدينة قادس التي أكدت المصادر أهمية إنشاء المعبد قبل تأسيس المدينة.

---

1 - Strabon, III, 5.5.

2 - Bourain. C, Bonnet . C « **Les Phéniciennes Marins des trois Continents** » (ARMAND Colin, Paris, 1992), P 190.

3 - Justin, « **Histoire Universelle** » Tra(J) Pierrot et (E) Bortard, Paris, 1883, XV III, 4.

6-المعبد الفينيقي في ليكسوس:

تعد مدينة ليكسوس من أهم المدن التي أسسها الفينيقيون في الحوض الغربي للبحر المتوسط وقد أكدت النصوص على وجود المعبد في هذه المدينة، فقد ذكر بلين الأقدم **Pline L'Ancien** ما يلي: "... يحكى أن خليج الوكالات التجارية يتوفر على تجويف يلجه البحر عند المد على مسافة طولها سبع غلوات وأما هذا التجويف تمتد أرض منخفضة ومتماسكة يعلوها مذبح لهرقليس لا تغمره المياه أبدًا " [1].

كما يؤكد بلين الأقدم **Pline L'Ancien** وجود المعبد في موضع آخر: "... في المصب النهري الذي توجد به، مدينة ليكسوس على بعد مأتي قدم من المحيط، بالقرب من معبد هرقل يعتبر أقدم من معبد قادس " [2].

المطلب الثالث: الدور الإقتصادي للمعبد الفينيقيين:

إرتبط التوسع التجاري للفينيقيين بإنشاء المدن والمحطات والمراكز التجارية مع حضور معتقداتهم الدينية، وقد يطرح التساؤل عن سبب إهتمام الفينيقيين بإنشاء أماكن للعبادة على غرار إهتامهم بإنشاء الموانئ، ففي غالب الأحيان كان الفينيقيون يبادرون إلى إنشاء المعبد قبل تأسيس المدينة في كثير من الحالات والتي سبق ذكر نماذج منها، وفيما يلي سنأتي على ذكر ما يفسر وجود رابطة بين الجانب السياسي والاقتصادي والديني عند الفينيقيين خارج الساحل الفينيقي.

---

1 - Pline, XIX

2 -Ibid.

كانت سلطة الملك مستمدة من الإله ونخص بالذكر هنا سلطة الإله **ملقرات Malqart**[1] (*) بإعتباره بعل مدينة صور هذه الأخيرة التي تزعمت مدن الساحل الفينيقي إذا إرتبط إزدهارها وقوتها بفترة التوسع التجاري للفينيقيين خاصة في الحوض الغربي للبحر المتوسط [2] وبإعتبار الإله ملقرات إله المدينة المشرفة على التوسع الفينيقي عرف بإله المستعمرات [3].

نظرا لإنتشار عبادته في أغلب مناطق التواجد الفينيقي خارج الساحل الفينيقي وهذا ما يؤكد إرتباط السلطة السياسية بالدينية. وبذلك حضوره يعني حضور سلطة الملك [4].

يظهر دور المعبد من خلال دور الكاهن الذي يشرف عادة على الطقوس الدينية إضافة إلى إشرافه على المعبد كان له دور حماية زوار أماكن التبادل التجاري أو الأسواق التي كانت تقام قريبة من المعبد ، فمن شروط إقامة هذه الأماكن المخصصة للبيع والشراء توفير الحماية والضمانة الكافية وهذا ما كان في وسع الإله أن يقدمه دون سواه، نظرا لمكانته المقدسة، فتكون بذلك عملية البيع والشراء تتم تحت حماية الإله دون سواه [5].

المعبد يوفر حالة من الثقة المتبادلة بين الوافدين الجدد ونقصد بهم الجاليات الفينيقية من التجار والسكان المحليين وهذا ما ساهم في استقرار الفينيقيين في أماكن بعيدة عن وطنهم الأمر فينقيا [6].

---

1 – محمد رضوان العزيفي، " **الدور الاقتصادي لمؤسسة المعبد في عملية التوسع الفينيقي** "، ص ص، 238-248.

* – **ملقرت Malqart** إله مدينة صور وإسمه يعني إله المدينة، وهو معنى لا يوضح هوية الإله، كانت تقام له إحتفالات سنوية في مدينة صور، بني له معبد في فترة حكم حيرام الأول، إنتشر عبادته خارج مدينة صور، قرن إسمه بإله الإغريق هرقل وقد ورد ذكره عند هيرودوت، و بويب، كما ورد ذكره في نصوص العهد القديم بإسم ملوك Moloch ، أو ملك Melech ، كانت تقدم له الذباح البشرية من الأطفال، وكان الهدف من هذه العادة، إرضاء الآلهة لحمايتهم من أهوال وإخطار البحر . **أنظر** جورج كونتنو، " **الحضارة الفينيقية** "، ص 137. فيليب حتي، " **تاريخ لبنان** "، ص 163.

2 – جورج كونتنو، نفسه.

3 – Bourain. C, Bonnet . C, op.cit, P 188.

4 – محمد رضوان الغريفي، نفسه، ص ص 238-242.

5 – Bourain. C, Bonnet . C, op.cit, P P 189-190.

6 – ibid.

المكانة المقدسة التي كانت تحظى بها مؤسسة المعبد عند شعوب الحضارات القديمة كانت الضمانة الوحيدة بين التجار الفينيقيين الذين يعتبرون في كل الأحوال غرباء عن سكان المناطق التي إستوطنوا فيها، ففي ظل غياب سيادة أو سلطة عليا خاصة من الطرف الفينيقي، ما كان يضمن علاقة الثقة المتبادلة هو وجود المعبد باعتباره مكانا مقدس للإله، وهو يضمن حقوقهم ويحميهم لاحترام الطرف الثاني السيادة المعترف بها للإله الفينيقي [1].

لم يقتصر دور المعبد في أداء دوره المعنوي السابق الذكر، فقد حل المعبد محل المؤسسات المالية، فقد كانت تحفظ فيه سجلات الصفقات والمعاملات التجارية. ويكون له بذلك دور إداري [2]. كما كان له دور في مجال التعامل المالي، بتقديمه للقروض من الذهب والفضة. وهذا يعد نوع من الاستثمار المريح وتم ذلك تحت إشراف الكاهن، فالمعبد كان يتلقى الرسوم والضرائب المتمثلة في المواد الثمينة كالحلي وبالإضافة إلى تلقيه التركات [3].

ما يفسر أهمية المعبد عند الفينيقيين من الناحية المادية داخل وخارج مدن الساحل الفينيقي، الموارد التي كان يقدمها المستوطنات إلى معبد ملقرات في مدينة صور، وخير مثال ما كانت ترسله مدينة قرطاجة إلى معبد ملقرات في الوطن الأم، فقد كانت ترسل سنويا عشر مواردها.

تعددت أهمية المعبد عند الفينيقيين من الناحية السياسية والدينية والإقتصادية، وهذا ما جعلهم يهتمون ببناء المعبد أينما حلوا حتى يضمنوا حماية وتنظيم أمورهم الاقتصادية.

---

[1] – محمد رضوان الغريفي، **الدور الاقتصادي لمؤسسة المعبد في عملية التوسع الفينيقي**، ص ص، 238-242.

[2] – Bourain. C, Bonnet . ibid.

[3] – محمد رضوان الغريفي، نفسه.

الفصل الثالث:

تنظيــم التجـــــارة

المبحث الأول: تنظيم المعاملات التجارية:

إقترن ذكر الفينيقيين بالتجارة، فقد سيطروا على التجارة البحرية في البحر المتوسط على مدار حوالي ثلاث قرون، كانوا يجوبون البحر بأساطيلهم التجارية، فلا يستبعد أنهم وضعوا تنظيما لتجارتهم من خلال وضع قوانين ومؤسسات مرتبطة بالتجارة داخل وخارج المدن الفينيقية [1].

المطلب الأول: العقود والسجلات:

قليلة هي المعلومات المتعلقة بعقد البيع والشراء، لكن المؤكد أن التجار الفينيقيين كانت لهم معرفة باستخدام العقود والسجلات، الخاصة بتدوين معاملاتهم.

إستخدم الفينيقيون العقود والسجلات في مجال التنظيم الإداري، فقد وجدت بقايا لنصوص واردة في عقود، من أهمها: عقود الزواج، عقود الوصايا، الإرث، عقود البيع، والتي كان يقوم بكتابتها المختصون [2].

كانت تتم عملية التدوين بحضور شهود وهذا ما نستدل عليه من بعض النصوص الأوغارتيية، فقد ورد في نص لعقد بيع ارض ما يلي:

" في هذا اليوم وأمام الملك عميشترو بن نقمبيا باع كلبيا بن كتبنانا ما يعادل 25 دونما من أرضه الواقعة في ضواحي مدينة أوغاريت بسعر 520 شيقل من الفضة إلى كرواتا بن تيشوبازكي وأولاده وأصبحت تلك الأرض من الآن وإلى الأبد تابعة لكروانا " [3].

– نماذج عقود البيع في مدينة أوغاريت كثيرة تخص مجالات البيع المختلفة، لكن ما يمكن أن نستنتجه من النموذج.

---

1 - أحمد حامدة، **التجارة الكنعانية الفينيقية**، ص 65.
2 - محمد عبد الحميد الحمد، " **حضارة طريق التوابل** "، (دمشق، 2007)، ص ص 186-189.
3 - نفسه، ص 189.

– العقود كانت تتم بحضور شهود إلى جانب البائع والمشتري.

– المختصون كانوا يقومون بتدوين العقود.

– بعض العقود كانت تتم أمام الملك كعقود بيع الأراضي وعقود التبني والإرث.

لم تكن النصوص الأوغاريتية النصوص الأدبية الوحيدة التي أكدت وجود العقود والسجلات في مجال التجارة وكل ما يخص أمور البيع والشراء. فقد وجدت نصوص تدل على تدوين عمليات البيع، فقد عثر على نص يخص بيع الأنسجة الصوفية الملونة، مع ذكر الكميات والأسعار وربما كان النص جزء من سجل، فكميات الصوف بيعت إلى عدة أشخاص حسبما يفهم من النص، فقد يكون هذا الأخير يخص أحد الوكالات المتخصصة في بيع الأنسجة الأرجوانية [1] **(أنظر ملحق النصوص 01).**

فيما يخص عمليات البيع التي كانت تتم تحت إشراف وأمر من الملك نجد نموذج يعود إلى أمير جبيل زكر – بعل عندما قام ببيع الأخشاب الموجهة إلى معبد طيبة بمصر وسنأتي على ذكر تفاصيل هذه العملية لاحقا [2].

مما سبق ورغم قلة المصادر التي تناولت الموضوع يمكن التأكيد على إهتمام التجار بتدوين عقود البيع خاصة إذا تعلقت بيع مواد ثمينة الأخشاب أو الأنسجة الأرجوانية.

---

[1] Thureau Dangins, op.cit, PP 140-145.-

[2] - فيليب حتى، " **لبنان القديم** "، ص 40.

المطلب الثاني: المؤسسات التجارية

أوجد الفينيقيون مؤسسات جارية خلال فترة مبكرة، فخلال النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، وجدت ما يعرف في أوغاريت " مكارم " [1] وما يقابله في المدن الفينيقية تمكار، وهو مصطلح يطلق على أشخاص يعملون تحت تصرف الملك. فيقومون بتنفيذ الصفقات التجارية الملكية بإعتبارهم تجار ويبقون تحت تصرف الملك خلال حياته، فقد كان الملك التاجر الأول. فقد كانت السفن تخرج بأمره وتحت حمايته.

المطلب الثالث: الوكالات التجارية:

إهتم الفينيقيون بالتجارة والتوسع التجاري، ولم يكن وجودهم كتجار خارج الساحل الفينيقي عشوائيا، فقد كانوا منظمين، فقد أقاموا تجمعات في بعض المحطات التجارية، والتي اتخذت إسم الوكالات التجارية. فقد كانوا يقيمون في أحياء خاصة، يشرفون من خلالها على أمور البيع والشراء في مصر مثلا، ومقابل إقامتهم كانوا يدفعون ضريبة للفرعون وفق إتفاق، تحقيق للإقامة وممارسة التجارة فقد كان الفينيقيون في مصر يقومون بالتجارة والمساحلة بسفنهم الموانئ المصرية [2]، وقد أشار إلى ذلك هيرودوت [3]. وسنأتي على ذكرها من خلال العلاقات التجارية بين مصر وفنيقيا.

المبحث الثاني: قوانين التنظيم التجاري:

لقد إستلزم تنظيم التجارة سن قوانين يلتزم بها التجار، حفاظا على التجارة وقد إرتبطت هذه القوانين بالطرق التجارية والمحافظة عليها وتأمين السلع بصفة خاصة.

[1] - **مكارم** يعني مجموعة كبيرة من التجار الباعة. (أنظر أحمد حامدة، المرجع السابق، ص 77)

[2] - Lionello Cioli, « **Histoire économique depuis Latinité jusqu'a a nos jours »** (Payot, 1938), P 23.

[3] - Herodote IV, 132.

المطلب الأول: قوانين الحفاظ على الطرق التجارية:

كان الفينيقيون حريصين أشد الحرص على كتمان طرقهم التجارية، فقد كانوا المكتشفين الأوائل للبحر المتوسط، فقد وصلوا إلى أقصى منطقة في الحوض الغربي المتوسط وابعد من ذلك في المحيط الأطلسي. وقد إحتفظوا بمعارفهم في مجال الملاحة، فقد كانوا كتومين،يضللون كل من يتبعهم وهذا حسبما ذكره سترابون Strabon (58 ق.م، 28م)

" كان سكان الجزر الكاستيريدية وهم يعيشون بشكل بدائي. يملكون مناجم قصدير ورصاص ويبادلون بذلك بعض المنتوجات كما يبادلون جلود الحيوانات التي يقومون بتربيتها بالمصنوعات الفخارية والملح والمصنوعات البرونزية وسابقا كان الفينيقيون وجدهم يرسلون سفنهم إنطلاقا من قادس، وكانوا يكتمون بشكل تام معرفة الطرق المؤدية إليها، وذات يوم لحق بعض البحارة الرومان بإحدى تلك السفن لمعرفة تلك الطرق إلا أن قائد السفينة الفينيقية ولكي يحافظ على سرية الطريق البحري حول إتجاهها وجنح بها في المياه الضحلة لكي يدفع مطاردية إلى نفس المكان ويكبدهم الخسارة، أما هو فتمكن من الخروج سليما وسددت الخزينة العامة ثمن السفينة " [1].

يوضح النص تضليل البحارة الفينيقيين للسفن التي تحاول تتبعهم، وقد حافظوا على أسرار طرقهم التجارية بصرامة وشدة، وإمتنعوا عن إعطاء المعلومات التي قد تؤدي إلى إكتشاف مناطق حصولهم على المعادن مثل: جزر الكاستيريد التي إحتفظوا بسرية الطرق المؤدية لها.إرتبطت خاصية الكتمان والسرية بالاحتكار الاقتصادي، لما له من أهداف يمكن أن نحددها في هدفين:

– الهدف الأول كان ضمان رواج السلع وذلك تفادي للمنافسة التي قد تفقدهم مناطق لتصريف سلعهم.

---

[1] - Strabon, V 5, 11.

– الهدف الثاني هو إحتكارهم لمناطق إستخراج المعادن، فقد كان لها دور خاص في تفعيل نشاط الصناعة والتجارة [1].

وخاصية الكتمان والسرية والاحتكار لم تخص فقط التجارة البحرية، فمجال الصناعات الحرفية كان دوما محاط بقوانين، فقد كان الفينيقيون حريصين على أسرار الصناعة، يهدف الاحتفاظ بها في أيديهم لأطول فترة بخاصة الصباغة الأرجوانية، لما كانت تعود عليهم من أرباح فقد كان زبائنهم من الأغنياء وعلية القوم، فضمانا لإحتكارها حافظوا على سر هذه الصناعة. لذلك كان الفينيقيون يمنعون تنقل وهجرة الصناع الحرفيين بدون ترخيص خاص من الحاكم، وهذا ما نستدل عليه من إرسال حيرام ملك صور عبيده والصناع الحرفيين بأمره وتحت إشرافه الخاص إلى الملك سليمان [2].

ما يؤكد أن البحارة الفينيقيين كانوا من أشد المحافظين على أسرار الطرق التجارية البحرية، عدم تركهم بخرائط ملاحية، وهذا ما يؤكد أن البحارة الفينيقيين كنوا يتناقلون المعارف البحرية فيما بينهم، فلا وجود لخرائط فينيقية ولا حتى قرطاجية، رغم ذلك بعض الباحثين يشيرون إلى إستخدام بطليموس لخرائط ملاحية فينيقية [3].

المطلب الثاني: قانون تعويض الخسائر:

بإعتبار أن الفينيقيين كانت لهم الأسبقية في وضع قوانين لتنظيم المعاملات التجارية، فقد إهتموا بوضع قانون لتعويض الخسائر [4]، التي قد تحدث للسفن التجارية خلال رحلاتها، وينص القانون حسب أحمد حامدة كما يلي: "أية خسارة يتكبدها قبطان بحري نتية محاولاته لإنقاذ سفينته التي تعرضت للخطر (غرق مثلا) لابد أن يتقسمها جميع أصحاب البضائع الذين لهم بضائع في هذه السفينة بنسب معينة، ومثلا إذا اضطر قبطان سفينة

---

[1] - Lionelli Cioli, op.cit, P 25.
[2] - Ibid., P, 24.
[3] - فريدريك معتوق، المرجع السابق، ص ص 38-39.
[4] - القانون يعرف بإسم Rhodien Law نسبة لجزيرة رودس .

لرمي بضاعة أحد التجار في البحر في سبيل إنقاذ سفينة من غرق محدد فإن خسارة هذا التاجر، يتحملها كل التجار الذين لهم بضاعة في السفينة وصاحب السفينة، وكان هذا القانون مطبقا في كل أنحاء حوض البحر المتوسط ويعرف في القانون البحري الحديث باسم "Gross Average [1] .

المطلب الثالث: دور الملك في تنظيم التجارة:

عرفت المدن الفينيقية نظام الدولة المدنية حيث كان الملك يمثل أعلى سلطة له مهام في مختلف المجالات، السياسية، الدينية والاقتصادية[*]، فقد كان له دور في تنظيم النشاط التجاري، ويظهر دوره من خلال وضع مراقبين للتجارة وجمع الضرائب والإشراف على التجار الذين يقومون بالتجارة لصالح الملك [2].

أما بالنسبة للتجارة والمبادلات التجارية خارج مدن الساحل الفينيقي، فقد كانت في يد الملوك وهذا ما نستدل عليه من بعض المصادر، التي تؤكد لنا أن الملك كان أكبر الملاكين للسفن،والتي كانت تحت تصرفه، بحكم أنه وضع عدد من التجار الذين يقومون بالتجارة لحسابه وبتكليف منه برًا وبحرًا[3] والتجار في هذه الحالة هم من يمثلون الحكام خارج الساحل الفينيقي، وتجارتهم تكون حماية الملك وبذلك يمكن القول أن الملك كان التجار الأول [4].

يمكن أن نستدل على قيام الملك بالتجارة من خلال بعض الدلائل التاريخية ، فحسب أسفار العهد القديم كان الملك يقوم بصفقات تجارية فحيرام الأول ملك صور عقد صفقة تجارية مع ملك العبرانيين وفيما يلي مضمونها: ".. وأرسل حيرام إلى سليمان قائلا: " قد

---

[1] أحمد حامدة، **التجارة الكنعانية الفينيقية**، ص ص 74-75.

[*] – للمزيد حول دور الملك في مختلف المجالات (أنظر أحمد حامدة، الملك والأسرة المالكة في فينيقية، **دراسات تاريخية**، (العددان، 49-50، 1994)، نفسه، من مظاهر الحياة الاجتماعية في المجتمع الكنعاني الفينيقي، **دراسات تاريخية**، (العددان 79-80، 2002)، إياد عبد الله يونس، المرجع السابق، ص ص، 130-131، 186.

[2] – إياد عبد الله يونس، المرجع السابق، ص 134..

[3] – أحمد حامدة، نفسه، ص 73.

[4] – نفسه.

سمعت ما أرسلت به إليَّ، أنا أفعل كل مشترتك في خشب الآرز وخشب السَّرو عبيدي ينزلون ذلك من لبنان إلى البحر، وأن أجعله أرماثا في البحر إلى الموضع الذي تعرفني عنه وانفضه هناك وأنت تحمله وأن تعمل مرضاتي بإعطائك طعاما لبيتي، فكان حيرام يعطي سليمان خشب آرز وخشب سرو حسب مسرته ، وأعطى سليمان حيرام عشرين ألف كل حنطة طعاما للبيته، وعشرين كلّ زيت رَض، هكذا سليمان يعطي حيرام سنة فسنة، والرب أعطى سليمان حكمة كما كله، وكان صلح بين حيرام وسليمان وقطا كلاهما عهدًا.

مما سبق نستنتج أن الملك كان يتاجر بما يملكه من ثروات، خاصة إذا تعلق الأمر بالثروة الخشبية التي تعتبر ثروة يتحكم فيها الملك، مما قد يؤكد كذلك أن الأخشاب لم تكن من ضمن ما يمكن أن يتاجر به التاجر العادي، أو بدون إذن من الملك.

مصادر أخرى تؤكد لنا تحكم الملك في تجارة الأخشاب، خاصة أخشاب الآرز التي إنفرد الفينيقيون بإمتلاكها، فحسب المصادر المصرية كان يتم طلبها من طرف الملك، وقد عثر الباحثون على بردية [*]. تتضمن مراسلة من كبير كهنة معبد آمون ون– آمون في الكرنك خلال القرن الحادي عشر قبل الميلاد، يطلب فيها من ملك جبيل زكر– بعل، إرسال شحنة من أخشاب الآرز اللازمة لترميم المعبد، وقد تماطل زكر– بعل وترك أورنامون **Ournamon** وتركه ينتظر أياما في الميناء بحجة عدم إرسال ثمن الشحنة سلفا، قبل أمره بقطع ونقل وشحن الأخشاب [1].

[*] – بردية ون– آمون تعود إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد، عثر عليها سنة 1899 من طرف الروسي فلاديمير كلونيشف Vladimir Golenischeff والبردية محفوظة في متحف الفنون الجميلة بموسكو (أنظر Maitland , A. Ed edey.Ibid. جورج كونتنو " الحضارة الفنيقية " ص ص 78–79).

[1] –.Maitland D. Q. Edey, Op.cit, P P 25-26

من خلال ما سبق يتضح أن الملك الفينيقي كان له سلطة مطلقة في تحكمه في تجارة الأخشاب، بالإضافة إلى وجود سلطة وعلى دخول وخروج السفن الحراسة في ميناء المدينة، بالإضافة إلى إشرافه على دفع الرسوم اللازمة على السفن قبل أن تبحر من الميناء[1].

إلى جانب الأخشاب كانت المعادن من المواد التي أشرف عليها الملوك على تجارتها. والحصول عليها من المناطق البعيدة، ويتضح ذلك من خلال عقد الملك حيرام الأول لشراكة إذ أرسل سفنه إلى جانب سفن العبرانيين لجلب المعادن من بلاد أوفير وترشيش[*].

وسنأتي على ذكرها في المبحث الخاص بالعلاقات التجارية مع بلاد أوفير وترشيش.

المبحث الثالث: نظام التبادل التجاري

مارس الفينيقيون التجارة البرية والبحرية وعلى وجه الخصوص البحرية ونجاحهم مرتبط بتنظيم عمليات التبادل.

المطلب الأول: المقايضة

إعتمد التجار الفينيقيون على نظام المقايضة، الذي يعتبر أقدم نظام إعتمد عليه الإنسان[2]، وقد حافظ الفينيقيون على هذا النظام، ولم يستبدلوه بالمسكوكات [3] بالرغم من إتساع مناطق التبادل التجاري، وفيما يلي أهم نص تاريخي بوضع طريقة المقايضة:

" يحكي القرطاجيون أيضا ما يلي: يوجد في ليبيا، فيما وراء أعمدة هرقل، بلد يقطنه أناس، وعندما يصل القرطاجيون عند هؤلاء الأقوام ينزلون بضائعهم ويرتبونها على طول الساحل، ثم يصعدون إلى مراكبهم ويشعلون النيران ليتكون الدخان وعندما يرى الأهالي الدخان يقدمون إلى شاطئ البحر ويضعون الذهب أمام البضائع ويبتعدون، عند ذلك ينزل

---

[1] – فرديريك معتوق، المرجع السابق، ص 193..

[*] – أوفير وترشيش من المناطق التي نجهل موقعهما الجغرافي حيث اختلف الباحثون حوله وسنأتي على ذكرهما في المبحث الخاص بالعلاقات التجارية مع أوفير وترشيش.

[2] – G. Glotz, **la civilisation Egéenne,** (la renaissance du livre, 1923), P 225.

[3] - أحمد حامدة، " **التجارة الفينيقية** "، ص 75.

القرطاجيون من مراكبهم ويقومون بالمراقبة، فإذا تبين لهم أن الذهب كان مساويا لثمن البضائع فإنهم يأخذونه، وينصرفون وإلا فإنهم يصعدون إلى مراكبهم وينتظرون، حينئذ يعود الأهالي مدة، ثانية و يضيفون الذهب على ما وضعوه إلى أن يتفقوا، فلا هؤلاء ولا أولئك يتميزون بعدم الاستقامة إذ لا يلمس القرطاجيون الذهب مادام لا يبدو لهم يؤدي ثمن بضائعهم، كما أن الأهالي لا يلمسون البضائع قبل أن يكون القرطاجيون قد أخذوا الذهب [1].

يؤكد هيرودوت حسبما ورد في النص أن عملية التبادل التجاري، كانت تتم عن طريق المقايضة، وهذا بإعتبار أن القرطاجيين الذين ذكرهم في النص، يقصد بهم البحارة الفينيقيين الوافدين لأول مرة على الساحل الأطلسي الغربي [2].

النص يوضح بالدرجة الأولى هدف الفينيقيين من وصولهم إلى الحوض الغربي للمتوسط وهو البحث عن المعادن.

لكن النص من جهة أخرى يطرح عدة تساؤلات، حول التبادل الذي تم بين الفينيقيين وسكان بلاد المغرب القديم، فالتبادل الذي تم ون تحادث يثير التساؤل، فهل كانت فعلا تجارة صامتة أو خرساء، كما يفضل بعض الباحثين نقدها ؟ فليس من المستبعد أن يكون هناك إتفاق مسبق حول نوع السلع المرغوب فيها من الجانبين [3].

بالإضافة إلى نص هيرودت يمكن أن يوضح لنا النص المأخوذ من رحلة سيلاكس Scylax، عملية المقايضة التي كانت تتم بين التجار الفينيقيين وسكان منطقة سرني Cerné[*] وقد أوضح النص كيف كان التجار الفينيقيين يربطون سفنهم التجارية التي وصفوها بالمستديرة، وهي ميزة السفن التجارية الفينيقية، ونصبهم للقيام وكيف كانوا ينقلون سلعهم إلى اليابسة، وقد تحصل التجار الفينيقيون من سكان سرني Cerné ، على مختلف أنواع الجلود والنبيذ، مقابل سلعهم المتمثلة في العطور والأحجار الكريمة وغيرها من المنتوجات .

---

[1] - Hérodote IV, P 196.

[2] - محمد رضوان الفريفي، " **السلع المتبادلة بين الفينيقيين والمغاربة القدماء** "، ص 231.

[3] - محمد أعشي، " **أحاديث هيرودوت عن الليبيين والأمازيغ** "، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2009، ص 100.

[*] - سرني Cerné توافق عند بعض الباحثين موغادور حاليا، كما يذكر بعض الباحثين أنها مدينة المهدية بالمغرب (أنظر بلكامل البيضاوية، **الصويرة في عصورها القديمة من خلال الكتابات التاريخية – الصويرة الذاكرة وبصمات الحاضر**"، (منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، 1994)، ص ص 37-41.

المطلب الثاني: التبادل بإستخدام المسكوكات:

لم يهتم الفينيقيون باستخدام المسكوكات، رغم أن فترة إزدهار وإتساع مناطق التبادل التجاري في البحر المتوسط، بحوضيه الشرقي والغربي، واكبت ظهور استخدام المسكوكات.

لقد ظهرت أولى المسكوكات في مدينة صور حوالي القرن الخامس قبل الميلاد. وفي أوائل القرن الرابع قبل الميلاد، تبعتها بعض المدن الفينيقية الأخرى، صيدا، جبيل وأرواد، فكثيرة هي قطع المسكوكات التي عثر عليها على الساحل الفينيقي[1] وهذا ما قد يدل على استخدامها على مستوى المدن الفينيقية أي في إطار التبادل الداخلي فقط.

إن عدم إهتمام الفينيقيين بإستخدام المسكوكات وإستبدالهم لطريقة التبادل بالمقايضة التي تعتبر طريقة بدائية إن صح التعبير، لكن التجار الفينيقيين كانت لهم خبرة واسعة في إستخدام أسلوب المقايضة. ويبقى إحتفاظهم بهذه الطريقة مرتبط أساسا بخبرتهم الواسعة وأهدافهم الاقتصادية الخاصة.

فقد كانت المقايضة تخدم هذه الأهداف، والمتمثلة بالدرجة الأولى في الحصول على المواد الخام خاصة المعادن، التي كانت لها أهميتها في إستمرار نشاط الصناعة، كما كانوا يتحصلوا على منتوجات زراعية وأخرى مصنعة كان لهم دور في نقلهم من منطقة إلى أخرى

لقد ضمنت طريقة التبادل بالمقايضة حمولة السفن التجارية في تنقلها ذهابا وإيابا، من موانئ مدن الساحل الفينيقي بإتجاهات مختلفة من الشرق إلى الغرب، فلم تكن تخلق السفن التجارية الفينقية من السلع حتى بعد تصريف السلع الأولى.

المطلب الثالث: إستخدام الأوزان والمكاييل:

تعتبر المقايضة أساس التبادل التجاري كما سبق الذكر، وهذا النوع من التبادل تطلب وجود نظام للأوزان يعتمد عليه، وهو عموما نفسه في أغلب مدن الشرق من حيث مبدأ الاستعمال وليس من حيث نفس قيمة الأوزان[2].

---

[1] - أحمد حامدة، **التجارة الكنعانية الفينيقية**، ص 75.

[2] - إياد عبد الله يونس، المرجع السابق، ص ص 175-176.

فلا توجد تجارة بدون نظام للأوزان والمكاييل وقد يكون سكان بلاد الرافدين ومصر السباقين لاستخدام نظام الأوازن[1] بالنسبة للأوزان المستخدمة عند الفينيقيين قد تكون فسها المستخدمة في مدينة أوغاريت، فخلال الألف الثانية قبل الميلاد اعتمد الاوغارتيون على المين: وتعادل 470 غ ، وقد قام الباحثون بتحديد مجموعتين من الأوزان.

1-المجموعة الأولى:

تتمثل في الأوزان التي إعتمدت على المثقال الذي يعادل 7.70 غ، وبإعتبار أن المين تتألف من 60 شيقلا فإنها تعادل 462 غ.

2-المجموعة الثانية:

تعتمد على المثقال المعادل بـ 9.40 غ والمين في هذه الحالة يتألف من 50 شيقلا، ويعادل بذلك 470 غ [2].

وقد أظهرت إحدى وثائق لبيع المنسوجات الصوفية الملونة إعتماد الفينقيين على نظام الأوزان في عملية البيع، **(أنظر النص رقم 01).**

1 - G. Glotz, op.cit., P 221

2 - إياد عبد الله يونس، المرجع السابق، ص ص 175-176.

الفصل الرابع:

أهم مناطق التبادل التجاري

المبحث الأول: العلاقات التجارية مع جزيرة قبرص:

كانت جزيرة قبرص أول المحطات التجارية أولى المحطات التجارية الفينيقية، فقبرص أقرب جزر الحوض الشرقي إذ لا يتعدى سوى حوالي 100 كيلو متر، إذ كانت أولى الجزر التي وصل إليها الملاحون الفينيقيون، فقد كانت العلاقات الأولى مع أوغاريت إذا كانت علاقات متواضعة ومحدودة، حتى بداية القرن الخامسة عشر والرابع عشر قبل الميلاد [1].

لقد أكدت الأبحاث الثرية وجود علاقات بين أوغاريت وقبرص وهذا من خلال المصنوعات الخزفية، فقد عثر على مصنوعات خزفية قبرصية في أوغاريت كما وجدت المصنوعات الخزفية القبرصية في أوغاريت حيث تعود إلى القرنين 15 و 14 قبل الميلاد، الدلائل المادية مقنعة إذ تؤكد وجود حركة تجارية نشأت بين قبرص والساحل الفينيقي وقد تزامنت هذه العلاقة مع هجرات متواصلة من بحر إيجه إلى جزيرة قبرص وإلى الساحل السوري، من شماله وجنوبه [2].

المطلب الأول: التواجد الفينيقي في قبرص:

بإعتبار أن جزيرة قبرص من موانئ مدن الساحل الفينيقي، فالإبحار إليها لم يكن يتطلب وقت طويل، فقد كان بإمكان الملاح الفينيقي أن يرى تلال جزيرة قبرص في الجو الصحو[3] وتعتبر جزيرة قبرص أول نقطة إرتكاز اتخذها الملاحون الفينيقيون خلال رحلاتهم البحرية. فقد تدرجوا في رحلاتهم وتاريخيا نستدل من رواية تأسيس قرطاجة على ذلك، فالأميرة الفينيقية عليسة عند هروبها من مدينة صور بعد خلافها مع أخيها، توقفت في جزيرة قبرص حيث إلتحق بها أتباعها وهي في طريقتا إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط.

---

[1] – محمد الخطيب، المرجع السابق، ص، 10 (للمزيد حول طبيعة التواجد الفينيقي في قبرص أنظر
Annie Cambet, L’art phénicien de chypre, (D.H.A), PP, 42-43

[2] – نفسه.

[3] – جورج سارتون، المرجع السابق، ص 10.

دلت الآثار المادية على إقامة الفينيقيين في الكثير من المواقع بالجزيرة، وقد دلت الحفريات التي أجريت قرب مدينة لارنكا **Larnaka**، أن مجموعة من الفينيقيين قد إستوطنوا في المنطقة حوالي القرن قبل الميلاد، وتزايد الفينيقيين منذ حوالي 700 قبل الميلاد التواجد الفينيقي في المراحل الأولى كان الهدف منه توقف السن للإستراحة وإستئناف الإبحار خاصة وأن الرحلات البحرية كانت في البداية تتم خلال النهار وسبب إختيارهم كان لقربها من سواحل المدن الفينيقية، لكن البقايا الأثرية دلت على وجود إقامة دائمة للفينيقيين في عدة مواقع بالجزيرة فلم تكن موانئها ترسو سفن الجار الفينيقيين فقط وهذا التوقف المؤقت قد أدى إلى إهتمام الفينيقيين بموارد وإمكانيات الجزيرة، فقد عرف عن الفينيقيين أنهم حيثما حلوا زرعوا، وإستغلوا من توفر لهم من مواد فالفينيقي أينما حل أقام ورشة عمل [1].

أولى المنشآت التي أقامها الفينيقيون في مناطق كثيرة بجزيرة قبرص كانت الموانئ، فقد كان إختيارهم لمواقع تصلح طبيعيا لرسو السفن، كما أقاموا المعابد على غرار المعابد المقامة في مدن الساحل الفينيقي.

وقد كانت مدنية جبيل أول مدينة أقامت معبدا في منطقة بافوس **Paphos** الواقعة غربي الجزيرة [2]وفي مناطق أخرى استقر بها الفينيقيون فقد أقيم معبد عشتارت في كتيم **Kitim** التي تعد كذلك من أقدم المواقع التي إستقر بها الفينيقيون[3]. وقد ذكرت في أسفار العهد القديم بـ: كيتيم [4].

إن مواقع إستقرار الفينيقيين في الجزيرة كانت تحيط بكل جهات الجزيرة، فنجد الفينيقيين قد إستقروا في عدة مواقع [5]. وقد أثبتت الأبحاث الأثرية أقدمية هذا التواجد ومن

---

1 – شوقي خير الله، " **قرطاجة العروبة الأولى في المغرب** "، مركز الدراسات العلمية، الطبعة الأولى، 1992، ص 31.

2 – المطران يوسف الدبس، المرجع السابق، ص 237. (للمزيد أنظر Olivier Masson, **La présence phénicienne dans le royaume de paphos**, (D.H.A.), P, 41.)

3 – Marguerite (Yon), **Kiton un royaume phénicien a chypre et sa capitable**, (D.H.A.), PP, 34-37.

4 – الكتاب المقدس، العهد القديس، سفر حزقيال، 27 6.

5 – جورج كونتنو، " **الحضارة الفينيقية** "، ص 105.

الصعب تحديد طبيعته، في كل المواقع، فبعضها كانت محطات تجارية. وبعضها كانت مأوى أو مواقع تحصينات وما يجمع بين هذه المواقع هو حضور نشاط الفينيقيين التجاري والحرفي [1].

لقد أقر الفينيقيون سيادتهم على العديد من المناطق في جزيرة قبرص، وهناك ما يدل في بعض النصوص على وجود سيادة سياسية في المنطقة فقد ورد في النصب التذكاري الذي عثر عليه في نور سيردينيا [*] ، عبارة ملك كيتيم، مما يدل على وجود حضور سياسي للفينيقيين ، وهذا ما قد يشير إلى أنها كانت أول المستوطنات التي أقامها الفينيقي في الحوض الشرقي البحر المتوسط [2].

المطلب الثاني: طبيعة نشاط الفينيقيين في قبرص:

الإقامة الدائمة للفينيقيين في الجزيرة تؤكد أنهم لم تكن مجرد محطة لاستراحة الملاحين باعتبارها نقطة إرتكاز إنتقل منها الفينيقيون إلى بلاد الإغريق أو الحوض الغربي للبحر المتوسط. فقد إستفادوا من موقعها القريب من الساحل الفينيقي في مجال الملاحة، كما كانت مستودع سلعهم التجارية ، خلال المرحلة الأولى لإقامتهم المؤقتة أدراك الفينيقيون ودرسوا إمكانيات الجزيرة .

فقد تميزت بثرواتها من الأحجار الكريمة، وبأراضيها الصالحة لزراعة الحبوب[3]، كما أنها من أغنى الجزر من ناحية الثروة الخشبية [4] وأشجار الزيتون والكروم[5].

---

1 - D.P.P.P., Op.cit., PP 109-110.

* - **نورا** منطقة تقع على الساحل الغربي لجزيرة سردينيا أقام بها الفنيقيون.

2 - Dictionnaire de la civilisation Phénicienne et Punique, PP 109-110.

3 - معن عرب، **صورة حاضرة فينيقيا**، دار المشرق، بيروت، 1970، ص 120.

4 - D.C.P.P, Op.cit, P 1080.

5 - محمد حتاملة، **إيبريا قبل مجيء العرب المسلمين** ، (منشورات وزارة الثقافة، الأردن، 1990)، ص 126.

كان الفينيقيون أول من قام باستغلال الثروات المعدنية، فإستخرجوا النحاس، خاصة في ثماسوس الغنية بهذا المعدن، وقد شاع لفظ **Cyprium** في العديد من اللغات والتي تعني النحاس حتى إشتق إسم الجزيرة منه [1]. كما قاموا باستغلال الثروة المعدنية في العديد من المناطق، وهذا ما تؤكده الأبحاث الأثرية خاصة في لابيثوس، كيتيون، إيداليون [2].

المبحث الثاني: العلاقات التجارية مع مصر:

بدأت العلاقات بين مصر ومنطقة الساحل الفينيقي منذ أقدم العصور، فقد كانت للمنطقتين صلات في مجال التجارة خلال فترة إزدهار مدينة أوغاريت، وتوطدت العلاقات بعد ظهور المدن الفينيقية، فعلاقات التبادل بدأت منذ عهد الدولة القديمة وإستمرت حتى فترة الأسرة الحديثة [*].

قبل إزدهار المدن الفينيقية، وتحكمها في تجارة الحوض الشرقي للبحر المتوسط كانت مدينة أوغاريت المتميزة بموقعها الاستراتيجي في مفترق الطرق التجارية بين الشرق وجزر البحر المتوسط- خاصة قبرص وكريت- لعبت دورا هاما في الحركة التجارية في المنطقة، بين مصر وبحر إيجه، ,إستمرت هذه العلاقة بعد إزدهار المدن الفينيقية. وتطورت في نفس السياق، حيث كانت المدن الفينيقية تشرف على الحركة التجارية في المنطقة [3].

كانت مدينة جبيل أول المدن الفينيقية التي إرتبطت بعلاقات متميزة مع مصر، خاصة في مجال التبادل التجاري المرتبط بالجانب الديني، وقد كانت تبحر السفن بين المنطقتين في الاتجاهين حيث كانت تبحر السفن المصرية من الجنوب إلى الشمال، وكما

---

[1] – المطران يوسف الدبس، المرجع السابق، ص 257.

[2] – G. Herm, Op.cit, P 39.

[*] – إرتبطت المدن الفينيقية ومصر بعلاقات حضارية تجاوزت التبادل التجاري منذ أقدم العصور (**أنظر** عامر خير، " **العلاقات التجارية بين فينيقية ومصر** "، إشراف رحماني بلقاسم، جامعة الجزائر -2-، 2012-2013)

[3] – محمد الخطيب، المرجع السابق، ص ص 33-37.

كانت سفن جبيل من ميناء جبيل بإتجاه الموانئ المصرية، فكانت أول طريق بحري عبره الملاحون الفينيقيون بين جبيل ومصر [1].

عرفت جبيل حسب التسمية المصرية بـ: كبنة Kopna أو كبن Kpn كما عرفت السفن التجارية المصرية التي كانت تنتقل من موانئ مصر إلى جبيل بكبت Kpat [2].

وهذا يدل على وجود علاقات تجارية بين المنطقتين، ولم تكن مدنية جبيل المدينة الوحيدة التي تعامت مع مصر، فقد تعامت مع مدى أخرى كصيدا أو صور [3].

المطلب الأول: طبيعة التواجد الفنيقي في مصر:

مصر بالنسبة للمدن الفينيقية تعتبر قوة سياسية في منطقة الحوض الشرقي للبحر المتوسط، كانت العلاقة بين المنطقتين منذ أقدم العصور، وهذه العلاقة التي دامت لفترة طويلة لها خصوصيات من حيث طبيعة التواجد الفينيقي ودورهم في الجانب الاقتصادي.

أقام الفينيقيون في مصر كجاليات حيث كانت لهم مستودعات، ومراكز تجارية وأقاموا معابد أشرفوا من خلالها على نشاطهم الاقتصادي بإعتبار أن المعبد مؤسسة دينية وإقتصادية خارج المدن الفينيقية. يذكر هيرودوت في سياق حديثه عن التواجد الفينيقي في مصر، فيما يلي: "... يقع إلى الجنوب من معبد هيفايستوس يقيم حول هذا المعبد فينيقيون من صور ويسمى هذا الحي كله معسكر الصوريين " [4].

---

[1] – فيليب حتي، " تاريخ لبنان "، ص 85.

[2] – G. Février, op.cit, P 121.

[3] – فيليب حتي، " تاريخ لبنان "، ص 116.

[4] – Hérodote, VII,

من خلال ما ذكره هيرودوت. نستدل على تواجد الفينيقيين وإقامتهم في أحياء خاصة بهم، وتؤكد كذلك وجود المعبودات الفينيقية في الكثير من المدن المصرية على إقامة الفينيقيين في مناطق مختلفة. فقد إنتشرت عبادة الإله ملقرت، وعشتارت [1].

كثيرة هي الآثار المادية والمدونة التي تؤكد على تواجد الفينيقيين في مصر، ففي **أبيدوس Abydos** وجدت كتابة لأسماء فينيقيين وفي بعضها إشارة إلى مهنتهم فنجد،بحارة، مزارع، مترجم، وهناك إشارة إلى مدينة صور [2].

بالإضافة إلى الآثار المدونة التي أظهرت إقامة الفينيقيين في مصر، وقيامهم بنشاط التجارة، مشهد لوصول مجموعة من التجار على سفنهم، حيث يظهر التجار بمظهرهم المتميز، فلباسهم متميز إذ كانوا يرتدون لباس مطرز طويل، ملامح وجوهم تختلف عن ملامح المصريين، وحيث يظهرون بلحية كثيفة، المشهد يوضح لنا وصول السفن وهم في حالة إفراغ حمولتهم من مختلف السلع[3].

المطلب الثاني: الطريق البحري بين فينيقيا ومصر:

الطريق البحري بين موانئ المدن الفينيقية وموانئ مصر تعد من أقدم وأهم الطرق التجارية البحرية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، فقد إزدهرت التجارة في المنطقة من خلاله. بإتجاه المدن الفينيقية شمالا وإلى موانئ مصر جنوبا، وتفرعت منه بعض الطرق البحرية الثانوية خاصة بإتجاه قبرص وكريت بحكم أن التجار الفينيقيين كانوا وسطاء تجاريين بين هذه المناطق ومصر [4].

---

1 – Jean Le Clant, « **Le Phéniciens et L'Egypte** » (D.H.A.), P, 18.

2 – Ibid.

3 – George Daressy, Une flottile phénicienne d'après une peinture, égyptienne, **Revue archéologique**, Tome XXVII, 1895, P, 287.

4 – Jean LeClant, op.cit, P, 160.

المصادر المصرية تؤكد وجود الطريق البحري بين مصر والساحل الفنيقي منذ أقدم العصور وهذا ما نستخلصه من أسطورة أوزريس فيما يلي: "... أوزريس الذي كان له أخ يدعى تست " كل منهما ورث قسما من أقسام مصر عن أبيهما، فورث أوزيرس الوادي وسار في الرعية بالحكمة والعدل وتزوج من أخته، أما ست فكان نصيبه الصفيد وتزوج من أخته نفيّس وقد كره أن يؤول لأخيه ملك الوادي، فأمتلأ قلبه حسدًا له، فقام بوضع مؤامرة بمساعدة إثنين وسبعين رجلا، وفي سهرة عشاء أعلن فيها على أن ذلك الصندوق الثمين سيكون هديه منه لمن يكون الصندوق مقاسه، وعندما جربس أوزريس التمدد فيه أغلق رجال ست الصندوق عليه، وقاموا برميه في مياه النيل فقاده التيار إلى وصل إلى مياه البحر المتوسط.

ومن هناك وصل إلى ميناء جبيل وساقته المياه عند شجرة صغيرة فنمت حوله، ولفتت إليها بحجمها إنتباه ملك جبيل الذي إتّخذها كعماد في قصره، ولما علمت أخت أوزريس بما حدث لأخيها عن طريق الريح، فإلتحقت به وظلت تبكي بصمت على الشاطئ فلما رأتها ملكة جبيل وعلمت بقصتها أعادت لها الصندوق بعد تم نزعه من جذع الشجرة وحملته في سفينة أبحرت إلى مصر [1].

قبل الحديث عن طبيعة المبادلات بين مصر والمدن الفينيقية نشير إلى دور الوسيط التجاري الذي لعبته الموانئ الساحل الفينيقي، فقد تاجر الفينيقيون بالمنتوجات المصرية، وهذا حسبما أكدته المصادر فهي ودون يذكر ذلك فيما يلي: "... فما أن هاجر أولئك القوم إلى بلاد البحر المتوسط وإستقروا في المناطق التي يقيمون فيها الآن حتى شرعوا كما يقال في القيام برحلات طويلة، يحملون سفنهم من منتجات مصر وآشور...." [2].

تاجر الفينيقيون بمختلف المنتوجات المصرية كالمصنوعات المعدية مثل الحلي وحاملات التعاويذ ومختلف المصنوعات الزجاجية، كما تاجروا بمنتوجات الشرق عموما من

---

[1] – محمود عبد الحميد أحمد، " **الصلات التجارية بين مصر وسوريا منذ عصورها ما قبل الأسرات حتى نهاية الدولة القديمة 4000–2280 ق–م** " دراسات تاريخية، 9–20، ص ص 193–194.

[2] – Hérodote, I, 1.

توابل وعطور وأحجار كريمة كانت تصل مصر عبر الطرق البرية لتجارة القوافل، وكانت مختلف المنتوجات تحملها السفن التجاري الفينيقية من موانئ مصر إلى جزر بحر إيجه خاصة كريت وقبرص وهذا الدور الذي قامت به السفن الفينيقية يعود إلى أقدم العصور منذ إزدهار مدينة أوغاريت [1]. لذلك نجد أن العلاقات بين مصر والمدن الفينيقية متميزة فقد ساهم التجار الفينيقيون في تصدير المنتوجات المصرية، وهذا ما جعلهم يلعبون دور الوسيط الحضاري بنوع من التميز، بحكم موقعهم في مفترق الطرق التجارية القديمة البرية والبحرية، لذلك كانت معظم التجارة في يد الفينيقيين[2].

المطلب الثالث: المبادلات التجارية بين فينيقيا ومصر

أهم المنتوجات التي تحصل عليها الفينيقيون من مصر أوراق البردي[*] التي إرتبطت تجارتها بمدينة جبيل، إرتبكت تجارتها بتسميتها، فقد عرفت عند الإغريق بـ **Byblos** فإسم الكتاب عند الإغريق **Biblo** فأوراق البردي استخدمها المصريون وغيرهم في مجال الكتابة ومنها أخذت كلمة **Bible** فقد استخدم هذا اللفظ للدلالة على الكتب المقدسة، التوراة والإنجيل[3] في حجر بالرمو أن سنفرو قد أرسل أربعين سفينة للحصول على أخشاب الأرز فلم يكن حصولهم عليه دائما في إطار التبادل التجاري خاصة في فترة السيطرة المصرية على بعض المدن الفينيقية[*]. لكن في الأحوال كانت المرتفعات الجبلية مصدرًا للأخشاب التي إستخدمها المصريون في صناعات مختلفة، وقد كان بناء السفن أهم مجال نظرا لخصائص أخشاب الآرز الملائمة لصناعة بعض أجزاء السفينة. فلم يستخدم المصريون

---

[1] – محمد الخطيب، المرجع السابق، ص ص 33-37.

[2] – فيليب حتي، " **تاريخ لبنان** "، ص 149.

[*] – أوراق البردي مصدرها نبات البردي، الذي ينمو بكثرة في مصر خاصة بمستنقعات الدلتا ، تعددت مجالات إستخدامه عند المصرين، والكتابة كانت أهم مجالات استخدامه منذ الأسرة الأولى. (**أنظر** Pline, XIII, 72، محمد الخطيب، ن فسه، 132)

[3] – مراد كامل، " **الكتب التاريخية في العهد القديم** "، معهد البحوث والدراسات العربية 1968، ص 06.

[*] – عملية التحنيط تتطلب مواد أساسية ضرورية كالرتنجات الصغية وزيت الآرز وغيرها من المواد. (أنظر ليلى بومريش، " **التحنيط في مصر القديمة** "، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر -2-، العدد15-16، 2013، ص 11-17)

أخشاب الآرز في صناعة كامل أجزاء سفنهم فقد إقتصر على صناعة الأجزاء التي لا يصلح لصناعتها الخشب المحلي[1].

فأخشاب الآرز ملائمة لصناعة صالب قاعدة السفينة، حيث يتطلب أخشاب طويلة قوية وصلبة وأهمية حصول المصريين على خشب الآرز لصناعة الصالب تظهر من خلال حمولات الأخشاب التي تتضمن صالب من أخشاب الآرز [2].

لم يقتصر إستخدام أ خشاب الارز على بناء السفن المخصصة للملاحة فقط. فقد إستخدمت كذلك السفن المرتبطة بطقوسهم الدينية، فقد وجدت دلائل أثرية تؤكد صناعتهم لسفن من الآرز لإستخدامها في رحلة الموتى في العالم السفلي. وأهم دليل أثري يتمثل في سفينة خوفو التي وجدت بأجزائها كاملة إلى جانب هرم خوفو [3]. **(أنظر الصورة رقم 12).**

تعددت المجالات التي إستخدم فيها المصريون أخشاب الآرز فلا تخلو المتاحف من مصنوعات خشبية والبقايا الأثرية، فقد كانت أخشاب الآرز تستخدم في بناء أسقف وأعمدة المعابد [4]، وصناعة كذلك مختلف الأثاث والتوابيت [5].

إلى جانب الأخشاب إستورد المصريون مواد مستخرجة من الأشجار كالزيوت والأصماغ المستخلصة من أشجار الآرز، الصنوبر، والشربين، والتي كانت ضرورية في عملية التحنيط التي اختص فيها المصريون [6].

---

[1] – كارل هاينز، برهردت، المرجع السابق، ص 35.

[2] – فردريك معتوق، المرجع السابق، ص 50.

[3] – زاهي حواس، المرجع السابق، ص 95.

[4] – بيومي مهران، **المدن الفينيقية تاريخ لبنان القديم**، (دار النهضة العربية، بيروت، 1994)، ص 202.

[5] – محمد الخطيب، المرجع السابق، ص 38.

[6] – نفســه.

قد يكون الفينيقيون إستخدموا أوراق البردي في مجال الكتابة، كما قاموا بإعادة تصديره إلى مناطق أخرى، خاصة بلاد الإغريق والتسمية الإغريقية لمدينة جبيل دليل على إرتباط تجارة البردي في الحوض الشرقي للبحر المتوسط بالتجار الفينيقيين [1].

تحصل الفينيقيون على الجبال والكتان من مصر، فقد كنت مادة مستخدمة في حياكة الأنسجة وأشرعة السفن، وهذا ما نستدل به عليه من مرثية حزقيال لمدينة صور التي وصفوها بالسفينة: "... كتان مطرز هو شراعك ليكون لك راية..." [2].

تعددت المنتوجات التي تحصل عليها الفينيقيون من مصر، وكانت أغلبها منتوجات أعادوا تصديرها، كما تعددت المنتوجات التي قدمها الفينيقيون للمصريين وسنأتي على ذكر أهمها:

إهتم المصريون منذ أقدم العصور بالحصول على الأخشاب، خاصة أخشاب الآرز فقد عرف عن مصر إفتقارها لهذا النوع من الأخشاب المتميز بخصائص جعلته مناسب لاستخدامات عديدة، وقد كان المصريون بحاجة إلى أخشاب الآرز لاستخدامها في بناء السفن المخصصة للملاحة، وسفن المخصصة للطقوس الجنائزية [*] [3].

تحصل المصريون على مواد أخرى لم تكن متوفرة في إقليم مصر، فأشجار الزيتون التي تكن تنمو بكثرة في بلاد النيل، كانت مصدر هام لزيت الزيت، هذه المادة كانت

---

[1] – مراد كامل، المرجع السابق، ص، 6.

[2] – الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر حزقيال، 27 7.

[*] – توفرت غابات الآرز في مناطق عديدة في آسيا الصغرى، قبرص، وشمال غرب إفريقيا.

لكن كانت فينيقيا أقرب منطقة إلى بلاد النيل، فالثروة الخشبية مصر لم تكن كافية لتغطية حاجياتها المتزايدة، خاصة من حيث نوعية الخشب، فالأخشاب التي توفرت في مصر، لم تكن من النوعية الجيدة رغم وفرتها كالجميز ورغم ذلك صنع المصريون سفن للملاحة البحرية حيث صنعت من ألواح قصيرة كانت تربط ببدائل ضخمة من الجبال تلتقي في مقدمة السفينة حتى تبقى متماسكة. وكان هذا النوع من السفن يستخدم في الملاحة البحرية. (<u>أنظر</u> كارل هاينز برنهدت، المرجع السابق، ص 34).

[3] – زاهي حواس، المرجع السابق، ص، 95.

ضرورية عند المصريين لتعدد مجالات إستخدامها، فقد كانت مادة غذائية ومادة مستخدمة في صناعة المنتجات التجميلية، كما إستخدم في عملية التحنيط [(1)]

ومن خلال البقايا الأثرية المتمثلة في الأوعية المصنوعة من الفخار التي إستخدمت لنقل الزيت نستدل على إستخدامهم لها وإستيرادها من خارج مصر [(2)]. بالإضافة إلى زيت الزيتون تحصل على المصريون على النبيذ الفينيقي، المصنوع من ثمار العنب [(3)]، فقد عرف عن المصريين أنهم تخصصوا في نبيذ الجعة من حبوب الشعير[(4)] كما كانت كذلك الأسماك المجففة من ضمن ما تحصل ما إستورده المصريون من فينقيا.

لقد إستفاد من المصريون من تواجد الفينيقيين مصر وتعاملهم معهم في إطار التبادل التجاري فقد كان للتجار الفينيقيين دور هام في تصريف منتجات مصر، والتي قلدوها فيما بعد وقاموا بتصديرها وهذا يعد تصدير غير مباشر للحضارة المصرية.

كما إستفاد الفينيقيون من تواجدهم في مصر وتعاملهم معهم في كسب تقنيات في مجالات مختلفة خاصة الصناعة والتي كانت أهمها صناعة الزجاج التي تاجروا بمصنوعاتها وقلدوها وإقترفوا فيها.

لم يقتصر نشاط الفينيقيين على التجارة وتسيير أمورهم الاقتصادية في مصر، ف قد كان لهم دور في مجال البناء، والزراعة والري وغيرها من المجالات الأخرى، ونخص بالذكر الملاحة البحرية، فقد إستفاد المصريون من خيرة الفينيقيين في هذا المجال سواء في مجال صناعة السفن، أو الملاحة. فقد إستعان المصريون من خبرة الملاحين الفينيقيين، ففي فترة حكم نخاو الثاني (663 ق-م/ 525 ق-م) فقد أمر ملاحين فينيقيين القيام برحلة بحرية

---

[1] – ليلى بومريش، المرجع السابق، ص 11.

[2] – بيومي مهران، المرجع، السابق، ص 278.

[3] – G. Baurain, C. Bonnet, **Les phéniciens marins des trois continents**, Armand Collin, (Paris, 1992), P 162
Jean Leclant, op.cit, P 180

[4] – السيد غلاب، المرجع السابق، ص، 435.

وردت بعض مراحلها في مؤلف هيردوت الذي ذكر: "... يتضح جليا أن ليس محاطة بالبحر فيما عدا جهة حدودها الآسيوية وأول من أثبت ذلك هو نخاو ملك مصر، ذلك أنه بعد أن إنتهى من حفر القناة التي تمتد من النيل إلى خليج العرب، أرسل الفينيقيين في سن وكلفهم بالإبحار. في عودتهم من طريق أعمدة هرقل حتى يبلغوا البحر الشمالي ومنه إلى مصر، وهكذا بدأ الفينيقيون من البحر المتوسط و أبحروا في البحر الجنوبي وكلما حل الخريف ألقوا بمراسيهم وبذروا الأرض في أي مكان يكونون فيه ينتظرون وقت الحصاد حتى إذا حصدوا الزرع ابحروا إلى أن إنقضت سنتان وفي السنة الثالثة داروا حول أعمدة هرقل وبلغوا مصر وهم يقولون وهذا لشيء يصدقه البعض ولو أنني لا أصدقه، أنم حين كانوا مقلعين حول ليبيا كانت الشمس عن يمينهم [1].

المبحث الثالث: العلاقات التجارية مع بلاد الإغريق:

إتخذ التجار الفينيقيون من بلاد الإغريق سوقا لتصريف منتجاتهم ومختلف منتوجات الشرق عموما والجزر الشرقية للبحر المتوسط، حيث كانت السفن التجارية الفينيقية تتوجه من المدن الفينيقية مرورا بجزيرة قبرص ومتجهة شمالا عبر جزر بحر إيجه وصولا إلى سواحل بلاد الإغريق وقد دامت هذه العلاقات التجارية وبلاد الإغريق عدة قرون.

المطلب الأول: طبيعة التواجد الفينيقي في بلاد الإغريق:

إرتبط التوسع والتواجد الفينيقي في بلاد الإغريق وبعض جزر بحر إيجه، بأسطورة **قدموس Kadmos** [*]التي نقلها **الشاعر الروماني أوفيد** في كتابه " مسخ الكائنات "، وقد نقلها المؤرخون حسب الرواية الرومانية وفيما يلي أهم أحداث الأسطورة:

---

1 - Hérodote, IV, 42.

* - **قدموس Kadmos** ابن أجينور ملك صيدا، حسب هيرودوت كان من نقل الأبجدية إلى بلاد الإغريق (Hérodote, I,2 147)

تبدأ الأسطورة بحلم أوربا إنبة أجينور ملك صيدا، حيث رأت حلمها أن مرضعتها إختصمت مع إمرأة أخرى، وعندما إستيقظت، خرجت إلى شاطئ البحر مرتدية لبا باللون الأرجواني، فوقعت أنظار الإله زيوس عليها فتحول إلى عجل فامتطى أوربا وإنطلق نحو البحر ونزل في جزيرة كريت وتحول مرة أخرى إلى زيوس، زوج من أوربا وأنجب منها أبناءًا أحدهم مينوس ، وكان أول من قام بنشط التعدين في جزيرة كريت وأول ملك للجزيرة، حزن أجينور على فقدانه لإبنته فأرسل ثلاث من أبنائه أحدهم قدموس الذي يقابل إسمه في اللغة الكنعانية فنيق، فارتحل إلى بلاد الإغريق وأنشأ مدينة بيوتيا، وأقام معبدًا، ثم بنى مدينة طيبة وأقام بها معبدا، وترك مجموعة من الفينيقيين يشرفون عليه[1].

تشير أسطورة قدموس إلى بداية التوسع الفينيقي في بعض فكانت جزيرة رودس، أهم جزر بحر إيجه أول مكان مروا به،إذ إتبعوا خط السير متوجهين من قبرص نحو الشمال وصولا إلى مدخل الأرخبيل، فكانت جزيرة كريت أولى الجزر التي أقام فيها الفينيقيون نشاط التعدين، وكثيرة هي الجزر التي أقام فيها الفينيقيون ببجر إيجه بدليل إنتشار المعبودات الفينيقية.

المطلب الثاني: المبادلات التجارية بين الفينيقيين والإغريق:

توجهت السفن التجارية الفينيقية إلى بلاد الإغريق بمختلف منتوجات الشرق والجزر الشرقية للبحر المتوسط، من مصنوعات ومنتوجات زراعية ومواد خام كانت منتوجات الشرق الجميلة والمطرزة أو الملونة بالصباغ الأرجواني، فقد كان هذا النوع من السلع مطلوب عند الإغريق[2]، وتشهد المصادر الإغريقية على إهتمامهم بإقتناء الأنسجة الملونة. وقد أشار هوميروس بمهارة نساء صيدا اللواتي كن مشهورات بالتطريز وقد كان للأقمشة الأرجوانية

---

[1] – خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص ص 222-225.

[2] – Toutain, op.cit, P 67.

تقدير خاص عند الإغريق لإرتباط هذا اللون بجانب من معتقداتهم الدينية[*] كما أنها أقمشة ذات نوعية كانوا يشترونها رغم ثمنها الباهظ [1].

إهتم الإغريق كذلك بإقتناء المصنوعات المعدنية التي يقدرونها، فقد كانوا منبهرين بمهارة الصانع الفينيقي، بغض النظر أنهم لم يفرقوا بين الصانع والبائع، وقد وصف هوميروس صندوقا من الفضة أنه ما أبدع الصيداويين المهرة [2]، وعلى الأرجح بالنسبة للمعادن في شكلها الخام أنها كانت تنقل في شكل سبائك. وهذا إستنادا إلى ما وجد ضمن بقايا حطام السفينتين اللتين وجدتا قرب سواحل تركيا وقد سبق الإشارة إليها[3] وقد كانت فينقيا في نظر الإغريق سوقا لمعدن البرونز [4].

إلى جانب الأقمشة والمصنوعات المعدنية نقل الفينيقيون مختلف المصنوعات الزجاجية والتوابل والعطور التي تعتبر من أهم منتوجات الشرق، والتي حافظ التجار الفينيقيون على طرق الوصول إليها خاصة التوابل [5].

حملت السفن الفينيقية مختلف المنتوجات الزراعية، وبعضها لم تكن موجودة في بلاد الإغريق. مثل التمور التي نقلها الفينيقيون من بلاد الرافدين [6] كما نقلوا زيت الزيتون وأدخلوا زراعته إلى جانب ثمار الرمان وزراعة أشجاره [7] نقل كذلك التجار الفينيقيون القطن وتسميته السامية تؤكد على مصدره الشرقي [8].

---

* – اللون الأرجواني له مدلول يختلف من حضارة لأخرى، قد يرتبط بالمعتقدان الدينية كما قد يرتبط برمزيته للسلطة والمكانة الرفيعة. (أنظر فوزي رشيد، ظواهر الحضارية وجمالية، دار صفحات للدراسات والنشر، سوريا، ط1، 2011، ص ص 86 – 87. Nina Jidjian, Tyre through the ages, Dar El Mashreq, Beirut, 1969, P 9).

1 – ZVI, Herman, op.cit, P 224.

2 – هوميروس، " الألياذة "، النشيد 23، ص 247.

3 – فردريك معتوق، المرجع السابق، ص ...

4 – Mohammed, H, Fantar, op.cit, P

5 – Toutain, op.cit, P 30.

6 – Victor, Berard, op.cit, P 180.

7 – فيليب حتي، " **تاريخ لبنان** "، ص 145.

8 – بيومي مهران، المرجع السابق، ص 397.

نقل التجار الفينيقيون مختلف المنتوجات الصناعية والزراعية والمواد الخام وإلى جانبها حملوا الأفكار، فقد كان لهم الفضل في إدخال الحروف الأبجدية التي شاع أنم من إبتكرها وساهمت التجارة في هذا الابتكار ونقله إلى مختلف المناطق، وحسب هيرودوت كان كدموس أدخل الحروف الأبجدية إلى بلاد الإغريق [1] حوالي 850 قبل الميلاد ومنها إلى مناطق أخرى [2].

كان الفضل الكبير للتجار الفينيقيين في نقل جوانب عديدة من حضارات الشرق. فقد ظهرت بعض الأساطير الإغريقية متطابقة في تفاصيلها وأفكارها مع أساطير حضارات الشرق. كأسطورة أدونيس و أفروديت التي تتشابه مع أساطير بلاد الرافدين [3] كما ظهرت " الأوديسة " هوميروس متشابهة في بعض الجوانب ملحمة جلجاماش [4].

إستفاد الإغريق في مجالات مختلفة من الفينيقيين فقد أضافوا معارف تخص صناعة السفن[5]، كما إستفاد من معارف الفينيقيين في مجال علم الفك[6]، والنظام الستيني والاثنى عشري[7].

في المقابل أخذ الفينيقيون عن الإغريق بعض المعارف خاصة في مجال الزراعة فقد نقلوا إلى الشرق زراعة نباتات متنوعة منها السوسن النرجس ونبات اللبلاب. وقد بقيت تسميتها الإغريقية متداولة [8].

---

[1] – Hérodote, V, 58.

[2] – جورج سارتون، المرجع السابق، ص 121.

[3] – لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 22.

[4] – رجب عبد الحميد، ص 40.

[5] – بكر محمد إبراهيم، المرجع السابق، ص 47

[6] – أحمد حامدة " **التجارة الفينيقية** "، ص 65.

[7] – فيليب حتي، " **تاريخ لبنان** "، ص 187

[8] – نفسه

لا يمكن تحديد الفترة الزمنية التي وصل فيها الملاحون الفينيقيون إلى بلاد الإغريق، لكن إستنادا إلى المصادر الإغريقية، على الأرجح أنهم وصلوا إلى المنطقة خلال القرن التاسع قبل الميلاد، وقد ظهورا بسفنهم السوداء التي وصفها هوميروس في الأوديسة [1] كتجار يختلفون بمظهرهم عن الإغريق الذين أطلقوا عليهم تسمية مشتقة من اللفظ الإغريق **Phoenix** الذي يدل على اللون الأحمر [2].

كان الفينيقيون في نظر الإغريق حرفيون، مهرة في مجال النسيج والتعدين فقد كانوا يقدمون مصنوعاتهم المعدية كجوائز كما سبق الذكر، كما كان الفينيقيون في نظر الإغريق أمهر الملاحين وخبراء في مجال صناعة السفن ولهم دراية بطل الطرق التجارية ينتقلون من ميناء إلى ميناء من أجل بيع منتوجاتهم المتنوعة [3]. كما كانوا ينظرون إليهم أنهم تجار جشعون وهذا حسبما ورد عند هوميروس "...وهم قوم يشتهرون بسفنهم وبأنهم أوغاد جشعون فأحضروا معهم تحف لا عدد لها في سفنهم السوداء ..." [4].

هناك تناقض في نظرة الإغريق للتجار الفينيقيين فقد كانوا في نظرهم قراصنة مارسوا إختطاف الأحرار وبيعهم كما سبق ذكر في المبحث الخاص بتجارة العبيد، وقد تكون هذه النظرة العدائية للفينيقيين سبب المنافسة التي ظهرت في البداية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط وإمتدت في ما بعد إلى الحوض الغربي.

---

[1] – هوميروس، " **الأوديسة** "، ص 379.

[2] – Toutain, op.cit, P 89.

[3] – F. Briquel- Chatonnet, « **Les Phéniciens Vus Par Les Grecs** » (D.H.A) , P 46.

[4] – هوميروس، **الأوديسة**، ص، 379.

المبحث الرابع: التواجد الفينيقي في قرطاجة:

قبل تأسيس الفينيقيين لمدينة قرطاجة على الساحل الشرقي لشمال إفريقيا، سبق للفينيقيين تأسيسهم لمحطات تجارية في الحوض الغربي ونخص بالذكر محطاتهم التجارية في مالطا وصقلية، كما استوطن الفينيقيون في أوتيكا utique التي من المرجح أنها أنشأت حوالي 1100 قبل الميلاد وأهداف الفينيقيين في المنطقة كانت واضحة حيث استغلوا الإمكانيات الزراعية في المنطقة التي تتميز بخصوبة سهولها، وكانت لهم أهداف أخرى إستراتيجية تتمثل أساسا في موقفها الرابط بين الطريق البحري من صور إلى قادس[1].

إنطلاقا من أوتيكا توجه الفينيقيون إلى الجهة المقابلة وأسوسا مستوطنة جديدة، وحسب بعض الباحثين كان موقع أوتيكا معرض دوما لتراكم الطمي بسبب وقوعها عند مصب نهر مجردة، وربما هذا السبب الذي دفع بالفينيقيين إلى الاستيطان في موقع قريب من أوتيكا[2].

المطلب الأول: تأسيس مدينة قرطاجة:

حسب بعض الآراء وصل الفينيقيون إلى موقع قرطاجة، واتخذوها كمحطة تجارية خلال القرن الحادي عشر قبل الميلاد، كغيرها من المستوطنات الفينيقية في غربي البحر المتوسط، فأغلبها كانت محطات للاستراحة أو محطات تجارية نزل بها الفينيقيون أول الأمر لوجود مكان ملائم لرسو السفن وتم تحويلها إلى مستوطنات حيث أنشاوا فيها الموانئ والمعابد وتكاثر فيها عدد السكان من الفينيقيين، وتعتبر قرطاجة نموذج للمدينة الفينيقية التي تطورت من محطة تجارية إلى مدينة، وكان ذلك في أواخر القرن التاسع قبل الميلاد حوالي 814 ق.م. ارتبط تأسيس قرطاجة براوية تاريخية في مجملها تتضمن الصراع الدائر بين والقصر والمبعد في مدينة صور، وفيما يلي رواية جوستان justinp حول تأسيس قرطاجة: "عاد الحكم بعد وفاة الملك ماتان، إلى إبنيه عليسة وبيغماليون تزوجت عليسة ذات الجمال الباهر

---

[1] -محمد الصفيد غانم، **التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط**، ص – ص، 90-91.

[2] -جان مازيل، المرجع السابق، ص ص، 154-155.

خالها عاش باض، كبير كهنة ملقرت، والفني والذي كان يخشى على ثروته من جشع الملك، فدفنها في جوف الأرض، لكن يغماليون الذي قرر الاستلاء عليها، لم يتوان في قتل خالهة وزوج أخته في نفس الوقت، وشعرت هكذا عليسة بأنها مجبرة على الفرار، وعرفت كيف تحتال على شقيقها، وأبحرت بأموال زوجها ومؤيديها إلى قبرص، ومنها إلى افريقيا، بعد أن انضم إليها في قبرص كاهن يونو، الذي ضمن لنفسه ولأسرته من بعده الإشراف الديني في المدينة الجديدة، كما حملت معها من هذه الجزيرة ثمانين فتاة ليكن أزواجا للشباب الذي كانوا معها، وفي إفريقيا ابتاعت قطعة أرض بمقدار جلد ثور، قطعت الجلد إلى أشرطة صغيرة أحاطت بمساحة تكفي لبناء قرط حدشت"[1].

تحمل رواية تأسيس قرطاجة جزءا من الأسباب التي دفعت بـ عليسة إلى الفرار من مدينة صور نحو شمال إفريقيا، وهو صراعها مع أخيها بيغماليون، لكن من جهة أخرة تحمل الرواية نية الفينيقيين المسبقة لتأسيس المدينة الجديدة، فخروج عليسة الأميرة الصورية ستمثل أعلى سلطة، وبأموالها وأتباعها، والكاهن بذلك أخذت معها أهم شروط تأسيس المدينة، السلطة العليا، الأموال السكان، وهيئة دينية، خاصة وأن موقعها كان قد وصل إليه الفينيقيون وتم استغلاله كمحطة تجارية مما يعني أن اختيار المكان لم يكن عشوائيا، وهجرة جماعة من الصوريين كانت كافية للاستيطان به.

المطلب الثاني: أهداف الفينيقيين من تأسيس قرطاجة:

أنشأت مدينة قرطاجة في موقع متميز حيث يتميز بمجمل الشروط التي كان يختارها الفينيقيون عند نزولهم بسفنهم، فالمنطقة ساحلية، تصلح لرسو السفن، وقريبة من الجزر، تتميز بسهول خصبة وثروات يستغلها الفينيقيون.

---

1 -Justin, **Histoire Universelle,** XVIII, 4, trad (j), Pirrot et (E), (Boitourd, ed, Pancjourke, Paris), 1833.

وصل الفينيقيون إلى موقع قرطاجة وتاجروا مع السكان المحليين، وكانت لهم نظرة عن إمكانيات المنطقة وبعد استقرارهم بها عملوا على استغلال إمكانياتها في مجال الزراعة، فالمنطقة تتميز بخصوبة ترتبتها الصالحة لزراعة الحبوب، ومختلف الأشجار المثمرة، الزيتون والكروم وأنواع أخرى أدخلها الفينيقيون كالرمان والتفاح واللوز، إلى جانب توفر أنواع من الأشجار التي استغلها الفينيقيون في الصناعة خاصة صناعة السفن فالمنقطة غنية بأشجار السذيان، الصنوبر والأرز [1].

استغل الفينيقيون ثروات المنطقة فازدهرت الزراعة ومختلف الصناعات الحرفية، وكانت التجاربة البحرية نشاطهم الحيوي في المنطقة، بفضل موقفها بين المستوطنات الفينيقية، خاصة وأن الفينيقيين اهتموا منذ البداية بإنشاء الميناء وإدخال تحسينات عليه، فكانت سفنهم التجارية تجوب البحر المتوسط خاصة الناحية الفربية، فقد أصبحت قرطاجة تشرف على مصالح الوطن الأم في المنطقة، وعملت على توسيع مناطق التبادل التجاري والإشراف على المستوطنات التي أسسها الفينيقيون في الحوض الغربي.

لقد استغل الفينيقيون موقع قرطاجة أحسن استغلال بدليل أنها أصبحت من أغنى المدن في المنطقة، كما استفاد الفينيقيون من موقعها الاستراتيجي، وتأديتها لدور من الناحية العسكرية، وحمايتها للمنطقة نظرا لبعدها عن الوطن الأم، وهذا ما قد يؤكد أن موقفها تم اختباره لأهداف استراتيجية بالدرجة الأولى[2].

---

[1] – شوقي خير الله، المرجع السابق، ص، 76.

[2] – Mohamed. V. Fantar, **Dans le sillage des phéniciens**, op.cit., P, 6.

المبحث الخامس: التواجد الفينيقي في قادس:

وصل البحارة الفينيقيون إلى منطقة شبه الجزيرة الأيبيرية بعد إجتيازهم لأعمدة هرقل وكان هدفهم الأول البحث عن الثروات، فإستقروا في أماكن كثيرة، كانت أهمها **Malaga** أيديرا **Adera** ، سيكسي **Sexi** ، و حسب الأبحاث الأثرية يعود تاريخ تأسيس المستوطنات السابقة الذكر وغيرها قد تم من طرف الفينيقيين ما بين 760 و 725 قبل الميلاد، وقد عرفت بنشاطها التجاري والصناعة خاصة فالقرن السابع قبل الميلاد[1].

وكانت المستوطنات الفينيقية في شبه الجزيرة الأيبيرية من أهم مناطق التبادل التجاري التي وصلت إليها منتوجات الشرق عن طريق التجار الفينيقيين بدليل وجود بقايا أثرية من المصنوعات المصرية [2]

وجد الفينيقيون ثروات طبيعية كان أهمها المعادن وأسواق لتصريف منتوجاتهم التي استبدلوها بالمواد الخام، خاصة مع غياب المنافسة كان المجال مفتوح أمام التجار الفينيقيين الذين حافظا على طرقهم التجارية نحو الغرب، وحفاظا على مناطق توسعهم أسسوا مدنا كانت لها أهميتها الاقتصادية والإستراتيجية وكانت أهمها ليكسوس التي سبق ذكرها، وقادس التي إرتبط تأسيسها من طرف الفينيقيين بأهداف إقتصادية وإستراتيجية هي الأخرى.

المطلب الأول: تأسيس قادس:

سبق ذكر المراحل التي مرّ بها الفينيقيون لإنشاء المعبد باعتباره أول منشأة إلى جانب الميناء التي تدل على نية الفينيقيين للاستقرار، وحسب المصادر الكلاسيكية كان حوالي 1100 قبل الميلاد، لكن يطرح إشكال حول تاريخ التأسيس والتواجد الفينيقي عموما في شبه الجزيرة الأيبيرية فالبقايا الأثرية التي وجدت على إثر الحفريات الأثرية التي أقيمت

---

[1] - Maria Aubert, «**Les Phéniciennes sur le Littoral Méditerranéen Andalou** (D.H.A), P 74.

[2] - يولي بركوفيتش شيركين، " **الحضارة الفينقية في إسبانيا** "، ترجمة يوسف أبي فاضل، جروس برس، 1988، ص 98.

في قادس لا ترقى إلى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد [1]. وعموما يعتبر الباحثين قادس من أقدم المستوطنات الفينيقية إلى جانب ليكسوس و أوتيكا [2].

بنيت مدينة قادس على جزيرة قريبة من سواحل شبه الجزيرة الأيبيرية الغربية، حيث يفصلها عن اليابسة مضيق، وإختيار الفينيقيين لهذا الموقع مرتبط بتحقيق أهداف، كان أهمها التحصين الطبيعي ضد الخطر الخارجي، وإستفادوا كذلك من إنشائهم لمرفأين [3]. ومن هذه الناحية تشبه قادس موقع مدينة صور على الساحل الفينيقي باعتبارها جزيرة .

هدف الفينيقيين من إختيارهم لموقع قادس كمستوطنة للإقامة الدائمة مرتبط بأهداف إستراتيجية حيث كانت بموقعها الحصين [*].تقع في نهاية المستوطنات الغنية بالثروات المعدية، وبالتالي اتخذها الفينيقيون المدينة الحامية لمواقع الثروات داخل شبه الجزيرة الأيبيرية.

موقع قادس متميز حيث تقع في نهاية الطريق التجاري المؤدي من نهاية الحوض الغربي والمؤدية للمحيط الأطلسي، حيث كانت قريبة من الموانئ الفينيقية على سواحل شمال إفريقيا وقريبة من المستوطنات المطلة على المحيط الأطلسي خاصة ليكسوس التي يعتبرها الكثير من الباحثين المدنية التوأم لها.

المطلب الثاني: نشاط الفينيقيين في قادس:

تعتبر الزراعة من أهم النشاطات الاقتصادية المرتبطة بالاستقرار والتجارة بالنسبة للفينيقيين، ولا ننفي وجود زراعة قام بها الفينيقيون في قادس لكنها لم تكن واسعة بالقدر الذي يسمح لهم بالتجارة بالمنتوجات الزراعية، فعلى الأرجح أنهم كانوا يتحصلوا عليها مقابل منتوجات أخرى كانوا يتاجرون بها [4].

---

[1] Diogo Ruiz Mata, **« Les Phéniciennes dans la Paie de Cadix »** (D.H.A), PP 82-83.-

[2] – سيدي محمد العيوض، " **مدن ومراكز المغرب القديم** "، منشورات أمل، 2015، ص 37.

[3] – يولي بركوفيتش تسيركين، المرجع السابق، ص 69.

[*] – حسب بلين الأقدم معنى قادس المكان الحصين أو قلعة مما قد يؤكد أن الفينيقيين إختاروها لحصانة موقعها. (**أنظر** **PLine L'Ancien, VI, 120)**

[4] – يولي بركوفيتش تسيركين، نفسه، ص 79.

أهم الحرف التي مارسها الفينيقيون خارج الساحل الفينيقي والتي كانت لها أهميتها الخاصة في المستوطنات الفينيقية صناعة الخزف، المرتبطة بإنتاج المصنوعات اللازمة في الحياة اليومية والطقوس الدينية وخاصة لأغراض تجارية وما يميز المصنوعات الخزفية في قادس وشبه الجزيرة الأيبيرية اللون الأحمر، إذ كانت تطلى به الأواني الخزفية من الخارج وفي بعض الأحيان من الداخل والخارج أو يطلى به الجزء العلي [1] وأهم المصنوعات الخزفية التي وجدت في المنطقة تمثلت في الجزر والخوابي التي كانت مخصصة لتعبئة المواد السائلة كزيت الزيتون، وبصفة خاصة المنتوجات البحرية من الأسماك المجففة وصلصلة القاروم.

إهتم الفنيقيون في قادس بصناعة السفن فقد توفرت لهم أنواع من الأخشاب خاصة الصنوبر والبلوط، حسب من ذكره ديودور الصقلي [2] وأكده كذلك بلين الأقدم [3] وحسب سترابون. صنع الفينيقيون أنواع من السفن خاصة بالصيد: "....في هذه المدينة قادس بينما يجهز الأغنياء سفن كبيرة للإبحار يقوم الفقراء باستئجار مراكب صغيرة تحمل اسم الخيول سبب الأشكال المنحوتة على جأجئها يستخدمونها للذهاب لصيد السمك إلى حدود نهر ليكسوس " [4].

إهتمام الفينيقيين بصناعة السفن مرتبط أساسا بتوفر المواد الأساسية ونشاطاتهم الاقتصادية في المنطقة، المتعلقة أساسا بالتجارة البحرية والصيد البحري. وحسب وصف سترابون في سياق حديثه عن أماكن الصيد ذكر نوعين من السفن، الأولى سفن كبيرة كانت ملكا للأغنياء وسفن صغيرة حسب وصفه تشبه السفن الفينيقية التي ظهرت على الشواهد الأثرية الآشورية وهي سفن تظهر في مقدمتها على شكل رأس حصان **(أنظر الصورة رقم**

---

1 – يولي بركوفيتش، المرجع السابق، ص ص، 84-85

Diodore de Sicille, V, 16.– 2

Pline III, 76.– 3

Strabon, III, 3, 4.– 4

15 و16) مما قد يؤكد أن الفينيقيين نقلوا إلى الحوض الغربي صناعات مارسوها في الحوض الشرقي.

صناعة السفن في الحوض الغربي عموما لها نفس الدور والأهمية بالنسبة للفينيقيين الذين مارسوا نشاطات مرتبطة بالبحر وثرواته، وكان الصيد من أهم النشاطات. وقد توجه الفينيقيون من قادس من جنوب إلى ليكسوس لتوفر أنواع من الإمساك تستخدم في صناعة صلصلة والقاروم والأسماك المجففة وكانت التونة أهم الأنواع كما سبق ذكر.

إهتم الفينيقيون في قادس نشاط التعدين، وهو النشاط الأساسي في شبه الجزيرة الأيبيرية [*]، فقد أكدت المصادر على توفر المعادن التي كان السكان يجهلون طرق إستغلالها مما جعل الفينيقيين يحتكرونها في الحوض الغربي، وقد تحصلوا عليها منذ وصولهم إلى المنطقة عن طريق التبادل التجاري. وبعد إستيطانهم في المنطقة قاموا باستغلال الثروة المعدنية بشكل واسع، وهذا ما جعل بعض الباحثين يعتقدون أن المنطقة الغنية بالمعادن هي نفسها ترشيش المجهولة جغرافيا، وكان دور قادس في المنطقة إشرافها على هذه المناطق بموقعها الاستراتيجي، كما أنها كانت من المستوطنات التي تركزت فيها الصناعات التعدينية خاصة صناعة الحلي.عموما كان دور قادس يشبه دور ليكسوس من حيث استغلال الثروات البحرية، وإرتباط موقعها بحماية المستوطنات الغنية بالمعادن [1].

---

* – تجاوزت المنشآت الفينيقية في شبه الجزيرة الأيبيرية الثلاثين وبعضها مجهولة الاسم، وعلى الأرجح أنها كانت مناطق للاستقرار الفينيقي، بعضها كانت إنتقالية أقام فيها الفينيقيون واستغلوا ثرواتها المعدنية.

1 – محمد رضوان العزيفي، " **ليكسوس مستوطنة فينيقية** "، ص 314.

المبحث السادس: التواجد الفينيقي في ليكسوس:

وصل البحارة الفينيقيون بسفنهم التجارية، إلى أقصى منطقة في الحوض الغربي للبحر المتوسط وإجتازوا أعمدة هرقل، وتوجهوا شمالا نحو شبه الجزيرة الأيبيرية وجنوبا نحو سواحل إفريقيا المطلة على المحيط الأطلسي، ونتيجة لترددهم الدائم أسسوا مخازن ومحطات تجارية أصبحت بمرور الوقت أصبحت مناطق للإقامة الدائمة [1]. وكان ذلك بعد إستطلاعهم لأوضاع المنطقة وأهميتها من الناحية الاقتصادية والإستراتيجية [2].

المطلب الأول: تأسيس ليكسوس:

تعد ليكسوس من أهم المنشآت التي أقامها الفينيقيون ويمكن اعتبارها إمتداد لمجموعة من الموانئ والمستوطنات الفينيقية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، كان تأسيسها في نفس فترة تأسيس قادس القريبة منها. وكان ذلك حوالي 1100 قبل الميلاد وهذا التاريخ لا تؤكده البقايا الأثرية التي وجدت في المنطقة، فالبقايا الأثرية يعود تاريخها إلى حوالي القرن السابع والسادس قبل الميلاد [3]، حيث كانت ليكسوس في هذه الفترة من المستوطنات التابعة لمدينة قرطاجة، مما جعل بعض الباحثين يشيرون إلى أن تأسيسها كان من طرف قرطاجة بعد أن أصبحت تشرف على المستوطنات الفينيقية في الحوض الغربي للبحر المتوسط. لكن إستنادا إلى بعض النصوص تأكد أن تأسيس ليكسوس ارتبط بالجار الفينيقيين قبل تأسيسهم لقرطاجة سنة 814 قبل الميلاد وكانت تابعة للفينيقيين في الشرق، وتبعيتها لقرطاجة كانت بعد القرن السادس قبل الميلاد.

من أهم المصادر التي تشير إلى ليكسوس أنها مدينة فينيقية نص الرحلة المنسوبة إلى سيكلاكس **Scylax** . بحكم أن المعلومات الواردة في نص رحلته كانت قبل القرن

---

[1] – سعيد أكدال، " **المدنية المغربية عبد التاريخ** "، الجزء الأول، دار نشر المعرفة، 2016، ص، 15.

[2] –Michel Pouniche, « **Implantation Rural du Maroc Phénicien** » (D.H.A), P. 86.

[3] –D.C.P.P, P, 264.

السادس قبل الميلاد، وقد ذكر فيما يخص ليكسوس ما يلي:...يوجد نهر كبير آخر يدعى ليكسوس، ومدينة للفينيقيين وهي ليكسوس ثم مدينة أخرى يقطنها الليسيون توجد بعد هذا النهر، وميناء وبعد نهر ليكسوس يوجد نهر كرابيس، ثم ميناء ومدينة للفينيقيين تدعى توما تيريا ..." [1].

لقد أشار سيكلاكس **Scylax** بوضوح إلى مدينة ليكسوس وذكر أنها مدينة فينيقية، وباعتبار أن رحلة سكيلاكس **Scylax** من المصادر التي يعتمد عليها فيما يخص الملاحة الفينيقية بإتجاه المحيط الأطلسي فيمكن أن نستند معلوماته [2]. ونفس المعلومات نجدها مذكورة في رحلة حنون.

تشير مصادر أخرى إلى التواجد الفينيقي، إلى التواجد الفينيقي في ليكسوس من خلال وجود أماكن لعبادة الإله ملقرت، فمن عادة الفينيقيين إنشائهم للمعابد في الأماكن التي استوطنها، وهذا ما نستخلصه مما ذكره سترابون Strabon فيما يلي: "... يحكى أن خليج الوكالات التجارية يتوفر على تجويف يلجه البحر عند المد على مسافة طولها سبع غلوات وأمام هذا التجويف تمتد أرض منخفضة ومتماسكة يعلوها مذبح لهم قليس لا تعمره المياه أبدًا [3].

أشار سترابون Strabon إلى خليج الوكالات الفينيقية في موضع آخر حيث ذكر ما يلي: ".... يمتد جنوب ليكسوس وكوطيس خليج يدعى خليج الوكالات التجارية يتوفر على منشآت لتجار الفينيقيين " [4]،

---

1 -.G. Sell (S), H.A.A.N. T, II ; P 172

2 - Desanges (J), « **Recherches sur L'Activité des Méditerranéen aux Confins de L'Afrique** » (école française de rome, 1978), P, 414.

3 Strabon, XV, II, 3,3.

4 -.Ibid, XV, II, 3, 20

يمكن أن نستخلص مما ذكر سترابون Strabon وجود عدد من المستوطنات الفينيقية المطلة عل المحيط الأطلسي والتي كانت قريبة من ليكسوس(*). حيث كان لها دور مراقبة نشاطها الاقتصادي، وفي إشارته لوجود المعبد بذكره للمذبح وإختيارهم لمكان مرتفع لا تصله المياه، وهي شروط التي كان يهتم الفينيقيون بها عند إختيارهم لأماكن إستقرارهم.

ذكر المصادر لوجود معبد ملقرت الإله الفينيقي، يؤكد أن تأسيس مدينة ليكوس كانت تحت إشراف مدينة صور، ويمكن أن نستخلص مما ذكره سترابون سابقا أن موقع ليكسوس كان محميا ومحصنا حيث لا تغمره المياه وعي عادة الفينيقيين في إختيارهم للأماكن الآمنة والمحصنة، وعلى الأرجح أن ليكسوس قبل أن تصبح مستوطنة تضم عدد كبير من الفينيقيين كانت وكالة تجارية يشرف عليها المعبد.

بالنسبة لموقع ليكسوس له مميزات طبيعية حيث تطل على الواجهة الأطلسية كما تقع على الضفة اليمنى لواد ليكوس، والأكيد أن إختيار البحارة الفينيقيين لهذا الموقع لم يكن صدفة، وخصائص موقع ليكسوس نجدها في عدة مواقع أسسها الفينيقيون، في المغرب الأقصى. حيث تقع أغلبها بالقرب من ضفاف الأنهار أو مصباتها.

المطلب الثاني: نشاط الفينيقيين في ليكسوس:

لقد توجه الفينيقيون نحو الحوض الغربي للبحر المتوسط لأهداف كان أهمها الأهداف الاقتصادية، وتأسيسهم لمستوطنة ليكسوس إرتبط بتحقيق الأهداف الاقتصادية بالدرجة الأولى، إضافة إلى أهداف إستراتيجية إرتبطت بالتوسع الفينيقي.

كانت ليكسوس بموقعها الاستراتيجي من أهم المحطات التجارية التي طورت وأصبحت مستوطنة لها دور أساسي في مراقبة النشاط الاقتصادي الوكالات التجارية التي

* – المصادر الكلاسيكية تذكر الإله ملقرت بالإسم الإغريقي هرقليس، أ واللاتيني هرقل، وذكر المعبد أو المذبح لهما نفس الدلالة، وقد سبق الإشارة لهذه الفكرة في المبحث الخاص بالمعابد.

أسماها سترابون بخليج الوكالات. وهذا الدور يمكن أن نستخلصه من رأي **محمد رضوان العزيفي** فيما يلي: "... يمكن اعتبار ليكسوس قامت على ما يبدو بدور المستودع الرئيسي الذي كانت تنزل فيه السلع الفينيقية القادمة من الشرق ليتم توزيعها بعد ذلك إلى مختلف السواحل المغربية التي تعامل معها التجار الفينيقيون، سواء نحو الشمال حيث ناحية طنجة، نحو الجنوب حيث محطة جزيرة الصويرة، أي وجود ليكسوس يفسَّر باعتبارها مركز لإعادة التوزيع والتخزين التجاري الذي تفرضه عملية التوسع الاقتصادي والاستيطاني بالمنطقة، وحسب هذا الطرح فإنها كانت تلعب دور المرفىء أو المخزن الكبير الذي يقوم بتحديد نوعية وعدد البضائع التي تطلبها الأسواق المحلية ويتكلف بتوزيعها، وفي الوقت نفسه تخزن بها المواد المحلية التي كان مصدرها من شتى الجهات، خصوصا المعادن الثمينة لتعود إلى فينقيا خلال مرحلة > " [1] إستنادا لرأي **العزيفي** كانت ليكسوس تلعب دور الوسيط التجاري بين فينقيا وجزء من مستوطناها في الغرب، التي تشرف عليها ليكسوس.

قام الفينيقيون بنشاطات إقتصادية مرتبطة بالتجارة، كان أهمها حرفة صناعة الخزف، المرتبطة بما يحتاجه الفينيقيون في حياتهم اليومية وطقوسهم الدينية وقد وجدت بقايا من المصنوعات الخزفية في ليكسوس وتؤكد بذلك إستقرار الفينيقيين في المنطقة، إلى جانب العثور على بقايا جرار على الأرجح أنها كانت مخصصة للمواد التي تاجر بها الفينيقيون[2].

بالنسبة للزراعة لا يمكن تأكيد قيام الفينيقيين بالزراعة، لكن على الأرجح أن الأراضي الزراعية الخصبة الصالحة لزراعة منتوجات مختلفة كأشجار الزيتون والكروم والحبوب كان المحليون من السكان في المناطق القريبة من تواجد الفينيقيين يقومون بمقايضة منتوجاتهم مع الفينيقيين[3]ويكون بذلك قد ضمنوا حصولهم على المنتوجات الزراعية عن طريق التجارة.

---

[1] – محمد رضون العزيفي، " **ليكسوس مستوطنة فينيقية**"، ص 364.

[2] – نفسه، ص ص 179-182.

[3] – G. Sell (S), H.A.A.N. T, II ; P, 115.

إهتم الفينيقيون بتجارة الأسماك المجففة وصلصلة القاروم، فقد توفرت لهم مختلف أنواع الأسماك التي وجهت للتصنيع [1]، والمصادر الكلاسيكية تشهد على غنى السواحل الأطلسية المقابلة لمستوطنات الفينيقية بالثروة السمكية، وقد ذكر ديودور الصقلي[2] في هذا السياق ما يلي: "... لأن الأوقيانوس يعتبر بالطبيعية غني بالأسماك كما أشار سترابون كذلك إلى توفر الثروة السمكية في سواحل ليكسوس: "... في هذه المدينة قادس بالفعل بينما يجهز الأغنياء سفن كبيرة للإبحار يقوم الفقراء بإستئجار مراكب صغيرة تحمل إسم الخيول بسبب الأشكال المنحوتة على جآجئها، يستخدمونها للذهاب لصيد السمك إلى حدود نهر ليكسوس ..." [3].

أكدت المصادر على توفر الثروة السمكية التي إستغلها الفينيقيون في ليكسوس وقادس، وقد تكون الثروة السمكية أهم العوامل التي أدت إلى إستقرار الفينيقيين وإختيارهم لبعض المواقع في الحوض الغربي المتوسط، وهذا مرتبط كذلك بتفور المادة الضرورية للتمليح المتمثلة في الملح فقد توفرت لهم الملاحات في مناطق قريبة [4]، مما ساهم في تطور وإستمرار حرفة تجفيف الأسماك وصلصلة القاروم [5].

كانت حرفة مليح وتجفيف الأسماك وصناعة صلصلة القاروم من أهم الصناعات البحرية التي إرتبطت بالتجارة في الحوض الغربي للبحر المتوسط. نظرا لتوفر الملاحات كما سبق الذكر، ولتوفر أسماك التونة التي تعتبر من أجود أنواع الأسماك للتمليح وصناعة صلصلة القاروم والأكثر طلبا في الأسواق [6].

---

1 - D.C.P.P., P 266

2 - Diodore De Sicile, V, 19.4

3 - Strabon, II, 3.4

4 - Pierre Cintas, « **Manuel d'*archéologie* punique,**» (tome II Paris, 1976) P, 250

5 - Moscati (S), « **L'épopée des Phéniciens** », P 241

6 - محمد رضوان الغريفي، " **ليكسوس مستوطنة فينيقية** "، ص ص 350-351.

إرتبطت حرفة تجفيف الأسماك وصناعة صلصلة القاروم بصناعة أخرى تمثلت في صناعة الخزف المرتبطة فقد خصص الفينيقيون جرار تستخدم لتعبئة الأسماك والصلصلة، وهذا ما يفسر كثرة البقايا الخزفية في المستوطنات الفينيقية التي أقيمت في الحوض الغربي للبحر المتوسط، خاصة المناطق المطلة على المحيط الأطلسي [1].

إرتبطت كذلك حرفة تجفيف الأسماك بمادة الملح، التي كانت كذلك من المواد التي تاجر بها الفينيقيون، فقد قايضوا الملح بالمعادن، خاصة معدن القصدير فقد كانت جزر الكاسيتريد **Iles Casséterides** من المنطق التي وصل إليها الفينيقيون وتاجروا معها[2].

المبحث السابع: العلاقات التجارية مع ترشيش وأوفير :

إتسع المجال الجغرافي لمناطق التبادل التجاري الفينيقي، فقد امتدت من الحوض الشرقي إلى أقصى المناطق في الحوض الغربي والمطلة على المحيط الأطلسي وأغلب هذه المناطق سواء كانت مدنا، موانئ، أو محطات تجارية أو محطات للاستراحة أكدت البقايا الأثرية تواجد الفينيقيين وطبيعية كما أكدته المصادر الأدبية في أغلب الأحيان، لكن في المقابل توجد بعض المناطق، ورد ذكرها في المصادر لكنها تعتبر مناطق مجهولة جغرافيا، ونقصد بذلك منطقتي ترشيش **Tarshish** و أوفير **Ophir**، ورد ذكرهما بصفة خاصة في أسفار العهد القديم، ففي سفر التكوين ورد ذكرهما كأسماء لأحفاد نوح الذين إنتشروا بعد الطوفان، ونسبت إليهما كأسماء أماكن [*].

---

[1] – محمد رضوان العزيفي، " **ليكسوس مستوطنة فينيقية** "، ص، 350.

[2] – نفسه، ص 346.

[*] – حسبما ورد في سفر التكوين ترشيش وأوفير هم أحفاد نوح الذين ولدوا بعد الطوفان، فترشيش هو حفيذ يافث، أما أوفير فهو حفيد (أنظر الكتاب المقدس، سفر التكوين، 10 1– 31).

المطلب الأول: العلاقات التجارية مع ترشيش.

ترشيش المصادر التي ورد ذكرها بها، من المناطق التي وصل إليها الفينيقيون سفنهم التجارية، ونخص بالذكر أسفار العهد القديم التي تردد بها ذكر ترشيش لكنها تبقى من المناطق التي إختفت من الجغرافيا السياسية للعالم القديم.بعض الباحثين يعتقدون أن ترشيش ليست إسما حقيقيا لمكان محدد جغرافيا، بل علامة إسمية تدل على أرض غنية بالمعادن، حيث ترجم عناها إلى منجم أو مصهر، كما يعتقد البعض الآخر أنها أي مكان بعيد غني بالثروات، ويقصد به في هذه الحالة المناطق الغربية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وبالتحديد شبه الجزيرة الأيبيرية الغنية بالمعادن التي إستغلها الفينيقيون[1] مما يرجع أنها طرطوس **Tartessos** المذكورة في المصادر الكلاسيكية[2].

كما يقصد بترشيش في رأي بعض الباحثين نوع من السفن التي تبحر إلى مسافات بعيدة أو يقصد بها السفن المتوجهة إلى مناطق ترشيش [3] وودت بهذا المعنى في بعض أسفار العهد القديم[*] وحسب جورج كونتنو سفينة ترشيش هي نفسها السفينة التي ظهرت على تابوت وجد في صيدا **(أنظر الصورة رقم 14)** وتبدو سفينة تجارية [4] وحسب رأي بعض الباحثين سفن ترشيبش هي السفن التي ظهرت على قبور طيبة بمصر [5]. **(أنظر الصورة رقم 19 و20).**

---

1 – يولي بركوفيتش، المرجع السابق، ص ص 28–30..

2 – Attilo Gaudio, Op.cit, PP 04–10.

3 –D.D.P.P., P, 441.

* – **أنظر** سفر حزقيال، 27 25، ملوك الأول، 10 22، إشعيا 1 16، أخبار الأيام، 9 21.

4 – جورج كونتنو، " **الحضارة الفينيقية** "، ص 356.

5 –G. Herm, Op.cit, P 193

تعد أسفار العهد القديم من أهم المصادر التي ورد ذكر ترشيش وإرتبط ذكرها بالرحلات التجارية الطويلة خاصة في عهد الملك سليمان وحيرام ملك صور[1].

بالنسبة للمصادر الفينيقية التي ورد ذكر ترشيش بها، النصب التذكاري الذي وجد في نورا **NORA** بجزيرة سردينيا [2] كما ورد في حوليات الملوك الآشوريين، ففي حوليات الملك الآشوري أسرحدون **Asar Haddon** (860- 669 ق. م)، حيث وردت عبارة ترشيش من ضمن المناطق تركع له، مما قد يعني أنها كانت منطقة لها ملك وسيادة مما يرجح كذلك أنها من المناطق الواقعة في الحوض الغربي للبحر المتوسط[3]. حسب أسفار العهد القديم ترشيش منطقة ساحلية تصل إليها السفن عبر البحر حسبما ورد في سفن يونان " فقام يونان ليهرب إلى ترشيش من وجه الرب، فنزل إلى يافا ووجد سفينة ذاهبة إلى ترشيش، فدفع أجرتها، ونزل فيها، ليذهب معهم إلى ترشيش من وجه الرب، فأرسل الرب ريحا شديدة إلى البحر، فحدث نوء، عظيم في البحر حتى كادت السفينة تتكسر...." [4].

ورد ذكر ترشيش بمعنى السفن التجارية التي تقوم برحلات في فترات موسمية ".. لأنه كان للملك في البحر سفن ترشيش مع سفن حيرام، فكانت سفن ترشيش تأتي مرة كل ثلاث سنوات، أنت سفن ترشيش تأتي في كل ثلاث سنوات، أتت سفن ترشيش حاملة ذهب وفضلة وعاجًا وقرودًا وطواويس..." [5].

حسب ما سبق ذكره ترشيش حسب أسفار العهد القديم منطقة ساحلية بعيدة غنية بالمواد الثمينة من المعادن كالذهب والفضة ومواد الترف كالعاج، وعلى الأرجح أن السفن

---

1 - Lenermant (F), Tarshish, **<u>«Etude D'Enographie et de Géographie diplique »</u>** (Revue Questions Historiques, T, XXX, II, 1982), P- 5-15.

2 -D.D. P.P., op.cit., P 441.

3 -Ibid.

4 - الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر يونان، 1 3.

5 - نفسه، سفر الملوك الأول، 10 22.

التي كانت تبحر إليها كانت سفن تجارية خاصة تقوم برحلات في فترات موسمية وغناها بالمعادن تردد ذكره في أسفار أخرى: "... فضة مطّرقة تجلب من ترشيش...." [1].

المطلب الثاني: العلاقات التجارية مع أوفير:

أوفير من المنطق التي إختلف الباحثون حول تحديد موقعها الجغرافي إذ يبقى مجهولا لذلك يبقى موقعها مبنيا على عدة إفتراضات، فقد تكون، الهند، إفريقيا أو بلاد العرب وهي مناطق عرف قديما أنها من المناطق الغنية بالذهب [2].

تردد ذكر منطقة أوفير التي كانت منطقة ساحلية حسبما ذكر في أسفار العهد القديم " وعمل الملك سليمان سفنا في عصيون جابر التي بجانب أيلة على شاطئ بحر سوف في أرض آدوم، فأرسل حيرام في السفن عبيده النواتي العارفين بالبحر مع عبيد سليمان، فأتوا إلى أوفير وأخذوا من هناك ذهبا أربع مئة وزنة وعشرين وزنة، وأتوا بها إلى الملك سليمان..." [3].

ذكر في موضع آخر أن أوفير كانت منطقة ساحلية كانت ترسل إليها السفن التجارية التي عرفت سفن ترشيش مما يرجح أنها مكان بعيد، كانت تخرج السفن إليها من ميناء عصيون جابر [*]. "... وعمل يهوشفاط سفن ترشيش لكي تذهب إلى أوفير لأجل الذهب، فلم تذهب لأن السفن تكسرت في عصيون جابر " [4].

المعلومات الواردة في أسفار العهد القديم غير كافية لتحديد الموقع الجغرافي لأوفير.

ولكن تفيدنا أسفار العهد القديم في تحديد أهم الثروات التي تحصل عليها الفينيقيون من أوفير والمتمثلة على وجه الخصوص في الذهب: "... وألقيت التِّبر على التراب وذهب

---

[1] – الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر إرميا، 10 9.

[2] – زينون كوسيدوفسكي، ترجمة، محمد مخلوف، " **الأسطورة والحقيقة في القصص التوراتية** "، (الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996)، ص، 292.

[3] – الكتاب المقدس، سفر الملوك الأول، 9 26 –28.

[*] – عصيون جابر يقصد بها رأس خليج العقبة.

[4] – الكتاب المقدس، العهد القديم، ملوك الأول، 22 48.

أوفير بين حصا الأودية " [1]. وقد تكرر ذكر ذهب أوفير في أسفار أخرى: "... والإنسان أعزَّ من ذهب أوفير " [2].

وفي موضع آخر نستدل على وفرة الذهب في أوفير: ".... ثلاثة ألاف وزنة ذهب من ذهب أوفير..." [3] إلى جانب الذهب كانت السفن التجارية الفينيقية في عهد حيرام تجلب الحجارة الكريمة والأخشاب وهذا حسب أسفار العهد القديم: "...وكذا سفن حيرام التي حملت ذهبا من أوفير أتت من أوفير بخشب الصندل كثيرا جدًا وبحجارة كريمة " [4].

المبحث الثامن: مناطق التبادل التجاري الموسمية

قام الفينيقيون بنشاط تجاري كثيف في مناطق مختلفة من البحر المتوسط، بعضها كانت منشآت دائمة، فاتخذت إسم المدينة لما تتميز به من منشآت وخصائص كما سبق الذكر، وقد عرف عن التجار الفينيقيين ببحثهم الدائم عن الأسواق، لتصريف سلعهم، والحصول على المواد الخام.

كثيرة هي المواقع خاصة في الحوض الغربي للبحر المتوسط التي وجدت فيها بقايا أثرية دلت وأكدت وصول الفينيقيين بسفنهم إليها [5] فعلى الأرجح أن بعض هذه المواقع كانت تعتبر محطات للاستراحة فقط، أو كانوا يتوقفون فيها حسب متطلبات الملاحة لإصلاح السفن في حالة حدوث أعطاب.

ما يؤكد أن بعض هذه المناطق كانت أسواقا. يقيم فيها الفينيقيون لفترات محدودة، نستنتجه من نص هيرودوت[6] بخصوص التجارة بالمقايضة أو ما أصطلح على تسميته بـ: " التجارة

[1] – الكتاب المقدس، أيوب، 22 24.
[2] – نفسه، إشعيا، 12 12.
[3] – نفسه، أخبار الأيام الأول، 29 4.
[4] – نفسه، الملوك الأول، 10 11–12.
[5] - عبد الحفيظ فضيل الميار، "**الحضارة الفينيقية في ليبيا**"، (دار الكتب الوطنية، ط 1، 2001)، ص ص 100-119.
[6] - Hérodote, IV, 196.

الخرساء، فقد كان التجار ينزلون من سفنهم المحملة بالبضائع. ويرتبونها على الساحل. ثم يعودون إلى سفنهم لإرسال إشارات بعد إشعال النار، ليتقدم السكان المحليون لتفحص البضائع، بعد الإنتهاء من عملية البيع كان الفينيقيون يركبون سفنهم ويغادرون.

ما يفهم من نص هيرودوت أن الفينيقيين كانوا ينتقلون إلى مناطق لم يستقروا فيها وكانوا يقومون بعملية البيع على طول الساحل، وبإستخدام إشارات من النار والدخان كانوا يعلنون عن إفتتاح السوق. وإشارة على قدومهم حسبما نص هيرودوت التجار الفينيقيين كانوا يكتفون بالإقامة على سفنهم حتى تتم عملية البيع، كما قد لا تكون إقامتهم ينصبهم لخيام وهذا ما نستخلصه من نص رحلة سيلاكس Scylax فقد ذكر أن التجار الفنيقيين عندما كانوا يصلون إلى"Cenné" كانوا يقومون بربط مراكبهم المستديرة وينصبون الخيام، وقد سبق ذكر عملية التبادل بالمقايضة في المنطقة [1].

ربما كان التجار الفينيقيون خلال فترة البيع يقيمون داخل خيام التي على الأرجح كانوا يحملون معهم لما يحتاجونه لنصب الخيام أو أنهم كانوا يستخدمون أجزاء من السفن، كالأشرعة والحبال والسواري [2].

إحتمال آخر وهو إقامة الفينيقيين داخل أكواخ أو منشآت سهلة البناء لكن في المقابل ربما من مواد سريعة التلف [3]، البقايا الأثرية للمنتوجات الفينيقية المنتشرة في بعض المواقع تؤكد وصول التجار الفينيقيين لكن في المقابل لا وجود لمنشآت تؤكد إستقرارهم لفترات طويلة، وهذا ما يؤكد أن هذه الأماكن كانت أسواق تتم فيها عملية البيع فقط.

نوع آخر من المناطق التي أقام فيها الفينيقيون، ولم تكن ضمن المحطات التجارية الدائمة، وهذا ما نستنتجه من نص لهيرودوت، ذكر فيه أن الفينيقيين قاموا فيه بنشاط

---

1 - محمد رضوان العزيفي، السلع المتبادلة بين الفينيقيين والمغاربة القدماء كأقدم نموذج عن علاقات المغرب التجارية مع العالم المتوسطي، **أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر التاريخ** (المغرب، 1989)، ص، 208.

2 - نفسه، " الفيبنيقيون في جزيرة الصويرة "، **منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، 1994، ص 66.

3 - نفسه.

الزراعة: "…. وكلما كان يحل فصل الخريف ألقوا مراسيهم وبذروا الأرض في أي مكان ….يكونون فيه ثم ينتظرون وقت الحصاد، حتى إذا حصدوا الزرع أبحروا…." [1].

يمكن أن نستنتج من نص هيرودوت أن الفينيقيين كانوا يقيمون في مناطق صالحة للزراعة، حيث يقومون بزراعتها وإنتظار جني المحصول مما يؤكد أن إقامتهم كانت طويلة نوعا ما، وهي قد تكون ظرفية أي مرتبطة بظروف الملاحة.

بشأن فترة الإقامة في هذه المناطق التي إعتبرناها غير دائمة وموسمية، فقد تكون أسواق كما قد تكون كإقامة نشاطات أخرى كالزراعة. فقد كانوا يستفيدون من هذه المناطق بحسب ما توفره من موارد. لذلك لايمكن أن نحدد الفترة، كما أن إقامتهم فيها قد تكون ظرفية مرتبطة بالملاحة، وظروفها، فرحلاتهم التجارية مرتبطة بإتجاه الرياح الموسمية، خاصة ي رحلة الذهاب أما العودة فقد كانوا يعتمدون على التجذيف [2]. فقد تميزت السفن التجارية بالأشرعة والمجاذيف. **(أنظر الصورة رقم 19 و20).**

المطلب الأول: نموذج من المحطات الفينيقية الموسمية.

استدل الباحثون من البقايا الأثرية المادية وبعض النصوص أن الفينيقيين اتخذوا من بعض المواقع محطات تجارية مؤقتة كان أهمها منطقة الصويرة .

من المؤكد أن التجار الفينيقيين قد وصلوا إلى أبعد مكان في الحوض الغربي للمتوسط في الاتجاهين- شمال إفريقيا وشبه الجزيرة الأيبيرية- وحتى إلى مناطق تطل على المحيط الأطلسي[3] كمنطقة الصويرة، فقد كان الفينيقيون يفضلون الاستقرار في المناطق الساحلية. كما كانوا يفضلون الجزر بالدرجة الأولى كثيرة هي الدلائل الأثرية التي أكدت

---

1 - Hérodote IV, 42.

2 - محمد رضوان العزيفي، " **الفينيقيون في جزيرة الصويرة** "، ص 68.

3 - عبد الحفيظ فضيل الميار، المرجع السابق، ص ص 100-119.

وصول الفينيقيين إلى جزيرة الصويرة فقد توالت الأبحاث الأثرية في الجزيرة منذ 1950، وأهم اللقى الأثرية تتمثل في الخزف، وقد قسمه الباحثون إلى عدة أصناف، من أهمها:

- الخزف الفينيقي ذو البرنيق الأحمر؛
- الخزف غير الملون؛
- الخزف المتعدد الألوان [1].

وقد تأكد الباحثون من أن الخزف فينيقي من خلال ظهور كتابات فينيقية. وقد أصطلح على تسميتها خربشات Graffiti Phénicienne، هذا النوع من الكتابات وجد في 125 قطعة خزفية، والكتابات عبارة عن أسماء لأشخاص بأبجدية فينيقية. مثل: ماغون- عبد لبنان- أشمون يعطون.

وقد طرحت عدة تساؤلات حول الهدف من كتابة هذه الأسماء فربما كانت توقيعات لصناعي الخزف [2]، فتكون بذلك أسماء الخزافين معروفين كما هو الحال للزجاجيين الذين كانوا يوقعون بكتابة أسماءهم على المصنوعات الزجاجية [3].

كما طرح تساؤل آخر حول المصنوعات الخزفية المتمثلة أساسا في جرار صغيرة وخوابي، فهل كانت معبأة خاصة الخوابي أو كانت موجهة كسلعة في حد ذاتها، خاصة بالنسبة للجرار ذات الحجم الصغير، بإعتبار أن عملية التبادل كانت تتم عن طريق المقايضة.

لقد دلت بقايا المصنوعات الخزفية الفينيقية على وصول التجار الفينيقيين إلى المنطقة وإقامة علاقات تجارية خلال القرن السابع قبل الميلاد والنصف الأول من القرن السادس قبل الميلاد [4]. وهي الفترة التي تتوافق مع مرحلة نشاط التجارة البحرية في الحوض الغربي

[1] - محمد رضوان العزيفي، " **الفينيقيون في جزيرة الصويرة** "، ص 54-60.

[2] - نفسه، ص ص 59-6.

[3] - René Dussaud, « **un nouveau nom de verrier Sidonien** », P, 230

[4] - محمد رضوان الفريفي، المرجع السابق، ص، 73.

المتوسط وحتى سواحل المحيط الأطلسي [1].لم تكن الشواهد الأثرية من بقايا المصنوعات الخزفية الشاهد الأثري الوحيد، فقد مثل في الطبقات الأركيولوجية الفينيقية في المنطقة على أثار لمواقع على شكل أكوام من الفحم، وقد طرح هذا الإكتشاف عدة تساؤلات عن أسباب وجود هذا النوع من البقايا الأثرية، وقد أشار الباحثون إلى أنها الدليل المادي لما ورد في نص هيرودوت الخاص بالتجارة الصامتة [2].

فقد كان الفينيقيون ينزلون بضائعهم ويركبونها على طول الساحل، وبعدها يركبون سفنهم ويرسلون إشارات بعد إشعال النار، فإذا كانت هذه العملية فعلا متكررة خلال فترات موسمية كان يصل فيها التجار الفينيقيون، فقد تكون فعلا الأثر المادي للتجارة بالمقايضة.

المطلب الثاني: نشاط الفينيقيين في جزيرة الصويرة.

أكدت الشواهد الأثرية على وصول التجار الفينيقيين، لجزيرة الصويرة[*]. وكون أن الفينيقيين أقاموا فيها بشكل غير دائم قد يكون له أسباب تتعلق بالشروط الطبيعية التي يأخذها الفينيقيين بعين الاعتبار الإستقرار وقد يكون، غياب منبع للمياه العذبة قريب من الشاطئ [3].

إذا كان الفينيقيون يرتادون جزيرة الصويرة بشكل دوري فالأكيد أن لهم أهداف إقتصادية في المنطقة، فإجتيازهم عبر البحر المتوسط والمحيط الأطلسي للوصول إلى المنطقة لم يكن لمجرد تبادل السلع.

كان الفينيقيون يقايضون سلعهم المتنوعة بالمواد الخام، خاصة المعادن، فقد تحصل السكان على المصنوعات الخزفية بدليل بقايا المصنوعات الخزفية التي وجدت في الطبقات

---

1 - F. Decret, « **Carthage au L'empire de la Mer** », Paris, 1977, PP 32-36.

2 - محمد رضون العزيفي، **الصويرة الذاكرة وبصمات الحاضر** ، ص 61.

* حسب رأي بعض الباحثين هي تسمية مشتقة في اللغة السامية من كلمة صور أو برج أو صخرة، من المحتمل أن هذه التسمية عرفت خلال الفترة الفينيقية في القرن السابع قبل الميلاد.

3 - محمد رضوان العزيفي، نفسه، ص 67.

الأركيولوجية الفينيقية، كما أنهم من المرجح أنهم قدموا للسكان العطور بدليل ما ذكره سيلاكس Scylax، وبدليل مادي آخر والمتمثل في القنينات ذات الحجم الصغير التي كانت مخصصة لتعبئة العطور [1].

كما قد يكون الفينيقيون قد قاموا بنشاط إستخراج المعادن في الجزيرة، فقد عثر على قوالب كانت تستخدم لصهر المعادن، كما عثر على شظايا معدنية وهي دليل على وجود نشاط للتعدين في المنطقة[2].

كانت المعادن هدفا رئيسيا للتوسع في الحوض الغربي للبحر المتوسط، فقد كان الفينيقيون بحاجة دائمة إلى المواد الخام، فقد كانت أساس صناعات هامة، فإلى جانب المعادن من المرجح أن الفينيقيين قاموا بإصطياد أصداف الموركس Murex مصدر الصباغ الأرجواني وهذا إستنادا إلى البقايا الأثرية المتمثلة أساسا في بقايا الأصداف المكسورة، وإلى الحصى الصغيرة التي وجدت في الطبقات الأركيولوجية الفينيقية ويرجح أنها كانت تستخدم لكسر المحارة [3] خاصة وأن المنطقة عرفت بنشاط الصباغة في الفترة الرومانية، فقد كانت سواحل الأطلسي تكثر بها أنواع من الموركس Murex فالملك يوبا الثاني كان قد أقام ورشات إستخراج الصباغ الأرجواني [4].

---

1 - محمد رضوان العزيفي، **الصويرة الذاكرة وبصمات الحاضر**، ص، 73.
2 - نفسه، ص 73
3 - نفسه.
4 - عبد العزيز أكرير، "**تاريخ المغرب القديم من يوبا الثاني إلى مجيء الإسلام**"، (مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2016)، ص 267.

الفصل الخامس:

المنتوجات الفينيقية

المبحث الأول: المنتوجات التجارية من خلال المصادر:

يمكن أن نستخلص العديد من المعلومات عن التجارة الفينيقية، وطبيعة المبادلات من خلال بعض المصادر، التي أوضحت مدى إنتشار وتنوع المبادلات التجارية الفينيقية في البحر المتوسط بحوضيه الشرقي والغربي [1] وهذا في ظل غياب المعلومات المباشرة خاصة من المصادر الأدبية.

المطلب الأول: المصادر الأدبية:

أهم المصادر الأدبية التي يمكن أن نستفيد منها، تتمثل في ثلاث النصوص وأهم هذه النصوص ما ورد عند هيرودوت فيما رواه عن التجارة الصامتة التي سبق التطرق إليها في المبحث الخاص بالمقايضة.

فقد أوضح طريقة التبادل التي إعتمدها التجار الفينيقيون حيث كانوا يتحصلوا على الذهب مقابل سلعهم المختلفة. إضافة إلى نص رحلة سيلاكس Scylax الذي أوضح كذلك، مقايضة التجار الفينيقيين سكان بلاد المغرب[*].

أهم نص تناول التجارة الفينيقية من حيث نوع المبادلات التجارية ومناطق التبادل يتمثل في سفر حزقيال[**] فقد أشار في رثائه لمدينة صور التي وصفها بالسفينة **(أنظر ملحق النصوص رقم 2)** إلى أهم المناطق التي تاجر بها الفينيقيون القريبة من الساحل الفينيقي، وجزر البحر المتوسط، بلاد الإغريق ومناطق في الحوض الغربي للمتوسط **(أنظر الخريطة**

---

[1] - أحمد حامدة، " **التجارة الكنعانية (الفينيقية) في البحر المتوسط** "، ص 63.

[*] - **رحلة سيلاكس Scylax** من المرجح أن الرحلة قام بها سيلاكس Scylax خلال القرن الرابع قبل الميلاد، وأفادت هذه الرحلة بتعريف بعض الأماكن في الحوض الغربي للبحر المتوسط، كما أشارت إلى التواجد الفينيقي بالمغرب . (أنظر محمد مجدوب، "**البحر في المغرب القديم** "، ص ص 156-157. مولاي رشيد، " الرحلات خلال العصر القديم "، مجلة **كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، (العدد ، 24)، 2001، ص 187).

[**] **- حزقيال** في رثائه لمدينة صور ذكر قائمة لصادرات وواردات مدينة صور وهو يقصد كل مدن الساحل الفينيقي التابعة لها ففي هذه الفترة تزعمت مدينة صور باقي المدن، وقد شبهها بالسفينة التي كانت تجوب عدة مناطق.

رقم 04 و 05) وأهم ما ورد في مرثية حزقيال قائمة للواردات والصادرات والتي تتوعت منها المواد الخام، والمواد المصنعة.

وفيما يلي أهم المواد التي تاجر بها الفينيقيون حسب سفر حزقيال:

– المعادن والتي تحصل عليها الفينيقيون في شكلها الخام والمصنع وقد تنوعت المعادن فنجد، الذهب، الفضة، القصدير، الحديد، النحاس.

– الأخشاب، يعتبر الآرز أهم أنواع الأخشاب التي إهتم القدماء بإقتناءها إضافة إلى أنواع أخرى كالسرو، والأبنوس.

– المنسوجات والتي تتمثل بالدرجة الأولى في المنسوجات الأرجوانية التي إنتجها وصدرها الفنيقيون إضافة منسوجات ومواد النسيج الخام كالكتان المصري والصوف البض، الوشي والنمارق.

– الحيوانات وقد تنوعت ومنها الخيل، الجياد، البغال، وحتى الطواويس.

– العطور والنباتات الطبية مثل البيلسان والطيب.

– الأحجار الكريمة ، كالمرجان والياقوت.

– العاج في شكله الخام.

– المنتوجات الغذائية كالزيت والنبيذ وغيرها من المنتوجات.

بالإضافة إلى العبيد ومواد أخرى **(أنظر ملحق النصوص رقم02)**

المطلب الثاني: المصادر المادية:

تتمثل المصادر المادية في البقايا الأثرية للمنتوجات التي نقلها الفينيقيون إلى مختلف المناطق، بالإضافة إلى المعابد والآلهة بأسمائها وتماثيلها، واهم البقايا الأثرية التي تتعلق

بالتجارة البحرية . تتمثل في بقايا السفن التجارية التي أثبتت أبحاث المختصين وتكمن أهميتها من حيث المنتوجات التي كانت تحملها [1].

أول إكتشاف أثري لبقايا سفينة فينيقية عثر عليها سنة 1982، بالقرب من الشواطئ الغربية لتركيا، على بعد حوالي 70 كيلو متر، في منطقة Ulu Burun حيث عثر على السفينة غير كاملة، فالجزء العلوي لم يتم العثور عليه، بينما عثر على هيكلها المصنوع من خشب الصنوبر،وقدر عرض السفينة بحوالي 4 متر،أما طولها فيتراوح ما بين 15 و 17 متر، وحسب رأي الباحثين قد تكون السفينة صنعت في نهاية القرن الرابع عشر قبل الميلاد[2].

العثور على حطام السفينة بالقرب من شواطئ آسيا الصغرى، قد يوجهنا إلى تحديد وجهة السفينة التجارية. فربما كنت متوجهة إلى بلاد الإغريق، أو منطقة قريبة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط [3]، وهذا الإكتشاف الأثري يعد بالغ الأهمية من عدة جوانب:

-من خلال أجزاء السفينة المتبقية يمكن تحديد خصائص السفينة التجارية الفينيقية خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد، من حيث مواد الصنع وتقنيات تركية بعض الأجزاء والمواد المستخدمة.

- الأهمية البالغة تتمثل في حمولة السفينة التي عثر عليها فقد كانت السفينة محملة بسلع مختلفة، منها المواد الخام كالمعادن ومنتوجات أخرى مختلفة:

أهمها:

- سبائك من القصدير؛
- مصنوعات زجاجية؛

---

[1] - فريدريك معتوق، المرجع السابق، ص 60

[2] D.C.P.P., P 60.-

[3] - فريدريك معتوق، نفسه، ص 60.

- العاج حيث عثر على قرن واحد لفيل، والعديد من قرون فرس النهر
- خشب الأبنوس والمرجع أنه من مصر؛
- كمية من الصبغ الطبيعي قدرت ب: طن، الصمغ مستخرج من أشجار الصنوبر[1].
- مصنوعات معدنية مختلفة منها الحلي، السيوف؛
- بيض النعام؛
- خنفساء Scarabée مصنوعة من النحاس وأخرى من الحجر؛
- سبائك من النحاس وزنها 25 كيلو غرام؛
- مصنوعات من النحاس مثل الدبابيس؛
- كأس مصنوعة من الذهب؛
- جرار خزفية ذات طابع قبرصي.

قائمة السلع التي كانت على السفينة أظهرت إهتمام التجار الفينيقيين بنقل مختلف المنتوجات من مواد خام ومصنعة بعضها لم تكن مصنوعات فينيقية، وهذه هي خاصية التجارة الفينيقية، فقد كانت السفن التجارية الفينيقية تحمل سلع متنوعة وهذا التنوع مرتبط أساسا بنظام التبادل القائم على المقايضة.

إكتشاف أثري آخر له أهميته، في الدراسة والبحث حول التجارة الفينيقية.

فقد عثر الغطاسون سنة 1999 بالقرب من شواطئ مدينة عسقلان على بعد حوالي 45 كيلو متر، وحسب المسح الطبوغرافي يرجح الباحثون أن وجهة السفينة كانت من ميناء مدينة صور مكان الإنطلاق، أما الوجهة المرغوبة، تأرجحت الآراء حول تحديدها نحو مصر أو منطقة أخرى بإتجاه الحوض الغربي للبحر المتوسط [2].

---

[1] D.C.P.P., op.cit., 60.-

[2] - فريدريك معتوق، المرجع السابق، ص 60.

أهمية الإكتشاف الأثري تكمن في حمولة السفينتين، بالدرجة الأولى، فقد عثر على 385 جرة، في إحدى السفينتين و 396 جرة في السفينة الأخرى.

قدرت الحمولة الإجمالية للسفينتين بـ 781 جرة مخصصة لنقل النبيذ، أثبتت الدراسات والأبحاث أنها كانت معبأة بالنبيذ [1]، فقد إشتهر الفينيقيون بنقلهم لهذا النوع من المنتوجات بين عدة مناطق في البحر المتوسط [2]، وحسب عدد الجرار المذكور الكمية كانت كبيرة وهذا بإعتبار أن سعة الجرة الواحدة كانت مقدرة بحوالي 17.8 لتر، وتكون الكمية الإجمالية للنبيذ 13901.8 لتر.

حطام السفينتين وما كانت تحمله أهمية كذلك في دراسة جانب من جوانب التجارة الفينيقية وعلى وجه الخصوص السلع المنقولة المتمثلة في النبيذ.

المبحث الثاني: تجارة الأنسجة.

اهتم الفينيقيون بالصناعات النسيجية اهتماما بالغًا نظرا لارتباط هذه الحرفة بتجارة الأقمشة الملوّنة –الأقمشة الأرجوانية– فقد كان من أهم السلع المرتبطة أساسا بالتبادل التجاري، لذلك اهتم التجار الفينيقيون باقتناء أنواع من المواد الخام اللازمة للصناعات النسيجية، وهذه المواد التي سنأتي على ذكرها تقدمت اهم الواردات في شكلها الخام، وفي نفس الوقت تعد من الصادرات بعد تحويلها إلى نسيج ملون بالصباغ الأرجواني في أغلب الأحيان.

المطلب الأول: المواد الخام.

1-الصوف:

تعتبر الصوف من أولى الموارد الخام ذات الأصل الحيواني، التي استخدمها القدماء في حياكة الأنسجة، وقد وَرد ذكر الصوف في بلاد كنعان منذ حوالي 1800 قبل الميلاد،

[1] - فريدريك معتوق، المرجع السابق، ص 128.
[2] - أحمد حامدة، المرجع السابق، ص 63.

واستخدامه عند الفينيقيين ق يعود قبل هذه الفترة[1]، وقد تحصلوا عليه عن طريق التجارة من مناطق قريبة كهضبة يهوذا وباشان استنادا إلى ما ذكره حزقيال "... دمشق تاجرتك بكثرة صنائعها وكثرة كل غنى بخمر حلبون والصوف الأبيض...".[2]

يعتبر الصوف من المواد الخام الأقل تكلفة من المواد الأخرى كالقطن والكتان ولم يعتمد الفينيقيون على الصوف المستورد فقط[3]، فقد كان إقليم الساحل الفينيقي إقليم مراعي باعتبار أن الأمطار متوفرة.

تعتبر الصوف من المواد الخام التي استخدمت في حياكة الأنسجة، والتي كانت مطلوبة في ورشات الصباغة، وهذا ما أكدته المصادر الفينيقية نفسها، فقد ورد ذكرها في نصوص رأس الشمرا كأنسجة ملونة لغرض التجارة[4]، كما قد ذكرها في مصادر أخرى.

2-الكتان:

يعتبر الكتان[*] من أهم وأقدم الموارد الخام ذات الأصل النباتي؛ المستخدمة في حياكة الأنسجة، والكتان يعد من أهم الواردات التي تحصل عليها التجار الفينيقيون من مصر. وهذا ما تشهده عليه المصادر المدونة فقد ورد ذكره في نصوص العهد القديم، "... كتان مطرز من مصر هو شراعك لك راية..."[5].

---

[1] فيليب حتى، **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**، ج 1، ص 99.

[2] الكتاب المقدس، العهد القديم، حزقيال، 27 18.

[3] السيد غلاب، المرجع السابق، ص 43.

[4] F. Thureau, Dangins, op, cit, p, 140.

[*] نبات الكتان من المنتوجات الزراعية التي تنمو في الأقاليم ذات المناخ المعتدل والبارد فهو يعتبر من محاصيل الأقاليم الحارة والباردة، تعتبر مصر من أهم الأقاليم التي ينمو بها الكتان بكثرة نظرا لملائمة النبتة واهتمام المصريين بهذا النوع من المحاصيل تتعدد استخدامه في مجال النسيج، الطب والتحنيط، فالكتان يعطي منتوجه الألياف المستخدمة في النسيج والبذور (أنظر وليد الجادر، ص، ص، 109-114، مصطفى محمد حسين، المرجع السباق، ص-ص 13-19).

[5] الكتاب المقدس، العهد القديم، حزقيال، 27 7.

وكثيرة هي الدلائل المادية والمدونة التي تؤكد على ازدهار زراعة الكتان في مصر[1] فقد تمثل تجار الكتان أهم الموارد الاقتصادية لمصر نظرا لتعدد استخدامه في مجال النسيج ومجالات أخرى[2].

لم يعتمد الفينيقيون على الكتان المستورد من مصر فقط، فالفينيقيون قاموا بزراعته خلال القرن العاشر قبل الميلاد في المناطق الجنوبية، وهذا ما أكدته بعض النصوص، فقد ورد ذكر شهر اقتلاع نبات الكتان[3]، فربما لحاجة الفينيقيين لهذا النوع من المحاصيل الزراعية في الصناعة والتجارة ونظرا لملاءمة إقليمهم لزراعته اهتموا بزراعته وهذا بعد أخذهم لطرق زراعته وتحضيره عن المصريين.

تعددت مجالات استخدام الكتان عند القدماء، وبالنسبة للفينيقيين كان الكتان أساس حياكة الأنسجة المستخدمة في صناعة الملابس[*]، كما كان مخصص لحياكة أشرعة سفنهم حسبما ورد في نصوص أسفار العهد القديم، "... كتان من مصر مطرز هو شراعك ليكون لك راية"[4].

الكتان المستخدم في حياكة الأنسجة عند الفينيقيين والقدماء عموما كان ذو نوعية، فالخيوط الناعمة والرفيعة كانت مخصصة لحياكة النسيج ذو النوعية الجيدة، أما الخيوط الخشنة فقد خصصت لحياكة الأقمشة ذات النوعية الرديئة، المخصصة لحياكة لباس العبيد، وصناعات أخرى كالأكياس والحبال[5].

لقد كان الكتان والمنسوجات الكتانية من السلع ذات القيمة المادية وهذا ما نستخلصه من بعض النصوص الواردة في أسفار العهد القديم: "... وهذه هي الثياب التي يصنعونها،

1– J. H. Breasted, Histoire de l'Egypte depuis les temps les plus reculés jusqu'à la complète persane, Bruxelle, 1926, T 1, p, 97

2– مصطفى محمد حسين، المرجع السابق، ص–ص 13–19.

3– فيليب حتى، **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**، ص 97.

* حسب الأساطير المصرية الكتان أوّل نبات خلقته الآلهة من أجل أن يصنع الإنسان منه ملابسه.

4– مصطفى محمد حسين، المرجع السابق، ص–صن 13–19.

5– وليد الجادر، المرجع السابق، ص 112.

صدرة وأوفد وجبة وقميص مطرز وعمامة وخرام فيصنعون ثيابا مقدسة مهارون أخيك بنيه ليكونوا كهنة لي ويستعملون في صناعتها الذهب والنسيج البنفسجي والأرجواني والقرمزي اللون والكتان، يضعون الأفود من ذهب ونسيج أرجواني وبنفسجي وقرمزي اللون وكتان مبروم بيد نساج ماهر"[1]

تعتبر الأنسجة الكتانية من السلع ذات القيمة المادية المرتفعة، فقد ذكر الكتان إلى جانب الأنسجة الملونة التي كانت باهظة الثمن، فقد كان الكتان لباس الكهنة، ولباس عليه القوم خاصة إذا كان النسيج الكتاني ملون بالصباغ الأرجواني فقد تاجر به الفينيقيون[2].

3-القطن والحرير:

اهتم الفينيقيون بحياكة الأنسجة من الكتان والصوف باعتبارها مواد خام أكثر توفرا، كما تحصلوا على القطن والحرير عن طريق التجارة، فلم تكن من الموارد المحلية.

يعتبر القطن من المحاصيل التي ادخلت إلى الشرق الأدنى منذ حوالي 700 ق.م، وقد أصبح من المحاصيل الزراعية في الشرق ومن المرجح أن الفينيقيين قد تحصلوا عليه من بلاد الرافدين أو مصر[3].

أما الحرير، فقد استخدمه الحرفيون في حياكة الأنسجة وصباغتها فقد كانت الأنسجة الحريرية الملونة من أثمن السلع التي تاجر بها الفينيقيون ومن المرجع أنّهم تحصلوا على الحرية عن طريق تجارة القوافل البرية[4][*].

المطلب الثاني: الأقمشة الأرجوانية.

اشتهرت المدن الفينيقية بصباغة الأنسجة خاصة مدينتي صيدا وصور بصفة خاصة، فقد عرف الأرجوان بالأرجوان الصوري عبر العصور، فقد كانت أهم مركز لصباغة الأنسجة

1- الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الخروج، 28 4، 6.

2 Thureau Dangins, op, cit, p, 140-144.

3 فيليب حتى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص 99.

4 أحمد حامدة، المرجع السابقة، ص 70.

* يذكر أحمد حامدة أن نصف كيلوغرام من الحرير يكلفّ حوالي 28000 دولار، كما قدر خبير فرنسي ثمن ليرة من الحرير الملون بـ 150000 فرنك فرنسي (أنظر أحمد حامدة نفسه، ص 69 و E. Martland, op, cit, p 60).

الأرجوانية التي كانت من أهم السلع التي تاجر بها الفينيقيون، وكانت من أكثر السلع طلبا عند المصريين، الإغريق والعبرانيين وغيرهم من الشعوب المتاجرة مع فينيقيا.

1-القيمة المادية للأقمشة الأرجوانية:

لقد أظهرت نصوص رأس الشمرا-أوغاريت- جانب من التجارة الفينيقية المتعلقة بالأنسجة الملونة، والنص يظهر أن كميات الأنسجة الصوفية الملونة كانت تباع بأوزان قليلة، فقد قدرت الأوان بوحدة الشاقل Sicles والتالنت Talent، والنص يوضح لنا عملية بيع للأنسجة الملونة بالصباغ الأرجواني الأحمر والبنفسجي(1). **(أنظر ملحق النصوص رقم 1)**

ورد في النص بيع كميات من الأنسجة الملونة موزعة على عدة تجار، حيث قدرت أقل كمية بـ 100 شاقل وهذا ما يعادل 600 غ، كما رود بيع كمية قدرت بـ 200 شاقل أي ما يعادل 1200 غرام(2).

حسب النص المذكور كمية الصوف المصبوغ قدر وزنها بـ 2 كالنت و 600 شاغل وهذ ما يعادل حوالي 75 كيلوغرام و 600 غرام(3).

مما نستخلصه من النص المذكور أن الكميات التي كانت تباع من المنسوجات الملّونة كانت كميات قليلة خاصة وأنّها كانت موزعة على عدّة تجار(4).

لق أثبتت المصادر المدوّنة الفينيقية وغيرها على أن المنسوجات الملوّنة كانت ذات قيمة مادية، فقد كانت تدفع كضرائب عند الفينيقيين وهذا ما نستخلصه من نصوص رأس الشمرا – أوغاريت- فقد ذكر الأرجوان في عدّة مرّات أنه ضريبة. تقدم للحاكم أو المعبد عوضا عن المال(5)، وقد أصبح الأرجوان يعني الضريبة على وجه الإطلاق وهذا ما نستخلصه مما يلي:

1- Thureau Dangin, op, cit, F. p, 141.

2- Ibid, 140.

3- Ibid.

4- F. ThureauDangin, op, cit, p, 1411.

5- أنيس فريحة، ملاحم وأساطير أوغاريت، ص 596.

– أيها النهر، إن ابن داجون أسيرك سيحضر لك ضريبة أرجوانا كما تجلب الآلهة.

– أرجوان لك، وكما يقدم لك بنو القدس هدايا[1].

كما أكدت مصادر غير فينيقية على اعتبار الأرجوان ثروة ومادة ثمينة إذ كانت تدفع كجزية وهذا ما تؤكده الحوليات الآشورية، فلطالما توسع الآشوريين على حساب المدن الفينيقية وكانت تنتهي حملاتهم بدفع الجزية التي تضمنت في كثير من الأحيان الأنسجة الأرجوانية، التي ذكرت إلى جانب مواد ثمينة كالذهب، الفضة والعاج، فقد دونت في حوليات آشوربانيبال الثاني (883–859 ق،م) ما يلي: "... جبيت الجزية من ملوك الساحل من أهالي صور وصيدا وجبيل... وكروواد التي تقع في وسط البحر، ذهب وفضة ورصاص ونحاسا وآنية من برونز، وثيابا من صوف ملّون وثيابا من كتان..."[2].

2–أسباب ارتفاع ثمن الأنسجة الأرجوانية:

تعد الأنسجة الأرجوانية من السلع الثمينة التي تاجر بها الفينيقيون، فقد ذكرت في كثير من المصادر إلى جانب المواد الثمينة من المعادن وحتى اللالئ فقد ذكرها بلين "... لكن الألوان الصدفية والأرجوان هي كذلك بنات الترف التي تخصص لها قيمة تقريبا مماثلة لقيمة اللالئ..."[3].

وارتفاع ثمن الأنسجة الأرجوانية مرتبط أساسا بخصائص الصباغ الأرجواني التي نذكر أهمها مما يلي:

– الكمية التي كان يستخلصها الحرفي الفينيقي كانت قليلة جدا إذ لا تتعدى القطرة أو القطرتين من الصدفة الواحدة، فمن اجل الحصول على 1,5 غ من الصبغة الأرجوانية، يتطلب الأمر استخدام 12000 صدفة[4]، وقد سبق ذكر المراحل اليت تمر بها عملية

1– أنيس فريحة، ملاحم وأساطير أوغاريت، ص 596.

2– سباكينوموسكاتي، الحضارة الفينيقية، ص 40.

3– Pline, IX, LX.

4– J. Doumet, op.cit, p 18.

تحضير الصباغ، فالعملية تتطلب وقتا وجهدا ودقة للحصول في النهاية على كميات قليلة من المادة الصبغية[1].

فالآلاف من الأصداف كان تعطي كمية قد تكفي لصباغة ثوب واحد فقط[2].

– الخاصية الثانية التي تعد ميزة للأنسجة الأرجوانية وهي أن لونها لا يزول ولا يضعف حتى بعد مرور فترة طويلة من الزمن، وهذا ما تؤكده الدلائل التاريخية، فقد ذكر أن الاسكندر المقدوني الأكبر (323/356 ق.م) عندما دخل مدينة شوش وجد ملابس أرجوانية يعود تاريخها إلى 190 عاما.

لقد كانت لباس ملوك الفرس[3]، وبذلك يكون الصباغ الأرجواني من الأصبغة المقاومة لعوامل كثيرة، وقد أثبتت الدراسات والتجارب الحديثة ذلك، بالصباغ الأرجواني من الأصبغة التي لا تتأثر بمادة الكلور، ولا تتأثر بالمواد المؤكسدة[4].

المطلب الثالث: اهتمام القدماء باقتناء الأقمشة الأرجوانية:

1- العبرانيين:

كان العبرانيون يقدرون الأقمشة الأرجوانية فهي إحدى أهم السلع التي تحصلوا عليها عن طريق الفينيقيين، فقد كانوا يقدرون اللون الأرجواني بإعتباره رمز للسلطة الدينية، كما كانوا يعتبرونه لون الجلالة، وهو لون ثياب الكاهن ورد ذكر الأرجوان بشكل مستفيض في الكتاب المقدس، ففي سفر لوقا، ورد ما يلي: " وقال يسوع: كان رجل غني يلبس الأرجوان والثياب الفاخرة ويقيم الولائم كل يوم ...." [5].

1– G. Herm, op.cit, p, 99.

2– D.C.P.P., P, 361.

3– وليد الجادر، المرجع السابق، ص، 199.

4– دائرة المعارف، المرجع السابق، ص 69.

5 – الكتاب المقدس، العهد القديم، لوقا، 16 19.

مما سبق ذكره نستخلص أن الثياب الأرجوانية كانت غالية الثمن فقد كانت من مقتنيات الأثرياء الذين يرتدونها.

كما ورد في الكتاب المقدس أن الثياب الأرجوانية كانت لباس ذوي المكانة الرفيعة من القوم: " ونادى بصوت شديد أن يدخل المجوس والمنجمون والحكماء فقال الملك لحكماء بابل كل من يقرأ هذه الكتابة وبين لي تفسيرها يلبس الأرجوان ويتقلد طوق ذهب في عنقه ويحتل المرتبة الثالثة في المملكة " [1].

ذكرت كذلك الأقمشة الأرجوانية في الكتاب المقدس إلى جانب المعادن الثمينة وبعض المواد الأخرى الثمينة: " وكانت المرأة تلبس الأرجوان والقرمز وتتحلى بالذهب والحجارة الكريمة واللؤلؤ ...." [2].

وفي موضع أخر ذكرت الأقمشة الأرجوانية إلى جانب مواد ثمينة:

" .... بضاعة من ذهب وفضة وحجر كريم ولؤلؤ وكتان وأرجوان وحرير وقرمز وأنواع الطيوب ومصنوعات من العاج والخشب الثمين ونحاس وحديد ورخام ...." [3].

2- الإغريق:

كان الإغريق من زبائن الفينيقيين الذين إهتموا بإقتناء الأقمشة الأرجوانية رغم ثمنها الباهض [4]، فبغض النظر عن نوعية الأقمشة التي تاجر بها الفينيقيون كان الإغريق يقدرون اللوان الأرجواني، فهو لون النشوة ولون الخمر، وكان لون رداء آهلة الخمر. ديو نيسوس **Dionnysos** " [5].

---

[1] – الكتاب المقدس، دانيال، 5 7.

[2] – نفسه، رؤيا يوحنا، 7 4.

[3] – نفسه، القضاة، 8 26.

[4] – ZVI, Herman, op.cit, P 224

[5] – وليد الجادر، المرجع السابق، ص 183.

يمكن أن نستخلص مكانة الأقمشة الأرجوانية وتقدير الإغريق لها من خلال بعض المصادر، التي من أهمها إلياذة هوميروس، بإعتبار هذا الأخير من معاصري الفينيقيين في فترة إزدهار وتوسع نشاطهم التجاري البحري، فحسب هوميروس الأقمشة الأرجوانية.

من الهدايا الثمينة التي يقدرها الإغريق وهذا ما نستخلصه مما يلي: " ...تبادلوا الهدايا الثمينة فإهتدى أونيس إلى تيلروفون نطاق وشيا بزركشة أرجوانية كما إهتدى بليرفون إلى أونيس كأسا من الذهب" [1].

كان الإغريق يقدرون الأنسجة الأرجوانية فجعلوها في مكانة المعادن الثمينة كالذهب، و جعلوها من الهدايا النفيسة. كما ورد ذكر الأنسجة الأرجوانية في الإلياذة. في موضوع آخر، "... ونشهد الآن، لكي يقول الطرواد والإغريق لقد إجتمع هكطور وإياس عدوين ثم إفترقا صديقين وأعطى هكطور إياس سيفا رصع بمسامير من فضة ومعه الغمد والحزام وأعطى هكطور إياس ترسا ملون بالأرجوان ...." [2].

3-المصريين:

تعد مصر من أهم المناطق التي كانت لها علاقات تجارية مع الفينيقيين وقد كان لديهم اهتمام باقتناء الأقمشة الأرجوانية، نظرا لارتباط اللون الأرجواني، بمعتقدات دينية، فالمصريون القدماء كانوا يفضلون اللون الأحمر الذي يُعد رمزًا للإله شاه[3].
كان النسيج الأرجواني من مقتنيات الأغنياء، فقد كان يلف به الموتى في عهد رمسيس الثاني (1234 – 1300 ق.م)[4].

---

[1] – هوميروس، " **الإلياذة، النشيد السابع** "، ص ص 92-93.

[2] – نفسه، **النشيد التاسع**، ص 109.

[3]– وليد الجادر، المرجع السابق، ص– ص 182 – 183.

[4]– دائرة المعارف، المجلد 9، ص 86.

أما كيلوباترا (30 ق م – 69م)، فقد كانت شغوفة باقتناء الأنسجة الأرجوانية، واتخذت منها شراعا لسفينتها في معركة أكتيوم[1]، كما اتخذتها غطاءً لمقاعدها[2].

المبحث الثالث: تجارة العبيد.

تعد المعطيات المتعلقة بالعبودية قليلة، كما هو الحال بالنسبة لوضعية العبيد في المجتمع الفينيقي[3]، فقد كان الأخير كغيره في المجتمعات بالحضارات القديمة؛ التي تميزت بالطبقية، وأدنى طبقة يشكلها العبيد حيث كان لهم دور هام والمتمثل أساسا في خدمة الطبقات الدنيا في شتى المجالات.

لقد عرف التجار الفينيقيون أنهم تاجروا بالعبيد[4] فقد نقلوهم في سفنهم التجارية كسلعة بشرية إن صحّ التعبير، وقد شكلت طبقة العبيد في المجتمع الفينيقي عدد كبير كان له دور هام[5]، وهذا ما نستخلصه مما ورد في سفر الملوك الأول: "... وأرسل حيرام ملك صور عبيده إلى سلمان..."[6]، فقد أرسل حيرام الأول إلى سليمان ملك العبرانيين، عددا من عبيده لبناء الهيكل وهذا ما قد يدل على عددهم الكبير، وهذا ما يؤكده كذلك جوستان Justin، حيث ذكر أن العبيد شكلوا جزءا معتبرا من سكان مدينة صور وهذا ما كان يحمل على خطر قيامهم بعصيان أو ثورة[7].

---

[1] – خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 210.

[2] – دائرة المعارف، المجلد 9، ص 86.

[3] – D.C.P.P., p 157.

[4] – أحمد حامدة، **التجارة الكنعانية في البحر المتوسط**، ص 69.

[5] – D.C.P.P., P 157.

[6] – الكتاب المقدس، سفر الملوك الأول، 5 1.

[7] – D.C.P.P., P 157.

كانت حاجة الفينيقيين للعبيد كبيرة، فقد شكلوا فرق التجديف[1] على سفنهم، كان لهم دور هام في أعمال الزراعة[2] ونشاطات أخرى كالصناعة وهذا ما تؤكده أسفار العهد القديم؛ فالعبيد الذين أرسلوا من طرف ميرام الأول كانوا مختصين ومهرة في صناعات مختلفة.

وقد مارس الفينيقيون تجارة العبيد حسبما دلت عليه المصادر، بصفة نظامية، كما مارسوها بصفة غير نظامية.

المطلب الأول: تجارة العبيد النظامية:

مارس التجار الفينيقيون تجارة العبيد بصفة نظامية، والتي أسهمت بدور كبير في ثراء مدنهم حسب آراء بعض الباحثين.

تحصل التجار الفينيقيين على العبيد عن طريق شركائهم في هذه التجارة، وهذا ما نستدل عليه من خلال ما ذكر في بعض أسفار العهد القديم، فقد كانت بلاد الإغريق أهم طرف في هذه التجارة، فقد ذكر حزقيال من خلال رثائه لمدينة صور تجارتها بالعبيد: "... ياوان*وتوبال وما شك هم تجارتك بنفوس الناس وآنية النحاس أقاموا تجارتك..."[3].

لقد كانت الحروب المصدر الرئيسي حيث كان المختصون في شراء العبيد من النخاسين يتواجدون دائما على مقرة من مواقع الحروب[4]، وهم مجهزون بالأموال والغلال من أجل شراء العبيد[5]، بين أسرى الحروب، فالأسرى كانوا المصدر الأساسي للعبيد، هذا إضافة ما كان يسطو عليه النخاسين من قبائل، وأقوام وهذا ما نستخلصه من بعض أسفار العهد

---

[1]– كارلهاينز برنهردت، المرجع السابق، ص 130.

[2] – السيد غلاب، المرجع السابق، ص 445.

*-ياوان، تسمية بلاد الإغريق حسب أسفار العهد القديم.

[3]– الكتاب المقدس، العهد القديم، حزقيال، 27 13.

[4]– السيد غلاب، المرجع السابق، ص 130.

[5]– كارلهاينز برنهردت، المرجع السابق، ص 130.

القديم: "... من أجل ذنوب صور الثلاثة والأربعة لا ارجع عنه، لأنهم سلموا سيالي كاملا إلى آدم، ولم يذكروا عهد الأخوة فأرسل نارًا على سور صور فتأكل قصورها"[1].

ونفس الفكرة نعيدها في سفر يوئيل: "... وماذا أنتن يا صور وصيون وجميع دائرة فلسطين؟ هل تكافئونني عن العمل، أم هل تصنعون بي شيئا سريعا بالعجل، أرد عملكم على رؤوسكم لأنكم أخذتم فضتي وذهبي، وأدخلتم نفائسي الجيدة إلى هياكلكم، وبعتم بني يهودا وبني آورشليم لبني الياوانين لكي تبعدوهم من تخومهم، ها أنا ذا أنهضهم من الموضع الذي بعتموهم إليه، وأرد عملكم على رؤوسكم وأبيع بنيكم وبناتكم بيد بني يهوذا ليبيعوكم للسائبين لأمة بعيدة لأن الرب قد تكلم".[2]

حسب أسفار العهد القديم كان احتجاز الفينيقيين يبيعون العبيد إلى بلاد الإغريق –ياوان في أسفار العهد القديم– ليس فقط من أسرى الحروب لكن بالدرجة الأولى من السبي.

بالنسبة لثمن العبيد كان يتراوح ما بين 14–20 شاقل[3]، وهذا الثمن قد يختلف بحسب الخصائص المميزة للعبد، فالنخاسون كانوا يقومون بتربية العبيد وتعليمهم المهن المختلفة كالصناعة، لذلك كان يختلف الثمن حسب المهارة اليدوية، الصحية، القوة، والجمال والعمل، وقد تخصص الفينيقيون في تجارة العبيد المهرة في مجال الزراعة خاصة الحدائق، وفي قطع الأخشاب[4].

فقد كان العبيد الفينيقيون ماهرون في قطع الأخشاب "... والان فأمران يقطعوا لي آرزا من لبينان، ويكون عبيدي مع عبيدك وأجرة عبيدك أعطيك إيّاها حسب كلّ ما تقول، لأنّك تعلم أنّه ليس بيننا أحد يعرف قطع الخشب مثل الصيدونيين"[5].

1– الكتاب المقدس، العهد القديم، عاموس، 9 1.

2– نفسه، 83.

3– D.C.P.P., p 360.

4– السيد غلاب، المرجع الساق، ص 445.

5– الكتاب المقدس، العهد القديم، الملوك الأول، 5 6.

برع كذلك العبيد الذين تاجر بهم الفينيقيون في النسيج والصناعة بصفة عامة وهذا ما سيجعلهم يقومون بنقل المؤثرات الحضارية.

المطلب الثاني: تجارة العبيد غير النظامية:

حسب بعض المصادر قام الفينيقيون ببيع أشخاص أحرار، هذا النوع من البيع يعد تجارة غير نظامية فهو بيع ظرفي، وهذا استنادًا إلى ما ذكره هيرودوت وهوميروس، وربما هذا النوع من البيع لم يتكرر كثيرا، وإلا كان له تأثير سلبي على تجارة الفينيقيين.

حسبما ذكره هيرودوت في بداية مؤلفه قام البحارة الفينيقيون باختطاف إيو IO ابنة ملك أرجوس[1]، فعند نزول التجار الفينيقين في أرجوس عرضوا بضائعهم ومكثوا ستة او خمسة أيام وفي نهاية هذه المدة باعوا كل ما أحضروه معهم خلال مدة إقامتهم، حضر إلى الشاطئ مجموعة من النساء من بينهن إيو IO ابنة الملك إيناخوس، وإذ هن منهمكات في مشترياتهن خطف التجار الفينيقيون مجموعة منهن من بينهن إيو IO وتوجهوا بالسفينة إلى مصر رغم أن الفينيقيين ينكرون قيامهم بهذا الاختطاف حسبما ورد في النص.

تكرر ذكر اختطاف أشخاص أحرار وبيعهم وهذا ما نستخلصه مما ذكره هيرودوت: "وهذا ما يذكره المصريون بشأن الهاتفين أو مهبط الوحيين الذي يوجد أحدهما في بلاد اليونان والآخر في ليبيا، يحكي كهنة زيوس طيبة أن الفينيقيين خطفوا امرأتين مقدستين من طيبة، وعلموا أن إحداهما بيعت في ليبيا والأخرى في اليونان، ويضيفون أن لهاتين المرأتين يعود الفضل في إسناد الوحي لدى الشعبين اليوناني والليبي، ولما سألتهم، كيف حصلوا على هاته المعلومات الدقيقة التي ذكروها، كان ردهم يتمثل في أنّهم قاموا بتقص واسع قصد العثور على هاتين المرأتين، إلا أنّهم لم يتمكنوا من العثور عليهما، ولكنّهم أخيرا ومع ذلك، تمكنوا من الحصول على المعلومات التي ذكروها لي"[2].

---

1 - Herodote, I, I.

2 - Ibid, II, 54.

قصة مشابهة ذكرها هوميروس في الأوديسة، وهي اختطافهم لـ: إيمايوس بمساعدة جارية صيداوية كانت ترعاه في قصر والده[1].

المطلب الثالث: أهمية تجارة العبيد.

كانت لتجارة العبيد أهميتها الخاصة في المجتمعات القديمة نظرا للدور الذي يقوم به العبيد من مختلف الأعمال التي كانوا يمارسونها في المنازل والمزارع والحرف، فقد تاجر الفينقيون كما سبق الذكر بالعبيد المتخصصين في الصناعات الحرفية والزراعية[2]، وقطع الأخشاب، فإتقان العبد لحرفة معينة يعد مقياس في تحديد ثمنه، والدور الهام الذي قام به الفينيقيون في هذا المجال هو نقلهم لمؤثرات حضارية وأفكار بطريقة مباشرة عن طريق العبيد إلى مناطق مختلفة[3].

المبحث الرابع: المنتوجات الغذائية:

تنوعت المنتوجات الغذائية التي تاجر بها الفينيقيون، منها المحاصيل الزراعية التي كانت تنتج في الساحل الفينيقي، أو مناطق أخرى قريبة، إضافة إلى منتوجات أخرى كالعسل والسمك المجفف.

المطلب الأول: زيت الزيتون:

يعتبر زيت الزيتون من أهم المنتوجات الزراعية الفينيقية، التي إرتبط إنتاجها بالزراعة والصناعة والتجارة على حد سواء، فقد أنتج الفينيقيون أفضل أنواع الزيت في منطقة البحر المتوسط [4]، بإعتبار أن الساحل الفينيقي إقليم يصلح لزراعة أشهر الزيتون التي تتطلب

---

[1]- هوميروس، **الأوديسة**، ص، 152.

[2]- Diodore de Scicile, XX, 69, 2 – 13, 2.

[3]- السيد غلاب، المرجع السابق، ص 445.

[4]- فيليب حتى، " **تاريخ لبنان** "، ص 41.

شروط طبيعية توفرت في المنطقة [1]، وما ساهم في زيادة إنتاج هذه المادة الغذائية حاجة القدماء التي تفتقر أقاليمهم لهذا النوع من الأشجار خاصة مصر [2].

كان لزيت الزيتون الفينيقي مكنته الخاصة المرتبطة بنوعيته الجيدة، فقد أنتج الفينيقيون أفضل أنواع زيت الزيتون في إقليم البحر المتوسط، وهذا يعود إلى الطريقة التي استخدمها الفينيقيون للحصول على الزيت بإعتمادهم على طريقة فصل اللب عن النواة دون كسرها، حيث تحصلوا على زيت حلو وصاف، يختلف عن الزيت المنتوج في بلاد الإغريق والرومان لاحقا الذين اعمدوا على طرق مختلفة لعصر الزيت [3].

1-القيمة المادية لزيت الزيتون:

تعتبر زيت الزيتون عند القدماء مادة امة من حيث تعدد استخداماتها، كما أنها مادة ثمينة إذ كانت تدخل ضمن المواد المقدمة مجزية، وهذا ما يدل على أهميتها وتقدير ثمنها[4]، كما أنها كانت تدخل ضمن الصفقات التي كان يفقدها الملوك والحكام، فالفينيقيون أنفسهم الذين كانوا ينتجون ويبيعون الزيت تحصلوا عليه من الأقاليم المجاورة وهذا وفقا لما ورد في أسفار العهد القديم على إثر الاتفاق الذي تم بين حيرام ملك صور وسليمان ملك العبرانيين حسبما ورد في سفر الملوك الأول: ".... وعشرين كلَّ زيت رَضَّ، هكذا كان سليمان يعطي حيرام سنة فسنة، والرَّب أعطى سليمان حكمة كما كلَّمه. وكان صلح بين حيرام وسليمان، وقطعا كلاهما عهدًا " [5].

إستنادا إلى ما سبق ذكره تحصل الفينيقيون على كميات كبيرة من الزيت فقد تحصلوا على عشرين كلَّ كل سنة والكُلَّ يعادل 230 ليتر، ويكون بذلك قد تحصلوا على 4600 لترا وهي كمية وافرة تدل على وفرة إنتاج الزيت في إقليم الساحل الفينيقي وما يجاوره، وهذا ما قد يؤكد

---

[1] - فريدريك معتوق، المرجع السابق، ص 122.
[2] - السد غلاب، المرجع السابق، ص 434.
[3] - فريدريك معتوق، نفسه.
[4] - السيد غلاب، نفسه، ص 435
[5] - الكتاب المقدس، العهد القديم، ملوك الأول 5 11.12.

على أن الفينيقيين قد نقلوا كميات كبيرة على سفنهم. وإن كانت الكمية التي تحصلوا عليها عن طريق الصفقة بين حيرام وسليمان كمية إستهلاكه كانت كبيرة عند القدماء.

بالإضافة إلى ما سبق ذكره الزيت الذي تحصل عليه الفينيقيون كان مقابل أخشاب الأرز والسرو [(1)]، التي كانت لها قيمتها المادية، وهذا ما يدل كذلك على القيمة المادية لزيت الزيتون، فالمقايضة قديما كانت تتم وفق سلعة بسلعة لها نفس القيمة، وإذا قارن زيت الزيتون بالنبيذ فقيمتها المادية تضاعفه مرتين وهذا بسبب تعدد مجالات استعمالها، كما أن الزيت تتوفر في أقاليم دون غيرها [(2)].

2-إنتشار تجارة الزيت:

إنتشرت تجارة زيت الزيتون إلى مناطق كثيرة في الحوض الشرقي والغربي للبحر المتوسط، فقد كانت فينقيا بلد منتج ومصدر ومستورد للزيت في نفس الوقت فلم يتاجر الفينيقيون بالزيت المنتوج في إقليم الساحل الفينيقي فقط، وهذا مرتبط أساسا بعملية المقايضة وأسباب أخرى سأتي على ذكرها.

تعتبر مصر أهم المناطق التي تصدرت قائمة المستوردين لزيت الزيتون الفينيقي بالحوض الشرقي للبحر المتوسط [(3)] بإعتبار أن إقليم مصر يفتقر إلى أشجار الزيتون فقد دلت المصادر على معرفتهم لهذه الشجرة [(4)] لكن إنتاجهم لزيت الزيتون لا يكاد يذكر. لذلك كانت تتحصل عليه عن طريق التجارة مع الفينيقيين[(5)]. كما توسعت منطقة تجارته إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط وهذا الإنتشار مرتبط بالتوسع الفينيقي والإغريقي في المنطقة[(6)]. وقد إختلفت الآراء حول تجارة الفينيقيين بالزيت في هذه المنطقة، فمعرفة سكن شمال إفريقيا لزيت الزيتون إحتمال وارد قبل قدوم الفينيقيين، فبعض المصادر تؤكد أنهم

---

[1] - الكتاب المقدس، العهد القديم، ملوك الأول ، ص 7-12.

[2] - عيد مرعي، " **التجارة بين ماري و يمحاض في القرن الثامن عشر قبل الميلاد** "، (مجلة الدراسات التاريخية، العددان 67-68، كانون الثاني– حزيران 1999، دمشق)، ص 07.

[3] - السيد غلاب، المرجع السابق، ص 434.

[4] - Camps- Faber (H), L olivier et l'Huile dans L'Afrique Romaine, **Revue des Études Anciennes**. Tome 57, 1955, P 11

[5] - السيد غلاب، نفسه.

[6] - نفسه.

عرفوا طرق إستخلاص الزيت من الأشجار البرية. فقد ذكر بلين الأقدم Pline L'ancien وجود أشجار الزيتون في المنطقة[1]، كما أكدت المصادر الأثرية ذلك المتمثلة في الرسوم الصخرية للطاسيلي. لكن الفضل كان للفينيقيين في نقل معارفهم في مجال زراعة الزيتون وطرق العناية به وطرق إستخلاص الزيت، وهذا ما جعلهم يقومون بتصدير الزيت في هذه المنطقة- شمال إفريقيا وشبه الجزيرة الأيبيرية- لنقص معرفة سكانها بطرق إنتاج الزيت وبإعتبارها منطقة متوسطية. فنمو أشجار الزيتون كانت ناجحة لملائمة إقليمها.

بفضل التجارة التي قام بها الفينيقيون في الحوض الغربي للبحر المتوسط أنشأوا منطقة إنتاج جديدة، وفتحوا لها أسواقها جديدة فأصبح الطلب عليها في هذه المنطقة يتطلب من الفينيقيين إنتاجها وتصديرها في نفس المنطقة، فمن المحمل أنهم قاموا بتصدير الزيت من منطقة طنجة حاليا إلى شبه الجزيرة الأيبيرية [2].

3- طريقة نقل الزيت:

اعتمد التجار الفينيقيين في عملية نقل الزيت على الخوابي الكبيرة الحجم، المقدرة سعتها بـ 18 لترا، وقد خصصت لها مواضع في السفن التجارية، فقد قام الفينيقيون بتثبيت الخوابي في فجوات حيث توضع بشكل لا يسمح بتحركها داخل السفينة، وهذا ما يدل على أن التجار الفينيقيين كانوا يقومون بنقل السلع وفق طرق خاصة، حيث تضمن وصول سلعهم في حالة جيدة خاصة إذ كانت من السوائل كالزيت والنبيذ [3].

4- أهمية زيت الزيتون عند القدماء:

دلت النصوص على الأهمية المادية لزيت الزيتون، كما دلت على أهميتها من حيث تعدد مجالات استخدامها.

يعتبر زيت الزيتون مادة غذائية إعتمد عليها القدماء، وقد دلت البقايا الأثرية في عدة مناطق من الساحل الفينيقي وخارجه على وجود خوابي في البيوت كانت مخصصة لحفظ الزيت

---

1 - Pline, II 03

2 - محمد رضوان العزيفي، " **السلع المتبادلة بين الفينيقيين والمغاربة القدماء** "، ص ص 229-230.

3 - فريدريك معتوق، المرجع السابق، ص 121.

كمؤونة في البيت، وهذا ما أكدته الآثار المكتشفة في أوغاريت، صور، صيدا، جبيل، وخارج فينقيا في سردينيا وموتيا [1].

بالنسبة للفينيقيين استخدم الزيت في مجالات أخرى، فحسبما ورد في نصوص رأس الشمرا كان الزيت ضمن المواد المستخدمة في الطقوس الدينية والاحتفالات، فقد ذكر أن الزيت تقدمة سلام. " في التراب محبة واسكبي سلاما في جوف الأرض وزيدي سلاما " [2].

كما كان الزيت مادة يدهن به بعض أعضاء الجسم[3]، فقد كان مادة مقدسة نجدها في المعابد[4]، وكثيرة هي طقوس القدماء التي استخدمت فيها زيت الزيت كزيت مقدس، وهذا ما نجده عند العبرانيين، فقد كانوا يمسحون رؤوس ملوكهم عند تعيننهم نيابة عن الرب: " فأخذ صموئيل قارورة الزيت وصبها على رأس شاؤول وقبله وقال: "الرب مسحك رئيسا على شعبه إسرائيل" [5].

كما كان لها إستخدامات متعددة في المجال الطبي، فقد إستخدم لمعالجة بعض الأمراض خاصة الجلدية، فقد كانت تضاف له بعض الزيوت كزيت السمسم واللوز والكبريت وتستخدم كمرهم[6]. وقد تعدد ذكر الزيت كدواء في أسفار العهد القديم، فقد كان دواء لمعالجة الجراح: " من أسفل القديمين إلى قمة الرأس لا صحة فيكم بل جروح و رضوض لا تضمد وقروح طرية لا تفقأ ولا تلين بزيت" [7].

كما كانت شفاءًا للمرضى: " ... ودهنوا بالزيت، كثيرا منه المرضى فشفوهم [8].

استخدمت زيت الزيتون، كمصدر للطاقة، فقد كانت المصابيح الزيتية واسعة الاستعمال عند القدماء. وهذا ما دلت عليه المصادر الأكثرية المتمثلة في المصابيح الفخارية

---

[1] - فريدريك معتوق، ص 121.
[2] - نصوص رأس الشمرا، ملحمة البعل وعناة، النص 7، العمود6، السطر 1.
[3] - السيد غلاب، المرجع السابق، ص 434.
[4] - فريدريك معتوق، المرجع السابق، ص 124.
[5] - الكتاب لمقدس، المعهد القديم، صموئيل، 10 1.
[6] - السيد غلاب، نفسه.
[7] - الكتاب المقدس، العهد القديم، أشعيا، 1 6.
[8] - الكتاب المقدس، العهد الجديد، مرقس، 6 13.

والخزفية المصنوعة بشكل صحن ذو منقار. وقد وجد هذا النوع من المصابيح في مناطق كثيرة، كما أكدت النصوص استخدام الزيت في مصابيح الإنارة، فقد ورد في أسفار العهد القديم ذلك، " وزيت للإنارة....." [1] وفي نص آخر: " فحملت الجاهلات مصابيحهن وما أخذن معهن زيت " [2].

المبحث الخامس: النبيذ

إرتبطت تجارة النبيذ بزراعة الكروم المزدهرة في إقليم الساحل الفينيقي، فقد كان نبيذ العنب سائدا في شرق وغرب البحر المتوسط إلى جانب أنواع أخرى بحسب الأقاليم، فنجد نبيذ الجعة في مصر[3] ونبيذ التمر في بلاد الرافدين [4] فمادة النبيذ مادة إستهلاكية بالدرجة الأولى، ولها أهميتها الخاصة في الطقوس الدينية وإن إختلفت الأنواع والأذواق[5] فقد بقي نبيذ العنب الفنيقي مطلوب وتجارته مزدهرة .

لقد كانت السفن التجارية الفينيقية تنقل خوابي النبيذ من إقليم إلى آخر، فلم يكن نبيذ. وجهة أو طريق تجاري محدد مثل باقي المنتوجات التي تاجر بها الفينيقيون فمثلا أخشاب الأرز كانت في كثير من الأحيان موجهة لمصر لافتقارها لهذه الثروة وغيرها من المنتوجات التي تعد قليلة في بعض الأقاليم كالقمح والزيت[6].

المطلب الأول: أنواع النبيذ الفينيقي:

أنتج الفينيقيون نبيذ العنب وتاجروا به في مختلف المناطق التي وصلوا إليها، واستغلوا في ذلك إختلاف الأمزجة، هذه الخاصية كان لها دور أساسي في عملية تفعيل وتنشيط تجارة النبيذ بين الأقاليم المختلفة [7].

---

[1] ـ الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الخروج، 625.
[2] ـ نفسه، العهد الجديد، متى 3 25
[3] ـ السيد غلاب، المرجع السابق، ص 435.
[4] Georges , Contenau, **La vie quotidienne à Babylone et en Assyrie,** (Hachette, 1950), P 78-79.-
[5] Brun (J.P), « **L e Vin et L' huile dans la méditerranée antique** », (Paris, 2003), P P 93-95.-
[6] ـ السيد غلاب، نفسه.
[7] ـ نفسه

تعددت أنواع النبيذ الفينيقي، وهذا ما نستدل عليه من التسميات المختلفة التي ذكر بها في بعض المصادر أو نحصي بالذكر المصادر الفينيقية وهذا ما نستخلصه من نصوص رأس الشمرا فيما يلي:

لملوكية هاهو ذا اليوم الذي يسكب ثمك

خمرة حلوة خمر سرنيم (خمر الأمراء) خمر من بلد

غلل(عائل) خمر ممتازة من أعالي قمم [1].

ذكر النبيذ الفينيقي بأسماء مختلفة، منها نبيذ ثمك وقد يكون ثمك إسم مكان اتخذ النبيذ إسمه كونه المكان الذي أنتج فيه، أو قد يكون ثمك صفة تفي المكان الرفيع وبالتالي يكو نوع هذا النبيذ المذكور من النوعية الرفيعة وهذا ما قد يدلنا على وجود أنواع مختلفة للنبيذ الفينيقي بحسب جودتها.

كما ذكر نبيذ سرنيم والمقصود به خمر الأمراء [2] فربما كانت أنواع للملوك والأمراء من النبيذ ذو النوعية الرفيعة.

وهذا ما نجده في الحوض الغربي للبحر المتوسط، فقد أنتج القرطاجيون أنواع من النبيذ من العنب المجفف [*]، وقد تحدث عنه Columelle نقلا عن ماغون،وقد لا تختلف هذه النوعية الرفيعة كما كان موجود في فينيقيا بإعتبار القرطاجيين نقلوا معارف وتقنيات أصولهم الفينيقيين.

كما ذكر النبيذ المنتوج في فينيقيا، بإسم نبيذ لبنان فقد امتدحت أسفار العهد القديم نبيذ لبنان: "... يرجعون ويسكنون في ظلي فيحيون كما في جنة يزهرون كالكرم أو يكون صيتهم كخمر لبنان " [3].

---

1 - أنيس فريحة، " **نصوص رأس الشمرا، الرفايم أو الأخيلة والأشباح "**، الشقفة 3، العمود، 2، السطر، 17-19.

2 - أنيس فريحة، " **نصوص رأس الشمرا** "، ص 577.

* - إشتهر القرطاجيون بإنتاج نبيذ الباسوم Bassum. Gsell S, H, A, A, N, IV à P 24

3 - الكتاب المقدس، العهد القديم، هوشع 14، 7.

نبيذ لبنان كان ذو شهرة، واتخذ هذا الإسم ربما نسبة لمناطق زراعة الكروم في سفوح جبال لبنان. وقد يصبح هذا المبدأ في التنمية حسب مكان الزراعة والإنتاج على نبيذ حلوين المذكور في أسفار العهد القديم.

فنبيذ حلوين كان ضمن السلع التي نقلها التجار الفينيقيون من ميناء مدينة صور إلى مناطق أخرى. حسبما ذكره حزقيال: " دمشق تاجرتك بكثرة صنائعك وكثرة كل غنًى، بخمر حلوين والصوف الأبيض"[1].

لم يكتف التجار الفينيقيين بنقل النبيذ المنتوج في إقليم الساحل الفينيقي والأقاليم المجاورة، فقد تاجروا بنبيذ المناطق التي توسعوا فيها بالحوض الغربي للمتوسط وهذا ما نستخلصه من نص رحلة سيلاكس فقد ذكر ما يلي: "..... ويأكل هؤلاء الأثيوبيين اللحم ويشربون الحليب، ويصنعون خميرا كبيرا من كرماتهم يصدره الفينيقيون "[2].

ما يمكن أن نستخلصه من النص المذكور، كان الفينيقيون يصدرون النبيذ من بلاد المغرب، وهذا ما قد يدل أن السفن التجارية الفينيقية لم تكن في معظم الأحيان تنقل النبيذ من الساحل الفينيقي إلى الحوض الغربي للمتوسط. كما أنه من المحتمل أنهم لم ينقلوا النبيذ من الحوض الغربي للمتوسط لفينيقيا. فمن المحتمل أنهم نقلوه إلى مناطق قريبة في شبه الجزيرة الأيبيرية أو محطاتهم التجارية الموزعة في المنطقة [3].

المطلب الثاني: طريقة نقل النبيذ:

نقل التجار الفينيقيين النبيذ في خوابي، خصصت لها سفن تجارية وهذا حسبما كان شأنها عند حضارات مجاورة [4]، وقد أكدت الأبحاث الأثرية ذلك عند الفينيقيين. فقد إكتشفت سنة 1999 بالقرب من الشاطئ على بعد 45 كيلومتر من مدينة عسقلان، حطام سفينتين، قدر

[1] - الكتاب المقدس، العهد القديم، حزقيال، 27 8.

[2] - محمد رضوان الفريفي، " **السلع المتبادلة بين الفينيقيين والمغاربة القدماء** "، ص 228.

[3] - نفسه.

[4] - عيد مرعي، المرجع السابق، ص 07.

طولهما بـ 14 مترن، وحدد طاقم السفينة ب: أثنى عشر بحار، وعلى الأرجح أن السفينتين قد تعرضتا لخطر ما، تسبب في غرقهما

وقد تبين أن حمولة السفينتين كانت من النبيذ، وقد أوردت الباحثة ماريا أوبي Maria Engenia Aubet وصفا لما كانت تحمله السفينتين فيما يلي:

" أما حمولة السفيننتين فكانت من النبيذ حصرا، حيث تبين أن خوابي النبيذ الـ 385 التي وجدت على متن إحدى سفينتي عسقلان. إضافة إلى 396 خابية في السفينة الثانية، تشكل كمية كبيرة من النبيذ، خصوصا لو أخذنا بالإعتبار كل خابية كانت تحوي في المتوسط العام 17.8 لترا، وتزن مملؤة، ما يقارب 24.68 كيلو غرام، ويبدؤون هذه الشحنة لم يكن هدفها التوزيع على مرافئ عدة على خط السير المتبع، لا بل إن الطابع المتجانس للبضائع المشحونة يرجِّح وجود طلب زبون كبير أجرى الارتباط به عبر عقد مسبق " [1].

يمكن أن نستخلص من النص أعلاه ما يلي:

*- اتخذ الفينيقيون سفن تجارية خاصة بنقل المواد السائلة كالنبيذ .

وهذا ما كان يتطلب تجهيز السفينة بفجوات لتثبت الخوابي، تفاديا للأضرار التي قد تلحق بالشحنة من المواد السائلة. سبب حركة الأمواج.

*- حمولة السفينة الواحدة كانت كبيرة، إذ تقدمت ثلاث مئة خابية.

وهذا العدد الكبير يشير إلى الكميات الوافرة التي نقلها التجار الفينيقيين وهذا يطرح التساؤل إن كانت هذه الكمية انتجت في فينقيا أو كانت نبيذ الأقاليم المجاورة، فإن كانت نبيذا فينقيا، فهذا يدل على إزدهار صناعة النبيذ الموجهة للتجارة ودليل على وفرة إنتاج الكروم، وفي حالة أخرى إن كان النبيذ من الأقاليم المجاورة فهذا يدل على وجود ربما شركاء تعامل معهم الفينيقيون وهذا ما قد يؤكد ما ورد في بعض النصوص التي ذكرت ذلك.

1 - Maria Engenia Aubet, **« Les phéniciennes dans le Bassin Méditerranéen »**, P 46

*– الرأي الذي طرح في النص وهو إتجاه السفينتين فأني كانت الوجهة المقصودة، قريبة أو بعيدة. وهل كانت موجهة لزبون واحد فقد عرف عن التجار الفينيقيين أنهم نقلوا سلع ومنتوجات مختلفة على متن سفنهم وهذا ما تشهد وتؤكد عليه المصادر المادية.

وإن صح الرأي فإن الشحنة كانت موجهة لزبون واحد فهذا ربما يؤكد وجود فعلا إتفاق مسبق، كما يرجع أنها كانت ستوزع على عدة محطات.

وهذه الطريقة في التعامل التجاري قد توضح لنا قيمة النبيذ بمقارنتها مع منتوجات أخرى، فالزيت تضاعف قيمتها مرتين قيمة النبيذ، أما مقارنة بالشعير. فالنبيذ يضاعفه حوالي عشر مرات، وهذا إستنادا لأسعار النبيذ في منطقة ماري (1).

المبحث الخامس: الأسماك المجففة وصلصة القاروم:

مارس الفينيقيون حرفة الصيد البحري على نطاق واسع في البحر المتوسط. فقد توجه الفينيقيون لصيد الأسماك بقواربهم البسيطة لسد حاجياتهم الغذائية. ومع تطور صناعة السفن وممارستهم للملاحة البحرية، توسع نطاق ممارستهم لحرفة الصيد فقد توجهوا للحوض الغربي للمتوسط بغرض التجارة والبحث عن المواد الخام وحتى صيد الأسماك وأقاموا معامل لتجفيف الأسماك.

المطلب الأول: الأسماك المجففة:

إهتم الفينيقيون بحرفة تجفيف الأسماك حيثما توفرت لهم الثروة السمكية، فقد إصطادوا أنواع مختلفة خاصة في الحوض الغربي للبحر المتوسط، حيث توفرت أنواع كثيرة، مثل: السردين والبونيط، بالقرب من سواحل سردينيا والأنشوبة **Les Anchois** ، الإسقمري **Maquereau**، سمك العقرب **Rascasse** (2) وخاصة التونة التي توفرت بكثرة بالقرب من سواحل قادس بشبه الجزيرة الأيبيرية (3).

[1] - عيد مرعي، المرجع السابق، ص 07.

[2] – جان مازيل، المرجع السابق، ص 120.

[3] – محمود شاكر، المرجع السابق، ص 238.

دلت البقايا الأثرية على قيام الفينيقيين بحرفة تجفيف الأسماك في مواقع كثيرة في الحوض الغربي للمتوسط حيث عثر الأحواض والأواني المخصصة لتعبئة الأسماك، كما وجد بقايا للملاحات التي رجح الباحثون فترة إستغلالها خلال التواجد الفينيقي في المنطقة [1] هذه المواقع تعد مكان معامل تجفيف الأسماك، بالنسبة لموقعها سواء في شبه الجزيرة الأيبيرية أو الشمال الغربي للساحل الإفريقي كانت المعامل قريبة من السواحل الغربية هي الأخرى من مناطق إنتشار الأسماك، فلم يكن بالضرورة وجود ميناء فسفن الصيد كانت تجر إلى اليابسة بالاستفادة من ظاهرة المد والجزر حيث تدفع السفن إلى اليابسة وفي حالة أخرى تجر ويتم ربطها حتى تتم عملية إفراغ الأسماك كما أن مواقع التمليح كانت تختار بعيدا عن التجمعات السكانية لتفادي إنتشار الروائح من مخلفات هذه الحرفة [2].

انتشرت مصانع تمليح الأسماك في العديد من المناطق في الحوض الغربي للبحر المتوسط، والمناطق المطلة على المحيط الأطلسي نظرا لتوفر الثروة السمكية كما سبق الذكر، ووجود الملاحات، القريبة في الكثير من الأحيان من المنشست الفينيقية التي انتشرت بها حرفة تجفيف الأسماك ونخص بالذكر، قادس، موتيا، ليكسوس، وقرطاجة[3].

عملية تجفيف الأسماك تتم وفقا لمراحل أهم مرحلة تتطلب إضافة الملح بكميات محددة ويتم تعليق الأسماك الكبيرة حتى يتم جفافها وأهم الأنواع التي يتم تجفيفها وتمليحها بهذه الطريقة أسماك التونة المتميزة بحجمها الكبير، أما الأسماك الصغيرة فكانت بعد تمليحها تبقى معرضة لأشعة الشمس حتى تجف [4].

تاجر الفينيقيون بالأسماك المجففة خاصة مع المصريين الذين إهتموا بالحصول عليها [5] وعلى الأرجح أن السفن التي كانت تنقل هذا النوع من المنتوجات خصصت لهذا

---

1 - Cintas (P), op.cit., P 225.

2 - M. Ponich, M. Tarradell , **Garum industries antique dans la Méditerranée occidentales**, Paris, 1955, P 93.

3 - جان مازيل، نفسه.

4 - M. Ponich., M. Tarradell, op.cit, P 82.

5 - J Meirat, op.cit, P 47.

الغرض فقط، أما الأواني التي كانت تعبأ بها فقد تمثلت في الخوابي الخزفية التي كان يتم إغلاقها بإحكام [1].

المطلب الثاني: صلصة القاروم Le Garum :

تتمثل صلصة القاروم في مزيج متكون أساسا من زوائد وأحشاء الأسماك الكبيرة التي كان يتم تجفيفها، إضافة إلى الأسماك الصغيرة وبيوض الأسماك والعصارة، ويضاف لها الملح كعنصر محافظ، كما تضاف لها كمية من التوابل والبهارات التي تعطي نكهة ومذاقا بالإضافة إلا الزيت والطماطم، وهذا حسب إختبار عينة لمادة وجدت داخل أنية مغطاة بطبقة سميكة من الرمل والملح، وتم مقارنتها بنصوص قديمة فأكد الباحثون أنها مادة القاروم التي إنتشرت صناعتها وتجارتها في أرجاء البحر المتوسط [2].

نشأت صناعة القاروم في شبه الجزيرة الأيبيرية ويعد الفينيقيين أول من قام بتحضيرها، كونهم قاموا بنشاط تجفيف الأسماك في المنطقة [3] ومخلفات هذه الصناعة قاموا باستخدامها في صناعة القاروم، فإنتشرت هذه الصناعة في مناطق كثيرة في البحر المتوسط فنجدها عند الإغريق وحتى الرومان [4].

تحضير صلصة القاروم كان يتطلب مدة زمنية تقدر بحوالي شهرين، حتى تصبح جاهزة فيتم تعبئتها في أواني خاصة تغلق بإحكام [5].

إهتم الفينيقيون بحرفة الصيد لتوفير الأسماك كمادة غذائية، وتجفيفها كان أحسن طريقة لإيصالها إلى مناطق بعيدة فعلى الأرجح أنها كانت تملح وتجفف في مناطق توفرها في الحوض الغربي للمتوسط ليتم نقلها إلى الشرق حيث نجد زبائن الفينيقيين من المصريين وغيرهم.

---

[1] - M. Gras, P. Rouillard, op.cit., P, 119.

[2] - M. Ponich, M. Tarradell , Ibid, PP 98-99.

[3] - Ibid

[4] - J Meirat, op.cit., 47

[5] - M. Ponich, M. Tarradell , Ibid, PP 98-99

إرتبط مجال تجفيف الأسماك بتجارة أخرى كانت رائجة آنذاك والمتمثلة في تجارة الملح هذه المادة الضرورية في تمليح الأسماك، وقد تحصل التجار الفينيقيون على هذه المادة عن طريق التجارة. فمن المرجح أنهم تحصلوا عليه من البحر الميت عن طريق العبرانيين [1] أو مناطق أخرى من شمال إفريقيا. كما قاموا بإستخراجه مباشرة في شبه الجزيرة الأيبيرية بدليل وجود آثار الملاحات بالقرب من مناطق وجدت بها كذلك أثار لنشاط الفينيقيين الذين قاموا بحرفة تجفيف الأسماك وصناعة القاروم [2].[*]

المبحث السادس: الأخشاب

تعتبر الأخشاب أهم الثروات الطبيعية التي إنفرد بها إقليم الساحل الفينيقي، والتي كان لها تأثير واضح على جوانب مهمة من حياة الفينيقيين لاسيما السياسية والاقتصادية [3] فالثروة الخشبية لطالما كانت سبب للتوسع الخارجي على حساب بعض المدن الفينيقية، أما إقتصاديا فقد كانت أساس قيام صناعة السفن وتطورها وكانت سببا في تفعيل نشاط التجارة مع المناطق التي تفتقر لهذه الثروة.

تنوعت الأشجار التي كانت تغطي المرتفعات الجبلية في فينقيا، فنجد من أهمها: الصنوبر، السرو، البلوط، والتنوب، والأرز[4] [*] وهذا الأخير من أهم الأشجار التي كانت تنمو في المنطقة وقد إنفردت بمميزات وخصائص جعلت منها مادة أساسية لبناء السفن والهياكل والأثاث فقد كانت سلعة مطلوبة.

---

1 -Jean Meirat, op.cit, P. 48.

2 – جان مازيل، المرجع السابق، ص 120.

* توفر للفينيقيين ملحا في المناطق التي انتشرت بها حرفة تجفقيف الأسماك، وخصائصه تجعله ملحا صالحا للتلميح استخدم الحرفيون الفينيقيون ملحا خالي من نسبة مرتفعة من كلورور المغنيزيوم Clorure de magnésieum الذي يؤدي إلى تحليل المواد العضوية بسهولة.

M. Ponich M, Tarradell, op.cit., P, 100.

3 - أحمد حامدة، " **التجارة الفينيقية** "، ص 68.

4 - فليب حتي تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، الجزء1، ص 105.

* - الأرز توجد أربع أنواع من الأرز، تنمو في مناطق مختلفة، منها آرز لبنان، Ccèdre Liban، آرز الأطلس Cèdre Atlantica في شمال إفريقيا، آرز الهملايا، وآرز قبرص (أنظر دائرة المعارف، مجلد 9، ص 377)

المطلب الأول: خصائص ومميزات أخشاب الآرز:

تتميز أخشاب الآرز بطولها المقدر بحوالي 40 مترا، أما قطرها فقد يتجاوز أربعة أمتار، وهذا ما أكدته المصادر المعاصرة لهذه الثروة في فينقيا [1].

لقد أكدت المصادر المعاصرة لتجارة الأخشاب على تعدد مميزات الآرز ففي عهد **سَنْحاريب الآشوري** ذكر في أحد النصوص أنه الاستغلال المتزايد للأخشاب في بناء السفن جعل الأشجار الطويلة في الغابات نادرة، وهذا ما أكدته آسفار العهد القديم [2].

تعددت أوصاف أشجار الآرز، في أسفار العهد القديم، فقد وصف بالعالي: ".... سآخذ من أعالي الآرز من رأس جذوعه غصنا وأغرسه على جبل شامخ شاهق فيطلع أغصانها ويثمر ويصير آرزا رائعا فيأوي تحته كل طائر. كل حيوان يأوي في ظل أغصانه [3] وفي موضع آخر:"...أعلى آرز لبنان آرزه العالي المرتفع وكل بلوط باشان " [4].

تتميز كذلك أخشاب الآرز بالصلابة ومقامتها للعديد من العوامل منها الطبيعية كالحرارة والرطوبة، وهذا ما تؤكده البقايا الأثرية لبعض المصنوعات من خشب الارز. وهذا سبب إحتوائها على الزيوت الطيارة والمواد الراتنجية، وهذا ما جعلها كذلك تقاوم الحشرات كالسوسة والسرفة الأرضية التي عادة تلحق أضرار بالأخشاب.

أهم دليل أثري يؤكد الخصائص السابقة الذكر، يتمثل في سفينة خوفو(2551-2528 ق.م)[*]، فهي تعد شاهد على صلابة ومتانة ومقاومة أخشاب الآرز لعوامل الزمن، فأخشاب السفينة لازالت تحتفظ برائحة الآرز ولم تلحق بها أضرار **(أنظر الصورة رقم 12).**

---

[1] - G. Herm, op.cit., P 39.

[2] - رضى جواد الهاشمي، " **الملاحة النهرية في بلاد وادي الرافدين** "، (سومر، المجلد 37، 1981).

[3] - الكتاب المقدس، العهد القديم، حزقيال، 17 22- 23.

[4] - نفسه، إشعيا، 2 13.

[*] - لقد تم إكتشاف خمسة حفر إلى جانب هرم خوفو، إحدى هذه الحفر، تم الكشف عنها سنة 1954م، على يد الأثري المهندس كمال الملاخ، فقد تم العثور على مركب مفكك إلى أجزاء مصنوعة من خشب الآرز و السنط، بالإضافة إلى أشاء أخرى في الجبال، وجدت الأجزاء المفككة مربوطة بالحبال في شكل فرم، المجموعة كليا تتكون من 651 قطعة، منها 12 مجذافا يتركب كل مجذاف من قطعة واحدة، إضافة إلى 5 أبواب، و 58 سارية، وقد دامت فترة تركيب وإعادة بناء السفينة 10 سنوات، السفينة طولها 43 متر وعرضها 6 أمتار، والهدف من صناعة هذه السفينة ويعد محل جدال بين من يعتقد أنه خصص لمراسم جنازة خوفو وأعيد تفكيكها ودفنها إلى جانب الهرم وهناك من يرى أن السفينة لها دور رمزي أكثر منه ذو إستخدام فعلي، فقد تكون السفينة خصصت لإسخدام خوفو لها بعد موته في رحلته إلى العالم الآخر. (أنظر زاهي حواس،" **عائلة الملك خوفو، تاريخ وأسرار الأسرة الرابعة الدولة القديمة** "،الدار المصرية اللبنانية، ط 1، 2009، ص ص 93-95).

كثيرة هي البقايا الأثرية المصنوعة من خشب الآرز التي وجدت داخل الأهرامات والتي لازالت تحتفظ برائحتها وصلابتها، منها التوابيت والأعمدة وغيرها من المصنوعات الخشبية من الأثاث، ولم تكن مصر المنطقة الوحيدة التي وجدت فيها بقايا مصنوعات من أخشاب الآرز قد عثر على بقايا جسر من أخشاب الآرز في نينوى بلاد الرافدين [1]، و لازالت رائحته عطرة فأخشاب الآرز، تتميز برائحته مميزة ورد وصرف لها في أسفار العهد القديم: ".... مثل عبير لبنان ثيابك " [2].

وفي وصف آخر: ".... يزهر .كالسوسن ويضرب أصوله كلبان، تمتد خراعيبه ويكون بهاؤه كالزيتونة، وله رائحة كلبنان " [3].

خاصية أخرى تميزت بها أخشاب الآرز، وهي سهولة سقلها وتشكيلها.

المطلب الثاني: مراحل تصدير الأخشاب:

1- مرحلة قطع الأخشاب:

تتمثل المرحلة الأولى في عملية قطع الأخشاب، التي يقوم بها المختصون من العبيد، وهذا ما نستدل عليه من بعض المصادر، فقد ورد ذكر عبيد حيرام ملك صور عند إرسالهم لقطع الأخشاب المرسلة إلى العبرانيين: "... والآن فأمر أن يقطعوا لي آرزا من لبنان، ويكون عبيدي مع عبيدك ....." [4].

وقد أشارت أسفار العهد القديم بخبرة العبيد الفينيقي في قطع الأخشاب: " فأمر رجالك أن يقطعوا لي آرزا من لبنان ورجالي يعاونوهم وأجرة رجالك أدفعها إليكم بالمقدار الذي تريد فأنت تعلم أن لا أحد من شعبان، خبير بقطع الخشب مثل الصيدونيين " [5].

يمكن أن نستخلص مما سبق ذكر ما يلي:

---

[1] - فيليب حتى، " **تاريخ لبنان** "، ص 45.
[2] - الكتاب المقدس، العهد القديم، نشيد الإنشاد، 4 11
[3] - نفسه، هوشع 14 7.
[4] - نفسه، العهد القديم، سفر الملوك الأول، 5 20.
[5] - نفسه، الملوك الأول.

*– الأخشاب كانت تقطع بحسب الطلب ويقوم العبيد المختصين فيها.

– تجارة الأخشاب كانت تتم على أعلى مستوى إذ كان الملك يتحكم في عملية البيع، بدليل عقد الصفقة بين حيرام ملك صور وسليمان ملك العبرانيين وهذا دليل على تحكم الملك في ثرواته إذ البيع يتم تحت إشرافه، وهذا ما أكدته لنا الآثار الآشورية، فقد صورت لنا مشهد قيام الأمراء بعملية قطع الأخشاب **(أنظر الصورة رقم 18).**

وقد أكدت كذلك المصادر المصرية تحكم الملك في عملية بيع الأخشاب وهذا ما نستدل عليه من خلال عملية البيع التي قام بها أمير جبيل زكل– بعل والذي تماطل في إرساله الكمية المطلوبة من طرف ون – أمون كاهن معبد طيبة* فقد طلب منه أن يدفع ثمن الأخشاب قبل قطعها، وخاطبه بلهجة المتغطرس قائلا: " أما أنا فلست لط ولست بخادم للذي بعث بك إلي، فإنني إذ ناديت لبنان تفتح أبواب السماء وتتدحرج جذوع الآرز من آعالي لبنان إلى هذا الشاطئ " [1].

2–مرحلة نقل الأخشاب:

كانت تتم عملية نقل الأخشاب وفق طريقتين:

–الطريقة الأولى تعتمد على المجاري المائية، فقد إستفاد منها القدماء في عملية النقل خاصة السلع الثقيلة كالأخشاب [2]، وعلى الأرجح أن هذه الطريقة كان يتم إستخدامها في فصل الشتاء، فجريان الأنهار والوديان يضمن عملية النقل بالتعويم [3]، وقد تلاءمت هذه الطريقة مع تضاريس الساحل الفينيقي، فأغلب المجاري المائية. تنبع من المرتفعات الجبلية

---

* تؤكد المصادر العبرية وجود علاقات تجارية بين حيرام ملك صور وسليمان وهذا الأخير تحصل على أخشاب الأرز (للمزيد أنظر، الخوري بطرس روفائيل، أرز لبنان في هيكل سليمان، المشرق، العدد 26، 1928، ص–ص، 571–576.
J. Perenne, La société Hébraiques d'après la Bible, (edition Alba Michel, 1965), P, 95.

* ـ حفظت النقوش الكتابية المصرية تقريرا بعث به ون – أمون القادم من مصر إلى فينقيا، بهدف الحصول على الأخشاب اللازمة لبناء مركب الإله آمون، لكن ون – أمون أستقبل إستقبالا غير لائق، عند أمير جبيل زكر ـ بعل، الذي تماطل في إرسال الأخشاب وترك مبعوث فرعون ينتظر في الميناء لمدة 19 يوما، وكان كل يوم ينتظر على شاطئ البحر، فلم يكن له الثمن الكافي لشراء الأخشاب، وعندما سمح له بالمثول أمامه خاطبه بلهجة المتغطرس. أنظر فيليب حتى، " تاريخ لبنان "، ص ص 107-108)

1 ـ فيليب حتى، نفسه، ص 108.

2 ـ جان مازيل، المرجع السابق، ص 40.

3 ـ أحمد حامدة، " التجار الفينقية "، ص 69.

أو تمر بمحاذاتها، كما أن أغلبها يصب في البحر المتوسط، فخط النقل يبدأ من المرتفعات ومنبع المجاري المائية وينتهي عند الموانئ أو ورشات صناعة السفن[1] **(أنظر الخريطة02)**.

تتميز عدة مدن فينيقية بمرور المجاري المائية بمحاذاتها بمدينة جبيل التي إشتهرت بتجارة الأخشاب، خاصة مع مصر[2]، يمر بها نمر ليكوس المعروف بإسم نهر الكلب، ونفس الظاهرة نجدها في مدينة صور التي إرتبط ذكرها بتجارة الأخشاب مع العبرانيين، وصناعة السفن فنهر الأورنت Orontes يمر بمحاذاتها، إذ يتوسط جبال لبنان الغربية والشرقية ليصب في البحر. **(أنظر الخريطة 02)**.هذه الطريقة كانت تتم بإعتبار أن عملية القطع كانت تتم في فصلي الصيف والخريف ويعتبر الفصلان الأمثلان، وهذا لضمان جفاف الأخشاب لتفادي تشققها عند إستعمالها [3].

الطريقة الثانية التي نقلت بها الأخشاب، تمت بإستخدام الطرق البرية، وهذا ما نستخلصه من بعض المصادر، فالأخشاب التي أمر أمير جبيل زكر- بعل يقطعها أمر كذلك بإرسال 300 من العبيد و 300 ثور [4]، وهذا ما يؤكد أن عملية القطع كما سبق الذكر كان يقوم بها العبيد، أما النقل فكان يتم بإستخدام الحيوانات.

بالإضافة إلى ما ذكر في سفر الملوك الأول: "... قد سمعت ما أرسلت به إليَّ، أنا أفعل كل مسرتك في خشب الآرز وخشب السرو، عبيدي ينزلون ذلك من لبنان إلى البحر وأن أجعله أرماثا في البحر إلى الموضع الذي تعرفني عنه وانفضه هناك وأنت تحمله..."[5].

طريقة نقل الأخشاب كما يبدو من النص كانت تتم بإستخدام العبيد فقد كان عددهم بالآلاف حسبما ذكر كذلك في سفر الملوك الأول [6].

---

1 - Dimitri Barmaki, op.cit, P 12.

2 - Ernest Samhaber, **« Histoire du Commerce »** Traduction de Claude Miquel, (Armand Collin, Paris 1963), P 20.

3 - A Barkhaoui, op.cit, P 161.

4 - فيليب حتى، " **تاريخ لبنان** "، ص ص 107-108.

5 - الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الملوك الأول، 5 8 -9.

6 - حسبما ذكر في سفر الملوك الأول كان عبيد سليمان ثلاثين ألف رجل، وكان يرسل 10 ألاف إلى لبنان بحيث يعملون لمدة شهر، ويعودون للبيوت لمدة شهرين. (أنظر سفر الملوك الأول، 5 13-17).

مشهدين من النقوش النافرة التي وجدت في بلاد الرافدين تؤكد استخدام الفينيقيين لهذه الطريقة، فعملية نقل الأخشاب تظهر لنا من خلال نقش نافر وجد بقصر سرجون III (722-705 ق.م) في خرسباد Khorsabad، فالأخشاب تظهر أنها مثبتة بحبال في مؤخرة السفينة. **(أنظر الصورة رقم 15).**

نقش نافر آخر وجد في قصر سنخريب Sencharib (705-681 ق. م) حيث يظهر لنا مشهد لعملية قطع ونقل الأخشاب من المرتفعات إلى البحر **(أنظر الصورة رقم 18).**

3- المقايضة بالأخشاب:

بإعتبار أن الأخشاب ثروة إنفرد بها إقليم الساحل الفينيقي، قد يطرح التساؤل، ماذا تحصل الفينيقيون مقابل ثروتهم الخشبية بإعتبار أن عملية التبادل كانت تتم وفق المقايضة، وقد نجد الإجابة من خلال نصوص العهد القديم، بالإضافة إلى الكتابات المصرية، بإعتبار أن مصر كانت الزبون الأول فيما يخص الأخشاب.

حسب الصفقة التي عقدها حيرام ملك صور وسليمان، حيث إتفقا على أن يقدم الفينيقيون الأخشاب مقابل الزيت والحنطة: "فكان حيرام يعطي سليمان خشب الآرز وخشب سرو حسب كل مسرته، وأعطى سليمان حيرام عشرين ألف كلّ حنطة طعاما لبيته وعشرين كلّ زيت رضى" [1].

لقد تحصل الفينيقيون على الزيت والحنطة كل سنة لمدة 20 سنة، حيث تقدر كمية الزيت التي أن يقدمها العبرانيون كل سنة 4000 لتر[2]، وهي كمية معتبرة من حيث الكمية الزيت بإعتباره مادة غذائية ولها استعمالات أخرى نجد أن الأخشاب فعلا كانت لها قيمة مادية.

---

[1] - الكتاب المقدس، العهد القديم، الملوك الأول، 5

[2] - تم إحتساب كمية الزيت بإعتبار أن الكر يقابله 230 لتر حسب جدول المكاييل والموازين والمسافات والعملات في العهد القديم.

أظهرت كذلك الكتابات المصرية ماذا كان يدفع المصرين مقابل الأخشاب، فحسب التقرير، الذي كتبه ون – آمون وتسلمه أمير جبيل زكر- بعل، قبل أن يأمر بقطع ونقل الأخشاب، دفع المصريون ما يلي:

- 4 جرار ذهب وصولجان صفير من الذهب؛
- 5 جرار فضة؛
- 10 خدمات من القطن المصري الناعم.
- 10 حزمات من قطن صعيد مصر.
- 500 لفافة من ورق البردي.
- 500 لفافة من حبال.
- 500 جلد بقري.
- 20 كيسا من العدس.
- 20 سلة من السمك الملَّح [1].

يظهر من قائمة السلع التي مت بها مقايضة الأخشاب أن المصريين كانوا يقدرون ثمنه، فقد أرسل الفرعون المصري نسو بنبدد. تقريبا كل ما كنت تنتجه مصر، بإعتبار أن القطن والبردي من أهم المنتوجات الزراعية في مصر، والتي لم يكن الفينيقيون يمتلكونها إضافة إلى الفضة والذهب، والمواد الغذائية.

المبحث الثامن: المعادن.

تعتبر المعادن من أهم المواد التي قام الفينيقيون بإستيرادها وتصديرها في آن واحد، فقد تحصلوا عليها في شكلها الخام وأعادوا تصديرها في شكل سبائك ومصنوعات متنوعة، لذلك سعى الفينيقيون للبحث عنها خارج الساحل الفينيقي.

---

[1] - فريدريك معتوق، المرجع السابق، ص 51.

المعادن بالنسبة للفينيقيين أحدثت تحولا في نمط الحياة الاقتصادية فقد تخصصوا في مجال التعدين بتنقيبهم وبحثهم المستمر عن مصدر خامات المعادن المختلفة وإعادة تصديرها في شكل مصنوعات متنوعة، فقد تميزوا في هذا المجال وتوسعت دائرة نشاطاهم في مجال التعدين خارج الساحل الفينيقي[1] واستغلوها في اغلب مناطق البحر المتوسط خاصة في الحوض الغربي، وإحتكروا مناطق استغلاله خلال الفترة الممتدة ما بين 1100 ق–م إلى 146 ق–م [2]. **(أنظر الخريطة رقم 05).**

المطلب الأول: طريقة الحصول على المعادن

لم تكن أنواع المعادن القليلة التي توفرت للفينيقيين في فنيقيا كافية لتطور وإستمرار الصناعات التعدينية والتجارة. فكان عليهم السعي دوما للبحث عن مصدر للمعادن فكان هدفهم الأول ركوب البحر نحو الحوض الغربي للبحر المتوسط حسب رأي اغلب الباحثين ولم يكن الثمين منها المطلوب فقط، بل كل المعادن الضرورية للإنتاج [3].

تحصل الفينيقيون على المعادن عن طريق المقايضة وقد دلت وأكدت ذلك المصادر الأدبية والأثرية، فحسب هيرودوت كانت المنتوجات الفينيقية تقايض بمعدن الذهب[4] وقد أكدت كذلك أسفار العهد القديم على ازدهار تجارة المعادن الفينيقية وخاصة في مدينة صور التي أقامت أسواقها بآنية النحاس حسب سفر حزقيال[5].

---

[1] – جورج لوفران، **تاريخ التجارة** ، ترجمة هاشم الحسيني، (دار مكتبة الحياة، بيروت)، ص 105.

[2] – فريدريك معتوق،المرجع السابق، ص 51

[3] – يولي بركوفيتش تسيكرين، المرجع السابق، ص 10.

[4] – Hérodote, IV, 195.

[5] – الكتاب المقدس، العهد القديم (حزقيال، 27، 13). وردت إشارات عديدة تخص تجارة المعادن في الملوك الأول، 10، 22، إرميا، 10، 9.

بالإضافة إلى ما ذكره **سترابون** " **Strabon** "حيث ذكر حصول الفينيقيين على المواد الخام من المعادن، مقابل منتوجاتهم من زيت ونبيذ، ومنتوجات أخرى من الكماليات ويقصد بها المصنوعات من المعدن والخزف ولمنسوجات وغيرها [1].

كذلك ديودور الصقلي **Diodore De Sicile** يذكر أن التجارة الفينيقيين تحصلوا على المعادن مقابل منتوجاتهم المختلفة: "... لم يكن السكان المحليون يعرفون طريقة إستغلالها لكن فور معرفة الفينيقيين بالأمر بادروا إلى شراء الفضة في مقابل حاجات بخسة القيمة، ثم نقل الفينيقيون الفضة إلى اليونان وأسيا وجميع البلدان الأخرى المعروفة آنذاك حاصلين من جراء ذلك على ثروات كبيرة حتى أنه يقال إ ن جشع التجار الفينيقيين قد دفعهم إلى إستبدال مراسيهم وجعلوها من الفضة [2].

أكد ديودور الصقلي **Diodore De Sicile** قيام التجار الفينيقيين بمقايضة منتوجاتهم بالفضة بشبه الجيرية الأيبيرية، هذه المنطقة كانت من أغنى المناطق بالمعادن خاصة الفضة ومن حسن حظ الجار الفينيقيين أن السكان المحليين لم يكن لهم دراية كافية بمجال التعدين والصناعات التعدينية .

بالإضافة إلى المصادر الأدبية التي أكدت حصول التجار الفينيقيين على المعادن عن طريق المقايضة دلت البقايا الأثرية على وجود المعادن ضمن بقايا حطام السفن التي عثر عليهما بالقرب من شواطئ تركيا والتي تعود إلى حوالي 100 ق- م وجدت سبائك من النحاس تزن حوالي 25 كيلو غرام، كما وجدت في حطام السفينة الثانية على سبائك من القصدير إلى جانب بقايا منتوجات أخرى، وهذا يدل على وجود المعادن ضمن الصادرات في شكلها الخام [3].

---

[1] - Strabon, V, 35, 1-50.

[2] - Diodore De Sicile, V, 35.

[3] - فريدريك معتوق، المرجع السابق، ص 60.

لم يكتف الفينيقيون بكميات المعادن التي تحصلوا عليها عن طريق المقايضة فربما لم تكن كافية لتأمين المادة الخام بإستمرار لضمن إستمرار الصناعة التعدينية فأهميها كانت تكمن فيما تصدره فينقيا من مصنوعات معدية لها قيمتها عند زبائن التجار الفينيقيين، لذلك سعى الفينيقيون للحصول على خامات المعادن بالبحث والتنقيب في مناط توفرا. بدءا من فينقيا التي وجدت فيها كميات قليلة قد لا تكفي حاجة ورشات الصناعة لذلك سعى الفينيقيون للبحث خارج الساحل الفينيقي [1].

أولى المناطق التي إستغل الفينيقيون ثرواتها المعدية جزيرة قبرص، حيث إستقر بها الفنيقيون، وقد تركز نشاطهم التعديني في خمسة مناطق منجمية هي كالتالي: كيتيم **Kitim** **إيداليون Idalion ، لابيثوس Lapithos، أماثونت Amathont** [2].

قام الفينيقيون بنشاط التعدين في بلاد الإغريق وحسب أسطورة **كدموس Kadimos** كان الفينيقيون الأوائل الذين قاموا بالتنقيب عن الذهب [3] وكنت أهم منطقة قام فيها الفينيقيون بنشاط التعدين بشبه الجزيرة الأيبيرية لغناها بمختلف أنواع المعادن، وخاصة الفضة، والتي لم يدرك السكان المحليون إستغلالها نتيجة تأخرهم في مجال الصناعات التعدينية، فوجدها الفينيقيون في متناولهم إذ كانت المعادن قريبة من السطح لذلك عمليات التنقيب لم تتطلب منم وقتا ولا مجهودا.

أكدت بعض المصادر قيام الفينيقيين برحلات بحرية إلى مناطق بعيدة للحصول على المعادن الثمينة وهذا حسب أسفار العهد القديم. ففي فترة حيرام ملك صور، كانت سفنهم تقوم برحلات تدوم لفترة طويلة خلال ثلاث سنوات إلى منطقة **أوفير Ophir** وهذا حسب ما جاء ذكره في سفر الملوك الأول:"... جميع آنية بين وعر لبنان من ذهب خالص لا فضة، هي لم تحسب شيئا في أيام سلميان، لأنه كان للملك في البحر سقى ترثيش مع سفن حيرام،

---

1 - M. Gras, P. Rouillard, op.cit, P 127.

2 - G. Herm, op.cit, P 165.

3 - Hérodote, VI, 47.

فكنت ترشيش تأتي مرة كل ثلاث سنوات، أتت سفن ترشيش حاملة ذهب وفضة وعاجا وقرودا وطواويس" [1].

المطلب الثاني: المصنوعات المعدنية:

إهتم الفينيقيون بجمع المعادن عن طريق المقايضة والتنقيب عنها، فتحصلوا عليها في شكلها الخام وتاجروا بها في شكل سبائك، وكانت أولى المصنوعات المعدنية التي تاجروا بها من صنع غيرهم كالمصريين، فقد كانت الحلي المصرية ضمن ما تاجر به الفينيقيون وغيرها من المصنوعات، فأصبحوا يقلدون هذا النوع من المصنوعات. فلم يكن بإمكان زبائن الفينيقيين التمييز بين الصانع والتاجر.

فمصدر المصنوعات لم يكن دائما ورشات الصناعات في فينقيا أو في المناطق التي إستقر فيها الفينيقيون وقاموا فيها بنشاط التعدين والصناعة في نفس الوقت. فربحا للوقت كانت الورشات قريبة من أماكن إستخراج المواد الخام، فالرحلة البحرية كانت تستغرق وقتا زميا طويلا، لذلك إختار الفينيقيون الاستقرار في أماكن توفر الثروات من المعادن وغيرها من المواد الخام.

بعد أن قلد الفينيقيون مصنوعات غيرهم، أصبحت لديهم خبرة فقد إكتسوا مهارة حيث تحكموا في جميع التقنيات والطرق اللازمة للتعامل مع المعادن، فقد عرفوا صهرها، وطرق مزجها فتحصلوا على معادن خليطة كالبروز والفولاذ وعرفوا خصائص كل معدن، كالذهب، الفضة النحاس، الحديد، الرصاص، وصنعوا من هذه المعادن مختلف المصنوعات، وتاجروا بها[*].

أتقن الحرفيون الفينيقيون طرق الصب، التطعيم، التحبيب، النقش، التلحيم، السحب، الترصيع، وغيرها من التقنيات فإستطاعوا صناعة منتوجات مختلفة كالحلي المتنوعة،

---

[1] – الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الملوك، 10 21-22.

[*] للمزيد أنظر أشلاف فطومة، المرجع السابق، ص ص 287-288.

كالأقراط، الأساور، الحلقات، التيجان، الدبابيس كذلك صنعوا أنواع من الخناجر، السكاكين والفروش، ومصنوعات متنوعة مثل حاملات التعاويذ، التماثيل، الأختام، المرايا وحتى الآلات الموسيقية كالمزمار [1].

بالنسبة للمصنوعات المتنوعة السابقة الذكر، وجد العديد منها خارج الساحل الفينيقي، فقد من ضمن ما تاجر به الفينيقيون والبرونز، تتميز بحجمها الأقرب إلى الصحون ومزينة بزخارف وأشكال متنوعة على الوجه الداخلي، وقد أثار حجمها التساؤل عن مجال إستخدامها كأواني للاستخدام اليومي أو أنها كانت مجرد أواني للزينة، وتكون بذلك ربما الأكواب التي أشاد بها هوميروس في الإلياذة.

بالنسبة للزخارف والأشكال تظهر أنها متأثرة بأساليب حضارات مختلفة، رافدية، مصرية وإيجية، وأغلبها مصرية حيث ظهرت مزخرفة بأزهار اللوتس، البردي، أشجار النخيل، الجعلان المجنح، الكتابة الهيورغيليفية.

الزخارف تبدو متنوعة و مزيج من كل الحضارات السابقة الذكر، وهذا ما يؤكد أنا من صنع الحرفيين الفينيقيين فقد قلدوا أشكال وزخارف متنوعة وكان ذلك ببراعة ومهارة فلم يظهر أي فراغ أو خلل رغم أن المظاهر كانت متعددة لكنها كانت متناسقة حيث تبدو كلوحة فنية (**أنظر صورة رقم** 29).

المطلب الثالث: قيمة المصنوعات المعدنية الفينقية:

إهتم الفينيقيون بالبحث عن المعادن في أغلب مناطق البحر المتوسط، نظرا لأهميتها في المبادلات التجارية، فقد إحترفوا في مجال الصناعات التعدينية وهذا ما تؤكده أغلب المصادر التي أشدت بمهارة الحرفيين الفينيقيين.

تعد أسفار العهد القديم من المصادر أشادت بحرفية الصانع الفينيقي في مختلف المجالات، فقد إستعان العبرانيون بالحرفيين الفينيقيين الذين شاركوا في بناء هيكل ملك

[1] – أشلاف فطومة، المرجع السابق، ص، 282-288.

العبرانيون سليمان بطلب منه لملك صور حيرام وهذا ما نستدل عليه من سفر أخبار الأيام الثاني:"... والآن أرسلت رجلا حكيما صاحب فهو " حورام أبي" ابن امرأة من بنات دان، وأبوه رجل صوري ماهر في صناعة الذهب والفضة والنحاس والحديد والحجارة والخشب والأرجوان والاسمانجوني والكتان والقرمز ونقش كل نوع من النقش وإختراع يلقى عليه .."[1].

أكدت بعض أسفار العهد القديم مهارة الصانع الفينيقي وكذلك المصادر الإغريقية التي أشادت بمهارة الحرفيين ومنحت مصنوعاتهم المعدنية. فقد كانت المعدنية المصنوعة في فينقيا تعطى كجوائز في مسابقات العدو وهذا ما نستخلصه ما ذكره هوميروس في الإلياذة فيما يلي: "... وبعد هذا جاء دور سباق الجري تبارى فيه ثلاثة: أياس ا لأصغر، أوذيس وأنطيلوخ وكانت الجوائز أيضا أولها كأس فضية للمزج تتسع لستة مكاييل ليس لحسنها مثل على وجه الأرض، وهي أيضا من صنع صيدا جلبها تجار فينيقيون على البحار وقدموها إلى الملك ثواس ثم إيفنوس بن هيفسفيل إبنة ثواس قدمه لفطرقل فدية عن ليقاون ابن الملك فريام، وجعل للثاني ثورا سمينا، وللثالث نصف وزنه من الذهب...." [2].

كانت المصنوعات المعدنية كذلك من ضمن ما يقدم كهدايا أو جزية، ففي مشهد على قبور طيبة بمصر، يظهر مجموعة قادمين من بلاد كنعان فترة حكم تحتمس الرابع (1420-1411ق-م) يحملون الهدايا أو جزية من أواني معدنية، وتقديمها كجزية يدل على قيمتها المادية، وقد تكون من الذهب أو الفضة، كما كانت المصنوعات المعدنية من ضمن أهم ما كان يتحصل عليه المصرين، كغنائم خلال فترات توسعهم على بعض المدن الفينيقية.

إهتم كذلك ملوك بلاد الرافدين في الفترة الآشورية بثروات الساحل الفنيقي، ومصنوعاتهم المختلفة، وكانوا يقدرون قيمة المصنوعات المعدنية. فخلال الحملات التي تعددت على المدن الفينيقية كانت في أغلب الأحيان تنتهي بفرض الجزية المتضمنة للمواد

---

1 - الكتاب المقدس، العهد القديم، أخبار الأيام الثاني، 2 13-14.

2 - هوميروس الإلياذة، النشيد، 23، ص 274.

الثمينة التي من بينها المعادن والمصنوعات المعدنية. والأرجوان وغيرها، فحسب حوليات الملك الآشوري آشور بانيبال الثاني (883-859ق-م)، تحصل على إثر حملته التي قام بها على بعض المدن الفينيقية كصور وصيدا، وجبيل حوالي 857 ق-م، فجمع الذهب، الفضة، الرصاص، النحاس وأواني من معدن البرونز، والصوف الملون[1].

المبحث التاسع: تجارة الزجاج

تعد المصنوعات الزجاجية من المنتوجات الكمالية التي تاجر بها الفينيقيون، وقبل أن يحترف الفينيقيون في صناعة الزجاج، كانوا قد تاجروا بالمصنوعات الزجاجية المصرية، فقد تاجروا بحليهم الزجاجية وحاملات التعاويذ، فقد لعبوا دور الوسيط التجاري لهذا السبب لم يكن بإمكان زبائن الفينيقيين التفريق بين الصانع والبائع. وشهرتهم في هذا المجال جعلتهم في نظر زبائنهم مكتشفوا الزجاج ولم يلبث الفينيقيون أن إحترفوا في مجال صناعة الزجاج فقد توفرت لهم المادة الأولية الأساسية المتمثلة في الرمال. فأبدعوا في صناعة مختلف المصنوعات الزجاجية التي تعددت مجالات إستخدامها، وقد أضافوا بعد إكتسابهم لخبرة في هذا المجال تقنية جديدة لصناعة الزجاج الشفاف فكان لهم الفضل في ذلك. ونشروا هذه النصاعة عبر أرجاء البحر المتوسط.

المطلب الأول: المصنوعات الزجاجية.

تاجر الفينيقيون بالمصنوعات الزجاجية التي أبدعوا فيها فقد تنوعت بتعدد مجالات إستخدامها، فنجد من أهمها المزهريات، التي كانت في البداية من الزجاج العاتم، وقد تميزت في أغلبها بتعدد الألوان المستخدمة، وحجمها الصغير فأغلبها كذلك لا يتجاوز عشرون سنتمر **(أنظر الصورة رقم 7، 8 و 9).**

---

[1] - سباتينو موسكاتي، **الحضارة الفينيقية**، ص، 40.

حجم المزهريات قد يدل على مجال إستخدامها فعلى الأرجح أنها كانت مخصصة. للتزيين، أو ربما كانت تصدر معبأة بمواد كالزيوت العطرية أو العطور [1].

هذا النوع من المنتوجات التي تخصص الفينيقيون في صناعتها وتجارتها فهذه الصناعة كانت متلازمة مع صناعة الزجاج [2].

الحلي كانت كذلك من أهم المصنوعات الزجاجية، خاصة القلائد التي صنفت بكامل أجزائها من الزجاج حيث وجدت العديد منها، تتميز بألوانها وأشكالها من الرؤوس الآدمية **(أنظر الصورة رقم 10).**

بالنسبة للحلي صنعت بعض أجزائها من الزجاج، فقد إستخدم الحرفي الفينيقي مادة الزجاج لمحاكاة الأحجار الكريمة التي كانت في متناولهم فقد تاجر بها الفينيقيون وتحصلوا عليها من أبعد المناطق [3]، مما جعلها نموذج يمكن محاكاته خاصة وأن الزجاج الفينيقي كان قادرا على التحكم في العجينة الزجاجية، كونها مادة طيعة بإمكانها تشكيلها وتلوينها كما يشاء [4].

صنع الزجاجيون الفينيقيون الأواني من أهمها الكؤوس التي كانت الزجاج من العاتم قبل إستخدامهم لتقنية النفخ، فقد كانت الكؤوس الأولى عاتمة وسميكة وبسيطة كذلك من حيث الأشكال، وحدث تطور في صناعة هذا النوع من الأواني بعد إستخدامهم لتقنية النفخ حيث تحصلوا على زجاج شفاف ورفيع فكانت الكؤوس المصنوعة من الزجاج الشفاف، رفيعة وشفافة. وجدت نماذج منها خارج الساحل الفينيقي وميزتها أنها كانت مرصعة بأشكال مختلفة كالأصداف والأسماك [5].

---

[1] - G. Parrot, Chipiez, op.cit, T III, P 741.

[2] - J. Toutain, op.cit, P 165

[3] - بشير زهدي، " **لمحة عن الأحجار الكريمة والجواهر القديمة ونماذجها في المتحف الوطني** (الحوليات الأثرية السورية- المجلد، 14-، 1964) ، ص 108.

[4] - Giovana Pisano, « **Le verre »,** Les Phéniciennes sous la Direction du Sabatino Moscati» P 108.

[5] - René Dussaud, « **un Nouveau nom d'un verrier sidonien»** P 233.

كان الفينيقيون السباقين في مجال صناعة الزجاج الشفاف لذلك ذاع صيتهم في هذا المجال وكانت لمصنوعاتهم المتميزة زبائن، خاصة وأنهم أبدعوا في تشكيل مصنوعات رفيعة توحي بذوقهم الفني. كانوا السباقين في صناعة منتوجات أخرى، لها إستعمالاتها كالمرايا فحسب يلينى الأقدم **Pline L'ancien** كانوا أول من صنع المرايا الزجاجية [1]. كما كانوا أول من صنع الأزهار من مادة الزجاج [2].

المطلب الثاني: القيمة المادية للمصنوعات الزجاجية.

تنوعت المصنوعات الزجاجية الفينيقية التي كانت لها قيمتها المادية وهذا ما نستدل عليه من بعض النصوص المعاصرة لإنتشار تجارة الزجاج الفينيقي.

فقد ورد ذكر الزجاج إلى جانب المواد الثمينة من المعادن كالذهب. ففي سياق الحديث عن بحث أيوب عن الحكمة في العهد القديم ورد ذكره إلى جانب مواد ثمينة. فيما يلي: "...أما الحكمة فمن أين توجد، وأين هو مكان الفهم لا يعرف الإنسان قيمتها ولا توجد في أرض الأحياء، العمل يقول: ليست هي فيَّ. والبحر يقول ليست هي عندي، لا يعطي ذهب خالص بدلها ولا توزن فضة ثمن لها لا توزن بذهب أوفير أو بالجزع الكريم أو الياقوت الأزرق لا يعاد لها الذهب ولا الزجاج، ولا تبدل بإناء ذهب إبريز. كما يذكر المرجان أو البلور..." [3].

الزجاج حسب نصوص العهد القديم كان له قيمة مادية قد تعادل المعادن الثمينة والأحجار الكريمة، لذلك كانت المصنوعات الزجاجية تقدم كجوائز، وهذا دليل على تقديرهم لها [4].

---

1 - Pline, XXX VI, 66.

2 - Pierre Montet, « **Les Reliques de L' art syrien dans L'Egypte du Nouvelle empire**» Paris, P 179.

3 - الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر أيوب، 28 12-18.

4 - René Dussaud, « **un Nouveau nom d'un verrier sidonien**» P 230.

إستمر تقدير المصنوعات الزجاجة حتى في الفترات اللاحقة، فعندما فرض يوليوس قيصر (101-44 قبل الميلاد)،الجزية على مصر،إشترط أن تكون الجزية، من المصنوعات الزجاجية المختلفة وعادة الجزية تفرض من المواد الثمينة التي لها قيمتها المادية [1].

المبحث العاشر: العاج والمصنوعات العاجية

تاجر الفينيقيون بالعاج والمصنوعات العاجية، ويعتبر العاج من أثمن المواد التي إستوردها الفينيقيون وقاموا بتصنيعها وإعادة بيعها في شكل منتوجات مختلفة ولم تكن مادة العاج في متناولهم مباشرة كون مصدرها المتمثل بالدرجة في الفيل [2]، لم تكن من الحيوانات التي تعيش في إقليم الساحل الفينيقي.

المطلب الأول: مصدر العاج:

تحصل الفينيقيون على العاج هذه المادة النادرة والثمينة من مختلف المناطق فكانت بلاد الرافدين وآسيا الوسطى[3] المصدر الأول وتوفر العاج في هذه المناطق تؤكده رحلات الصيد التي كان يقوم بها فراعنة مصر [4]، بالإضافة إلى إفريقيا التي تعد مصدر هام للعاج [5]، فقد عرفت المنطقة بترويضها الفيل فقد كانت من الحيوانات التي تستخدم في الحروب، فقد أكدت المصادر ترويض قرطاجة للفيل وإستخدمته في الحروب البونيقية [6]. كما كانت كذلك الهند مصدرا لمادة العاج عبر الخليج الفارسي [7].

كانت كذلك بلاد أوفيل من المناطق التي وصلت إليها السفن التجارية الفنيقية للحصول على المواد الثمينة كالمعادن والعاج، وهذا حسب ما ورد في سفر الملوك الأول:

---

[1] – هناء عبد الخالق، المرجع السابق، ص 22.

[2] – Fady Stephan, « **Les Ivoires Phéniciennes 2000 ans D'Art en Orient** » Kaslik, LIBAN, 1996, P 7.

[3] – C. De Mertzerfeld, « **Les Ivoires Syriens** (Mélanges Syriens, T 2, » Paris, 1939, P 587.

[4] – فيليب حتي، " **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين** "، ص 96.

[5] – Fady Stephan, Ibid, P 8.

[6] – Polybe, II, 2, Histoires, trt, D. Roussel, (Gallimard, Paris, 1970).

[7] – Parrot. Ch. Chipiez. Op.cit, P 845.

"... لأنه كان للملك في البحر سفن ترشيش مع سفن حيرام، فكانت سفن ترشيش تأتي مرة في كل ثلاث سنوات، أتت سفن ترشيش حاملة ذهب وفضلة وعاجًا وقرودًا وطواويس " [1].

تختلف خصائص العاج حسب المنطقة التي يعيش فيها الفيل من حيث الطول والحجم، فأنياب الفيل في قارة آسيا طولها أصغر من أنياب الفيل في قارة إفريقيا حيث يصل طول أنياب الفيل الإفريقي إلى حوالي متر وثمانون سنتيمتر، أما وزن زوجين من الأنياب فقد يصل إلى خمسين كيلو غرام [2].

يعتبر العاج من المواد الثمينة التي تاجر بها الفينيقيون ويرمز للرفاهية منذ أقدم العصور كونه مادة نادرة يصعب الحصول عليها، بالإضافة إلى كونها مادة غير متجددة كذلك إرتفاع ثمنها مرتبط بخصائص العاج المتميز بلونه الأبيض البراق، حيث لا يفقد هذه الخاصية بمرور الزمن. واللون الذي يتميز به العاج يعرف باللون العاجي، كذلك له خاصية متميزة. فالعاج غير قابل للتلف في حالة حفظه في الشروط الطبيعية، فالعاج مادة مقاومة حتى في حالة بقائه داخل الماء لفترة طويلة، ومن مميزاته كذلك أن إستخدامه يكون أسهل إذا كان حديث القطع، والدليل على مقاومة العاج البقايا الأثرية [3] للمصنوعات العاجية التي وجدت في مناطق مختلفة لازالت تحتفظ بخصائصها. ما يؤكد كذلك أن العاجيات كانت من المواد الثمينة وجودها في أغلب الأحيان في مواقع للقصور الملكية وهذا ينطبق على العاجيات التي وجدت في بلاد الرافدين وهذا ما يؤكد كذلك أن العاجيات لم تكن من مقتنيات العامة لإرتفاع ثمنها [4]. وما قد يفسر كثرة العاجيات التي وجدت بمدن مثل نمرود Nimroud ، خرسباد Khorsabad وأرسلان طاش Arslan Tach أن العاجيات كانت من ضمن ما تحصل عليه الآشوريون خلال توسعاتهم على الساحل الفينيقي من ثروات ومواد

---

[1] – الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الملوك الأول، 10 20.

[2] – Fady Stephan, op.cit., P 7.

[3] – Ibid.

[4] – Maria Luisa Oberti, , « **Les Objets en os et en ivoire (Les Phéniciens sous la Direction de Sabatino Moscati** » P 404.

ثمينة كالعاج، بالإضافة إلى كون إستعانة الآشوريين بالحرفيين الفينيقيين في زخرفة قصورهم[1].

المطلب الثاني: المصنوعات العاجية.

أتقن الحرفي الفينيقي الصقل والنقش على العاج، وتفنن في تشكيل مصنوعات من العاج، فأبدع في إستغلال مادة العاج الثمينة حيث إستطاع التحكم فيها بإستخدامه لأدوات وتقنيات خاصة والبقايا الأثرية من المصنوعات العاجية التي وجدت في الساحل الفينيقي وخارجه تؤكد ذلك.

تتمثل المصنوعات العاجية في مختلف أدوات الزينة كالعلب والصناديق المتميزة بحجمها الصغير منها المخصصة للخضاب[2] ميزة أخرى بالنسبة لهذا النوع من المصنوعات العاجية أنها متشابهة حيث صنعت في شكل بطة لا يتجاوز طولها عشرون سنتمتران وأغلب النماذج التي وجدت يبدو فيها رأس البطة مستدير نحو الخلف، يعلو جسم البطة غطاء العلبة، وإن إختلفت في بعض التفاصيل فأغلب العلب التي عثر عليها أجزاءها مثبتة بنفس الطريقة، وعلى الأرجح أن الصانع الفينيقي قد قلد هذا النوع من العلب عن المصريين [3].**(أنظر الصورة رقم 31)** . وجد كذلك الدبابيس العاجية المتميزة بنهاية مستديرة، وأمشاط لها ميزة، كونها مزدوجة الأسنان أو ذات صف واحد. وهي مزخرفة بأشكال مختلفة كما صنع الحرفي الأزرار من العاج بسيطة الشكل ومزودة بثقب واحد [4].

كثيرة كذلك هي التماثيل المصنوعة من العاج، منها الكاملة، أو الجزء العلوي المتمثل في الرأس فقط، وأهم نموذج وجد خارج الساحل الفينيقي عثر عليه في مدينة نمرود، إرتفاعه لا يتجاوز خمسة عشر سنتمتر يعرف التمثال بموناليزا نمرود [5] حيث تبدو ملامح الوجه

---

1 – George Conteneau, , « **La Vie Quotidienne a Babylone et en Assyrie** », P, 136.

2 – C. De mertzenfeld, op.cit, P 587.

3 – Fady Stephan, op.cit, P P 60-69.

4 – Ibid, PP 235-640

5 – Maitland, A, Edey, op.cit, P 75.

واضحة كالعيون والحواجب ،الفم، الأنف يعلو الرأس تاج بسيط، كما يبدو الشعر متدلي من الجانبين (**أنظر الصورة رقم 32**).

وفي الأخير لم يكتف التجار الفينيقيون بنقل مختلف المنتوجات المادية من المواد الخام والمصنوعات والمنتوجات الزراعية المختلفة، فقد ساهموا في نقل منتوجات من نوع آخر بطريقة غير مباشرة تتمثل في الأفكار التي نعتبرها تأثيرات حضارية انتقلت إلى مختلف المناطق التي تعامل معها الفينيقيون كان أهمها الحروف الأبجدية والمعارف المختلفة خاصة في مجال الزراعة، وهذا الجانب من التجارة الفينيقية يحتاج إلى بحث ودراسة متعمقة.

الخاتمة:

ارتبط الاقتصاد الفينيقي في البحر المتوسط بالتجارة والتوسع، ويمكن اعتبار هذه الظاهرة فريدة من نوعها تميز بها الفينيقيون دون غيرهم من الشعوب المعاصرة لهم، وقد اقترن ذكرهم بالتجارة البحرية والملاحة. وقد استطاعوا احتكار طرق تجارية بحرية خلال عدة قرون كما ظهروا بطريقة تختلف عن غيرهم، وهذا التميز كان نتيجة لعدة على عوامل وظروف كان أهمها الظروف الطبيعية والسياسية التي عرف الفينيقيون كيف يستغلونها أحسن وجه، وفيما يلي أهم النتائج المتوصل إليها:

- كانت طبيعة الساحل الفينيقي لها علاقة مباشرة بتوجه الفينيقيين بالتجارة البحرية، حيث تميز الساحل الفينيقي بضيق المساحة عموما والمساحة الزراعية على وجه الخصوص، فالمساحة الضيقة للزراعة لم تكن لتكفي حاجيات الفينيقيين مما جعلهم يتوجهون للبحر للحصول في البداية على مورد للغذاء، فكانت حرفة اليدج أولى بدايات استغلال البحر وثرواته.

- توجه الفينيقيين للبحر كان مرتبطا بعدة عوامل طبيعية مرتبطة هي الأخرى أساسا بطبيعة التضاريس، حيث تميز الساحل الفينيقي بوجود مجموعة من المرتفعات الجبلية التي ساهمت في ضيق المساحة والمساحة الزراعية على وجه التحديد، كما كانت المرتفعات الجبلية عائقا أمام تنقل السكان وتكون بذلك المرتفعات الجبلية عاملا طبيعيا سلبيا، لكن من جهة أخرى كانت مصدر ثروة إذ عرف الفينيقيون كيف يستفيدون ويحسنون استغلاله، فقد غطت الغابات المرتفعات الجبلية بأنواع مختلفة من الأشجار الصالحة للبناء ومختلف الصناعات ونخص بالذكر صناعة السفن.

- استفاد الفينيقيون من الثروة الخشبية المتنوعة وخاصة أخشاب الآرز التي لم تكن لتفيدهم إلا على أساس التبادل التجاري أو استغلالهم في صناعة السفن التي برعوا فيها وقد

مرت بمراحل حيث طوروا سفنهم التي كانت في البداية سفن بسيطة تصلح للتنقل بين مدن الساحل الفينيقي ونقل الحمولات الخفيفة، كما كانت تصلح للصيد بالقرب من الساحل وبالرغم من أن الفينيقيين قاموا بتقليد السفن الإيجية إلا أنهم استطاعوا التفوق في مجال بناء السفن التي طوروها، حيث أصبحت لهم سفن قوية قادرة على إبحار لمسافات بعيدة وفي أعالي البحار، فقد زودوا سفنهم بالأشرعة والمجاذيف، فأظهروا تفوقهم في هذا المجال بالرغم من أنهم لم يكونوا أول من قام ببناء السفن لكنهم نجحوا في إضافة أجزاء جعلت سفنهم قوية باستخدامهم لصالب القاعدة بقطعة خشبية واحدة بالإضافة إلى استخدام المعادن التي زادت من تماسك أجزاء السفينة فكانت لهم سفن متميزة بالصلابة والقوة، يكون بذلك الفينيقي قد أظهر مهارته وقدرته باستغلال موارده وتخطى صعوبة الطبيعة.

- استغل الفينيقيون طبيعة ساحلهم من خلال إنشاء الموانئ على الرؤوس والخلجان المنتشرة على امتداد الساحل الفينيقي، فكانت موانئهم الأولى نقطة الانطلاق نحو البحر المقابل لهم على امتداد الساحل الفينيقي، وكان اختيارهم موفقا، حيث اختاروا مواقع ملائمة وعملوا على إضافة تحسينات وبذلك يكون الفينيقيون قد أظهروا قدرتهم في استغلال الظروف الطبيعية من تضاريس وثروة خشبية وواجهة بحرية.

- بالنسبة للواجهة البحرية تعد أول مدرسة للملاحة، فالتنقل بين المدن الفينيقية عبر البحر من الشمال إلى الجنوب وفي الاتجاه العكسي جعلهم يكتسبون خبرة فما لبثوا أن انتقلوا الملاحة في اتجاهات مختلفة، فأبحروا إلى مصر وأقرب الجزر إليهم كجزيرة قبرص، ومنها توجهوا إلى جزيرتي ردوس وكريت، وأقصى المناطق في الحوض الغربي للبحر المتوسط والأكيد أن إبحارهم في أعالي البحار كان مرتبط أساسا بصناعتهم للسفن القوية، بالإضافة إلى اكتسابهم لخبرة في مجال الملاحة، فقد جمعوا معارفهم في مجالات مختلفة نخص بالذكر علم الفلك والجغرافيا والقياسات، حيث وضفوها ليتمكنوا من تحديد

اتجاهات طبيعة التيارات واتجاه الرياح والاهتداء بالنجوم، فوضعوا طرق بحرية كان لهم الفضل في وضعها واستخدامها كما قاموا باحتكارها لفترة زمنية وكان لهم الفضل في تقديم بعض هذه المعارف لغيرهم من الأمم البحرية.

- فضل تطور الملاحة عند الفينيقيين استطاعوا الإبحار إلى مناطق معلومة أخرى مجهولة لم تصل إليها البحريات القديمة، فقد وصلوا إلى أقصى المناطق في الحوض الغربي للمتوسط، وتوغلوا حسب بعض الأبحاث الحديثة إلى المحيط الأطلسي، كما أكدت بعض المصادر قيامهم بدوران حول إفريقيا بأمر من الفرعون المصري وهذا يؤكد اتساع معارفهم الملاحية وجرأتهم في ركوب البحر.

- استطاع الفينيقيون إنشاء إمبراطورية بحرية بفضل التجارة البحرية، فقد ارتبطت التجارة بالتوسع والاستيطان، حيث لم يكتف التجار الفينيقيون بتصريف المنتوجات المختلفة الزراعية والصناعية والعودة إلى الوطن الأم بعد قيامهم برحلات بحرية كانت تستغرق وقتا طويلا قد يتعدى عدة أشهر، فقد توسعت لهم الآفاق بعد وصولهم لمناطق وجدوا فيها أسواقا تضمن تصريف منتوجاتهم التي لم تكن من الكماليات فقط، ولم يكتفوا بالتبادل فقد سعوا للحصول على المواد الخام من المعادن والثروات البحرية.

- خرج التجار الفينيقيون في التجارة مع المناطق المجاورة والبعيدة في كلا الحالتين ربطوا علاقات تجارية دائمة نتج عنها إقامة دائمة كجاليات في المناطق التي تتميز بوجود قوة سياسية، حيث لم يكن بإمكان الفينيقيين بالحصول على أرض للاستيطان، فكانت إقامتهم كجاليات للإشراف على نشاطاتهم الاقتصادية وينطبق الأمر على تواجهم في مصر وبلاد الإغريق، حيث أقاموا كجاليات.

- أقام الفينيقيون خارج الساحل الفينيقي بشكل دائم في بعض المناطق، حيث أنشأوا مجموعة من المستوطنات منتشرة من الحوض الشرقي للبحر المتوسط إلى الحوض

الغربي وإقامتهم الدائمة ارتبطت بنشاطهم الاقتصادي، فلم تكن هذه المناطق أسواقا للتبادل التجاري فقط، بل كانت مناطق للاستغلال الدائم للثروات، خاصة المعادن والثورات البحرية فاختيارهم للإقامة الدائمة ارتبط باستغلال المواد الخام التي تتطلب اليد العاملة، فاستخراج المعادن تطلب مختصون في المناجم والصهر والتصنيع، فلم تكن المعادن تنقل في شكلها الخام، ففي أغلب الأحيان تاجروا بها كمصنوعات والأمر ينطبق على ثروات أخرى اهتم الفينيقيون بالحصول عليها كالثروة السمكية التي أقيمت لها مصانع للتمليح وصناعة صلصلة القاروم في نفس أماكن الصيد أو بالقرب منها، وينطبق الأمر كذلك على استخراج الصباغ الأرجواني.

- أغلب الثروات التي توفرت للفينيقيين خارج الساحل الفينيقي وخاصة في الحوض الغربي للبحر المتوسط كانت تصنع في نفس المكان والهدف من ذلك كان ربح الوقت فنقلها في شكلها الخام لم يكن يعود عليهم بالأرباح.

- الاستغلال الواسع للثروات يتطلب إلى جانب اليد العاملة مجموعة من الفينيقيين لإدارة هذه الأعمال فتطلب منهم الأمر التوسع الترابي وممارسة نشاطات فإلى جانب استغلال الثروات مارسوا الزراعة المرتبطة بالاستقرار وميز هذا النوع من الاستيطان حضور المؤسسة الدينية المتمثلة في المعبد، حيث جسد الحضور الفعلي للفينيقيين فقد لعب المعبد دور المؤسسة الاقتصادية والإدارية والسياسية، فالمعبد خارج الساحل الفينيقي يمثل بيت المال وبصفة معمارية كان يؤمن علاقات الفينيقيين مع السكان المحليين نظرا للقدسية التي يتميز بها المعبد.

- استطاع الفينيقيون إنشاء إمبراطورية بحرية تمتد من الشرق إلى أقصى الغرب لكن بدون سلطة مركزية، فقد اختلف التوسع الفينيقي ذو الطابع الاستيطاني عن غيره من التوسعات، فأسلوبهم في التوسع يختلف عن أسلوب الإغريق باعتبارهم عاصروا ذروة التوسع الفينيقي، فنجاح الاستيطان الفينيقي مرتبط بأسلوبهم وطريقتهم في التعامل وهذا

ما قد يفند رأي منافسيهم خاصة الاغريق الذين وصفوا التجار الفينيقيين بالجشع وممارسة القرصنة، فقد عرفوا بمرونتهم وليونتهم في التعامل، حيث لم يستخدموا القوة من أجل اكتساب أراضي أو إقامة علاقات تجارية، كما تميز الفينيقيون بالانفتاح على الآخرين فمعاملة التاجر تختلف عن معاملة المحارب للآخرين، وربما موقع فينيقيا كملتقى للحضارات جعل لهم خبرة في مجال التعامل مع الآخر، فلم تكن لهم نظرة دونية لمن تعاملوا معهم حتى وإن كانوا أقل تحضر منهم.

- سبب نجاح الفينيقي في تأسيس إمبراطورية بحرية ارتبط بحرصهم الدائم على المحافظة على مصالحهم، فلم يعتمدوا على قوتهم العسكرية في الحماية لكن اعتمدوا على أسلوب آخر، فقد حافظوا على معارفهم الملاحية بالكتمان والسرية، خاصة إذا تعلق الأمر بالطرق البحرية التجارية المتوجهة إلى المناطق البعيدة وهذا ما جعلهم يحرصون على عدم رسم خرائط ملاحية فتناقلوها شفويا.

اختلفت عملية التوسع الفينيقي الاستيطاني فقد ارتبطت أساسا بالتجارة ونشاطات اقتصادية مختلفة مارسها الفينيقيون بحسب إمكانيات مناطق توسعهم، ويكون بذلك الفنيقيون قد أظهروا بشكل فعلي إمكانيات كل منطقة وأهميتها، والتغييرات التي ساهم الفينيقيون في إحداثها لا يمكن للباحثين تجاهلها وهذه المساهمة الفعلية تظهر جليا من خلال استغلالهم للثروات المختلفة فقد مارسوا الزراعة في المستوطنات المتميزة بالأراضي الخصبة ونقلوا معارف في مجال الزراعة ومزروعات كانت لها أهميتها في التجارة.

ساهم الفينيقيون من ناحية أخرى، بجوانب متعلقة بالملاحة حيث أظهروا أهمية الجزر المنتشرة عبر أرجاء البحر المتوسط انطلاقا من جزيرة قبرص أولى نقاط الإرتكاز الملاحية عند التجارة الفينيقيين وصولا إلى أقصى منطقة في الحوض الغربي للبحر المتوسط، فكان لهم الفضل في رسم معالم للطرق التجارية البحرية. التي تعتمد بشكل عملي على الجزر،

كما أنهم ساهموا في تحويل الجزر إلى مراكز تجارية مأهولة، حيث شهدت أغلب الجزر نشاطات مختلفة كان أهمها التجارة واستغلال الثروة المعدنية.

- النتيجة التاريخية هي تأكيد أن الحضارة الفينيقية قامت على التجارة وخاصة البحرية، نتيجة لعدة عوامل طبيعية، فقد خلدت الفينيقيين في التاريخ القديم، حيث عاصرت أقوى الحضارات ولم تدخل في صراعات وحروب من أجل التوسع، إذن الظاهرة الفينيقية هي التوسع بطرق سلمية لا تكاد نلمس صراعات حيثما نبحث نجد أسماء مدن فينيقية، وآلهة فما تركه الفينيقيون لم يكن ماديا بالدرجة الأولى فلا يقارن بما تركه الرومان أو الفراعنة أو الإغريق من مظاهر حضارية مادية. لكن ما وصل إليه الفينيقيون عن طريق التجارة يعد إنجازا حضاريات متميزا، فقد كانوا تجار حضارة بطريقة غير مباشرة فيكفي أنهم كانوا من وضع الأبجدية التي أخذها عنهم الإغريق وغيرهم من الشعوب المتحضرة وغير المتحضرة.

المصادر والمراجع

I) المصادر:

1) المصادر المترجمة

- جلجامش، ترجمة فراس السواح، ط2، منشورات دار علاء الدين، (سوريا 2002).
- قصة سنوحي، ترجمة محمد عوض محمد، ط2، دار المعارف (مصر، 1955).
- الكتاب المقدس، مترجم من اللغة الأصلية، دار الكتاب المقدس، (لبنان، 1978).
- نصوص رأس الشمرا، ترجمة أنيس فريحة، (بيروت،1966).
- هوميروس، الإلياذة، ترجمة، سلام الخالدي، ط1، دار العلم للملايين، (1974).
- هوميروس، الأوديسة، ترجمة أمين سلامة، ط2، دار الفكر، (1987).

2) المصادر باللغة الأجنبية:

- Appien, Histoire romaine, trad Goukowsky, (Paris, 2001).
- Diodore de Scicile, Biobliothèque historique, traduire par A.F. Milo, imprimerie royale, (Paris, 1873).
- Herodote, Histoires, traduire par Larcher, (Paris, 182).
- Justin, Histoire universelle, traduire par jules pierrot, (Paris, 1853).
- Pline L'ancien, Histoire naturelle, traduire par Ajasson le grand sagne, (Paris 1833).
- Strabon, Géographie, traduire par Amédée tradien, Hachette, (Paris, 1820).
- Thucydide, La guerre de péloponnèse, Gallimard, (Paris, 1964).

II) المراجع:

1-المراجع باللغة العربية:

- إبراهيم (بكر محمد)، قراءات في حضارات الإغريق القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مصر، 2002).
- إبراهيم (نجيب ميخائيل إبرايهم)، مصر والشرق الأدنى القديم، ج3، ط2، دار المعارف (مصر، 1964).
- أحمد (زهران محمد)، فنون أشغال المعادن، دار المعارف، (مصر، 1964).
- إسماعيل (فاروق): مراسلات العمارنة الدولية وثائق مسمارية من القرن 14 ق م، ط1، إنانا للطباعة والنشر، (دمشق، 2010).
- أكدال (سعيد)، المدينة المغربية عبر التاريخ، ج1، دار نشر المعرفة (الرباط، 2015).
- باقر (طه)، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج، ط2، دار المعلمين العالمية (1956).
- الأثرم (رجب عبد الحميد)، دراسات في تاريخ الإغريق وعلاقته بالوطن العربي، ط1، منشورات جامعة قاز يونس، (بنغازي، 1996).
- جودي (محمد حسين)، فنون وأشغال المعادن، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع للطباعة (عمان، 1996).
- عبد الفتاح (محمد وهيبة)، مصر والعالم القديم جغرافية تاريخية، دار النهضة العربية، (1972).
- الجادر (وليد)، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الآشوري المتأخر النسيج والنساجون، مطبعة الآداب البغدادية (العراق، 1972).
- جود الله (فاطمة)، سوريا منبع الحضارات، تاريخ وجغرافيا أهم المواقع الأثرية، ط3، دار الحصاد ودار الحكمة (سوريا، 2009).

- الحمد (محمد عبد الحميد)، حضارة طريق التوابل (دمشق، 2009).
- حتاملة (محمد عبد الله)، إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، منشورات وزارة الثقافة (الأردن، 1996).
- حمود (محمود)، الديانة السورية القديمة خلال عصر البرونز الحديث والحديد 1600-333 ق.م.، مطابع الهيئة العامة للكتاب، (سوريا، 2014).
- عبد الخالق (هناء)، الزجاج الإسلامي في متاحف ومخازن الآثار في العراق مع دراسة أولية عن الزجاج القديم، دار الحرية للطباعة (بغداد، 1976).
- الخطيب (محمد)، الحضارة الفينيقية، منشورات دار علاء الدين (سوريا، 2007).
- الدبس (المطران يوسف)، تاريخ سوريا الدنيوي والديني، ج1، دار نظير عبود (1984).
- الخازن (نسيب وهيبة)، أوغاريبت أجيال أديان ملائم، ط1، دار الطبيعة للطباعة والنشر، (بيروت، 1961).
- زاهي (حواس)، عائلة الملك خوفو تاريخ وأسرار الأسرة الرابعة الدولة القديمة، ط1، الدار المصرية اللبنانية، (2009).
- سليم (أحمد أمين)، تاريخ الشرق الأدنى القديم العراق، إيران آسيا دار النهضة العربية (بيروت).
- الشواف (قاسم)، الفنيقيون والألعاب الأولمبية، ط1، منشورات دار علاء الدين (سوريا، 2011).
- عرب (معن)، صورة حاضرة فينيقيا، دار المشرق، بيروت، (1970).
- غانم (محمد الصغير)، التوسع الفنيقي في غربي البحر المتوسط، المؤسسة الوطنية للكتاب، (الجزائر، 1992).
- ــــــــــــــ، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، (الجزائر، 2003).

- غلاب (محمد السيد)، الساحل الفنيقي وظهيره في التاريخ والجغرافي، دار العلم للملايين (بيروت، 1969).
- غزالة (هديب)، الصلات السياسية والحضارية بين بلاد الرافدين وبلاد الشام في العصور القديمة، ط1، دار الهدى (سوريا، 2009).
- العزيفي (محمد رضوان)، ليكسوس مستوطنة فينيقية بالساحل الأطلسي للمغرب، مطبعة الآفاق، (فاس، 2010).
- عصفور (أبو المحاسن)، المدن الفنيقية، دار النهضة العربية (بيروت، 1986).
- نعيم (فرح)، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الفكر، (مصر، 1986).
- يحيى (لطافي عبد الوهاب)، اليونان مقدمة في تاريخ الحضاري، دار النهضة العربية (بيروت، 1979).

2-المراجع المترجمة إلى العربية:

- حتي (فيليب)، تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر، ترجمة، آنيس فريحة، ط3، دار الثقافة، (بيروت، 1978).
- تسركين (يولي بركوفيتش)، الحضارة الفينيقية في إسبانيا، ترجمة، يوسف أبي فاضل، ط1، جروس برس (1998).
- كونتو (جورج)، الحضارة الفينيقية، ترجمة، محمد عبد الهادي شعيرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر، 1997).
- لوفران (جورج)، تاريخ التجارة، ترجمة هاشم الحسيني، دار مكتبة الحياة (بيروت).
- سارتون (جورج) ، تاريخ العلم، ج1، ترجمة، معهد خلف الله، مصطفى الأمير وآخرون، ط3، دار المعارف، (مصر، 1976).

- مازيل (جان)، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، ترجمة، ربا الخش، ط1، دار أدوار والنشر والتوزيع، (دمشق، 1988).
- سباتينو (موسكاتي)، الحضارة الفينيقية، ترجمة نهاد خياطة، ط1، العربي للطباعة والنشر والتوزيع (دمشق، 1988).
- كوسيدوفسكي (زينون)، الأسطورة والحقيقة في القصص التوراتية، ترجمة محمد مخلوف، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، (1996).

المراجع باللغة الأجنبية:

- L'abbe (M), Recherche archéologiques sur les colonies phéniciennes, Ernest le roux, (Paris, 1973).
- Barkaoui (Abdelhamid), La marine carthaginoise, l'or du temps, (Unisie, 2003).
- Bérard Victor, Les phéniciens et l'odysée, T II, librairie Armand Colin, (Paris, 1927).
- Baurain (Claude), Bonnet Corinne, Les phéniciens marins des trois continents, Armand Collin, (Paris, 1992)
- Breasted (JH), Histoire de l'egypte depuis les temps le splus réculés jusqu'à la coquète persane, T I, (Bruxelle, 1926).
- Brun (J.P), Le vin et l'huile dans la méditerranée, (Paris, 2003).
- Carayon (Nicolas), Les ports phéniciens du liban, (2012-2013).
- Casson (Lionel), Les marins de l'antiquité, Hachette, (Paris,).
- Contenau (Georges), la vie quotidienne à babylone et en assyrie, Hachette, (Paris, 1950).
- Costelle (Daniel), Histoire de la marine, Larousse, (Paris, 1979).
- Cintas (P), Manuel d'archéologie punique, T II., édition, A et J. Picard, (Paris, 1970).

- Decret (F), Carthage au l’empire de la mer, (Paris, 1977).
- Maitland, (A.Edey), Les premiers marchandes des mers, Time life international, (Nederland, 1974).
- Fady (stéphan), Les ivoires phéniciens 2000 ans d’art en orient, Kaslik, (Liban, 1996).
- Francet (L), Céramiques primitive, (Paris, 1911).
- Gaudio (Attilo), Les empires de la mer, rené julliard, (Paris, 1962).
- Gras (M), Rouillard (P), Teixidor (T), L’univers phénicien, Hachette, (Paris, 1995).
- Gsell (ST), Histoires ancienne de l’afrique du nord, T. IV, Hachette, (Paris, 1920).
- Harden (Donald), The phénicians, thames and hudson, (London, 1962).
- Herm (Gerhard), Les phéniciens l’antiques royaume de la pourpre, Foyard, (Paris, 1973).
- Herman (SVI), Peuples mers navires, trd, Josef Milbaeur, édition arts et métiers graphiques, (Paris, 1964).
- Hubaux (Jean), Le mythe du phénix, maxime leroy, (Paris, 1939).
- Hamid (Khdija), Histoire du maroc à la lumiere de l’achéologie, afrique orient (Maroc, 1964).
- Jean (Rougé), La marine dans l’antiquité, (Paris, 2012).
- Krigs (Veronique), La civilisation phénicienne et punique, EJ, Koelen, (1975).
- Levy (Jean Philippe), L’économie antyique, presse Universitaires de France, (Paris, 1969)
- Montet (Pierre), Byblos et l’egypte, librairie orientaliste, paul Genther, (Paris, 1928).
- Maspéro (G), Histoires de l’orient, Hachette, (Paris, 1891).
- Meirat (Jean), Marines antiques de la méditérranée, Foyard, (Paris, 1964).

- Moscati (Sabatino), L’épopée des phéniciens, trad, Carlo Sala, (Fayard, 1965).
- ________________, Les phéniciens, trd : Carlo Sala, (Marabou, 1983).
- Parrot (André), Chéhab (Maurice), Moscati (Sabatino), Les phéniciens l’expansion phénicien carthage, Gallimard, (Paris, 1975).
- Parrot (G), C. Chipiez, Histoire de l’at dns l’antiquité, Hachette, (Paris, 1885).
- Poniche (Michel), Miguel Tarradell, Garum et industries antiques de salaison dans la méditerranée occidentale, presse universitaires de France, (Paris, 1965).
- Renan (Ernest), Mission de phénicie imprimerie impériale, (Paris, 1864).
- Sennequiez (G), Colonna (C), l’Algérie au temps des royaumes numides, Somogy edition d’art, (Paris, 2003).
- Samhuiber (Ernest), Histoire du commerce, tra, Claude miquel, Armand Colin, (Paris, 1963).
- Toutain (J), L’économie antique, la renaissance du livre, (Paris, 1927).

III) المقالات:

1) المقالات باللغة العربية:

- أحمد (محمود عبد الحميد)، "الصلات التجارية بين مصر وسوريا منذ عصور ما قبل الأسرات حتى نهاية الدولة القديمة 4000 – 2280 قبل الميلاد"، دراسات تاريخية.
- بومريش (ليلى): "التحنيط في مصر القديمة"، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، العدد 15-16، (الجزائر 2013).
- البياضوية (بلكامل): "الصويرة في عصورها القديمة من خلال الكتابات التاريخية – الصويرة الذاكرة وبصمات الحاضر"– منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير 1994.

- حامدة (أحمد): "الملك والأسرة الملكة في فينيقية"، دراسات تاريخية، (العددان 49 –50، 1994)، دمشق.
- ـــــــــــــ: "من مظاهر الحياة الاجتماعية في المجتمع الكنعاني الفينيقي"، دراسات تاريخية، (العددان 79–80، 2002)، دمشق.
- ـــــــــــــ: "التجارة الكنعانية (الفينيقية) في البحر المتوسط"، دراسات تاريخية، (العددان 79–80، 2001)، دمشق.
- الجندي (عدنان): "رأس الشمار أوغاريت المدينة السورية الخالدة"، الحوليات الأثرية السورية، (المجلد 10، 1981)، سوريا.
- رشيد المصطفى (مولاي): "الرحلات خلال العصر القديم"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، (العدد 24، 2001)، الرباط.
- روفائيل (الخوري بطرس): "أرز لبنان في هيكل سليمان"، المشرق، (العدد 26، 1928).
- زهدي (بشير): "لمحة عن الأحجار الكريمة والجواهر القديمة ونماذجها في المتحف الوطني"، الحوليات الأصرية السورية، (المجلد 14، 1964)، سوريا.
- ـــــــــــــ : "لمحة عن الوجاج وروائعه في المتحق الوطني بدمشق"، الحوليات الاثرية السورية، (المجلد،).
- ـــــــــــــــ: "شواهد من حضارات البحر الأبيض المتوسط"، الأصالة، (العدد5، 1977)، الجزائر.
- عيد مرعي، " التجارة بين ماري و يمحاض في القرن الثامن عشر قبل الميلاد "، مجلة الدراسات التاريخية، العددان 67–68، كانون الثاني– (حزيران 1999) ، دمشق.
- العزيفي (محمد رضوان): "حالة السكان القدامى للمغرب عند اتصالهم بالفينيقيين"، المصباحية، (العدد 3، 1999)، فاس.

- ـــــــــــــــــــــــــــ: "الدور الاقتصادي لمؤسسة المعبد في عملية التوسع الفينيقي"، أضواء جديدة على تاريخ شمال إفريقيا القديم وحضارته، (2007).
- ـــــــــــــــــــــــــــ : "الفينيقيون بالساحل الأطلنطي للمغرب من خلال رحلة حنون"، المصباحية، (1999)، فاس.
- ـــــــــــــــــــــــــــ: "السلع المتبادلة بين الفينيقيين والمغاربة القدماء كأقدم نموذج عن علاقات المغرب التجارية مع العالم المتوسطي"، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر التاريخ، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، (1989)، الدار البيضاء.
- محمود (شيماء عبد الباقي): "صناعة السفن الحربية في مدن البحر المتوسك وكيفية تطورها عند المسلمين خلال القرن الاومل الهجري، السابع الميلادي"، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، (المجلد 7، العدد3، 2012)، العراق.
- فرزان (محمد حرب): "الديانة الفينيقية وعناصر المثيولوجيا في الحضارة السورية القديمة"، مراجعة لمصادر دارستها وأهم ملامحها، دراسات تاريخية، (العددان، 41-42، 1992)، دمشق.
- الهاشمي (رضا جواد): "الملاحة النهرية في بلاد وادي الرافدين"، سومر، (المجلد 37، 1981)، العراق.

2) المقالات المترجمة للغة العربية:

- بروديل (فرنان): "فجر المتوسط"، بيت الحكمة، ترجمة مروان أبي سمرة، العدد 05، المغرب، 1987.
- فروست (أنور): "جزيرة أرواد صخورها البحرية ومراسيها"، ترجمة بكري الأسود، الحوليات الأثرية السورية، (المجلد 14، 1964).

المقالات باللغة الأجنبية:

- Briquel-chatonnet (François) : « Les phéniciens vus par les grecs », dossier histoire et archéologie, (n° 132, novembre 1988).
- Conteneau (George) : « Un bas relief assirien du musé du louvre », journal asiatique, Tome IX, (Janvier février, 1917).
- ________________ : « Mission archéologique a sidon (1914) », syria, Tome , (1920).
- ________________ : « un vaiseau de tarshish sur sarcophage sidonien », journal asiatique, (janvier, mars, 1921).
- Daressy (George) : Une flottille phénicienne d'après une peinture egyptienne, revue archéologique, (tome XXVIII, 1895).
- Dangins (F. Thyreau) : « un comptoire de laine pourpre angarit d'après une tablette de ras shamra », syria, (Tome XV, 1934).
- Doumet (Joseph), de la tetinure en pourpre des anciens par l'extration du produit colorant des murx tronculus Brandaris et des purpura Hesmatoura », national musem news, (ninth issue, 1999).
- Dussand (rené), « Le commerce des anciens phéniciens à la lumière des dieux gracieux et beaux », syria, (Tome XVII, 1936).
- ______________ : un nouveau nom de verier sidonien », (syria), Tome 1, 1920.
- Duthiers (H. Lacaze), « Mémoire sur le pourpre », annales des sciences naturelles, (Tome LXIV, 1987).
- Faber (Camps), L'olivier et l'huile dans l'afrique romaine. Revue des études anciennes, Tome 57, (1955).
- Fantar (Mhamed Hassanine), « dans le sillage des phéniciens » le courrier de l'unesco , décembre, 1983).
- __________________ : «Les en Algérie, tunisie et en libyé », dossier histoires et archéologie, (n° 132 novembre 1888).

- Févrrier (James G) : « Les origines de la marine phénicienne », revue d'histoire de la philosophie et d'histoire générale de la civilisation, (3 annés, 1935).
- Goldstream (Nicolas) : Les phéniciens dans la mer Egée, dossier histroires et archélogie, (n° 132 novembre 1988).
- Lenermant (F) : « Tarshish étude démographie et de géographie », revue questions historiques, (T. XXX, II, 1982).
- Lévy (Isidore) : « L'origine du nom de la phénicie », Revue phililogie, (Tome XXIX, 1905).
- Moscati (Sabatino), Amadsi Guzzo (Maria Givlia) : « La présence phénicienne en sicile en sardaigne et à malte », Dossies histoire et archéologie, (n° 132, novermbre, 1988).
- Ponich (Michel) : « Implantation rurale du Maroc phénicien », Dossier histoire et archéologie, (n° 132, novembre, 1988).
- Orfali (M. KH) : « Les portes phénico-puniques en Algérie », phéniciens en Algérie, les vois du commerce entre la méditirraznée et l'Afrique noire, ministre de culture, (2011), Algérie
- Ruizmata (Diego) : « Les phéniciens dans la baie de cadix, dossier histoire et archéologie, (n° 132, novembre 1988).
- Sznycer (Maurice) : « Les phénicens et la mer », dossiers histoire et archéologie, (n° 132, novembre 1988)

IV) الموسوعات والقواميس:

1) الموسوعات والقواميس باللغة العربية:

1-البستاني (فؤاد أفرام)، دائرة المعارف، (بيروت، 1971).

2-الخوند (مسعود)، الموسوعة التاريخية الجغرافية، (لبنان، 2001).

3-وليم (لانجر)، مسوعة تاريخ العالم، ج1، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، (لبنان، 1954).

4-أحمد (شاكر)، موسوعة الحضارات القديمة والحديثة وتاريخ الأمن دار أسامة للنشر والتوزيع، (الأردن، 2002).

2) **الموسوعات باللغة الأجنبية:**

- Dictionnaire de la Bible, Librairie letouzcy ett ané, (Paris, 1922 – 1928).
- Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, (Brepols, 1992).
- Dictionnaire Etymologique de la langue Grecque, (Paris, 1999).
- Encyclopédia Universalis, corpus 18, (Paris, 1990).
- Encyclopédia Encarta, (2006).

V) الرسائل الجامعية:

- أشلاف (فطومة): الصناعات الحرفية الفينيقية 1200 – 332 ق.م، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، إشراف شارن شافية، قسم التاريخ، (الجزائر 2009–2010).
- أورفه (لي محمد خير): خصائص العمارة الفينيقية في المغرب القديم خلال الألف الأول ق.م.، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، إشراف هشام الصفدي، معهد الترايخ، (الجزائر، 1975–1976).
- آيت عمارة (ويزة): دور السفينة في التجارة والتوسع الاستيطاني في البحر المتوسط القديم، مذكرة ماجستير في الترايخ القيم، إشراف محمد البشير شنيتي، معهد التاريخ (الجزائر، 1995).
- خير (عامر): العلاقات التجارية بين فينيقيا ومصر فيما بين 2780 ق.م والقرن السادس ق.م، مذكرة ماجستير في الترايخ القديم، إشراف بلقاسم رحماني، (الجزائر، 2012–2013).
- يونس (إياد عبد الله): الحياة الاقتصادية في اوغاريت في القرنين 13–14 ق.م.، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، إشراف أحمد حامدة، (دمشق، 2000).

الملاحـــق

ملحق النصوص

النص رقم 01: النص الأصلي

عن. (F. Thureau – Dangins, op.cit., PP 138-140)

200 (sicles) de laine pourpre, dus par *Il[i?]-na-qa-na*, fils de *A[a?]-na-ta*
200 (sicles) de laine pourpre, dus par *Til(?)*, fils de *Nim-...*
200 (sicles) de laine pourpre, dus par *Addu-ša-la-mu*
200 (sicles) de laine pourpre, dus par *Gal-la-na*, fils de *Na-zi-ka-na* (1)
(5) 200 *dito*, dus par *Ia-tar-šumu*, fils de *La-i-ia-wa*
200 *dito*, dus par *Ia-du-wa*, fils de *Be-wa*
100 *dito*, dus par *Ul-ba-at-ia-nu*
400 *dito*, dus par *Ta-at-ta-l[a?]-na*
100 *dito*, dus par *Ia-tar-Nergal*, fils de *Si-ik-ru-ti*
(10) 400 *dito*, dus par *Ma-ah-ni-na*, fils de *Ma-hi-za-na*
200 *dito*, dus par *Al[di]-it* (2), fils de *Ha-ru-ṣi-en-ni*
300 *dito*, dus par *E[in] Addi* (3)
200 *dito*, dus par *Abdi-Nergal*

100 *dito*, dus par *Il-taq-ni* (1)
(15) 300 *dito*, dus par *Il-taq-nu* (1), fils d'*Abdi-il*
400 *dito*, dus par *E-la-ma-at-ia-nu*
200 *dito*, dus par *Abdi-A-da-ti* (2)
200 *dito*, dus par *Il-šar* (3), fils de *Zi-qa-ra-na*
100 *dito*, dus par *Ak-te-na*, le.....
(20) 300 *dito*, dus par *Da-na-na*, fils de.....
200 *dito*, dus par *Šamša-šamu-na*, fils de.... -wa
200 *dito*, dus par *Uz-zi-na*, fils de *Ha-ru-ṣi-en-ni*
300 *dito*, dus par *Pu-ka*
200 *dito*, dus par *Bin-A-ia-ah-hi* (4)
(25) 200 *dito*, dus par *Za-ak-ri ia-na*,
fils de *Bil-zi* (5)
100 *dito*, dus par *Addu-li-wa*, fils de *Ra-ga-na*
400 *dito*, dus par *Ma-an-te-ni*, fils de *Gal-la-na*,
fils de *Na-zi-qa-na* (5)
(30) 100 (sicles) de laine pourpre, dus par *Gi-š[e?]*, fils de *Ša-mu-k[i]-na*
100 *dito*, dus par *A-zi-ri* (6)
2 talents 600 (sicles) de laine pourpre, en tout.

ترجمة النص الأول

عن. (F. Thureau – Dangins, op.cit., P 140)

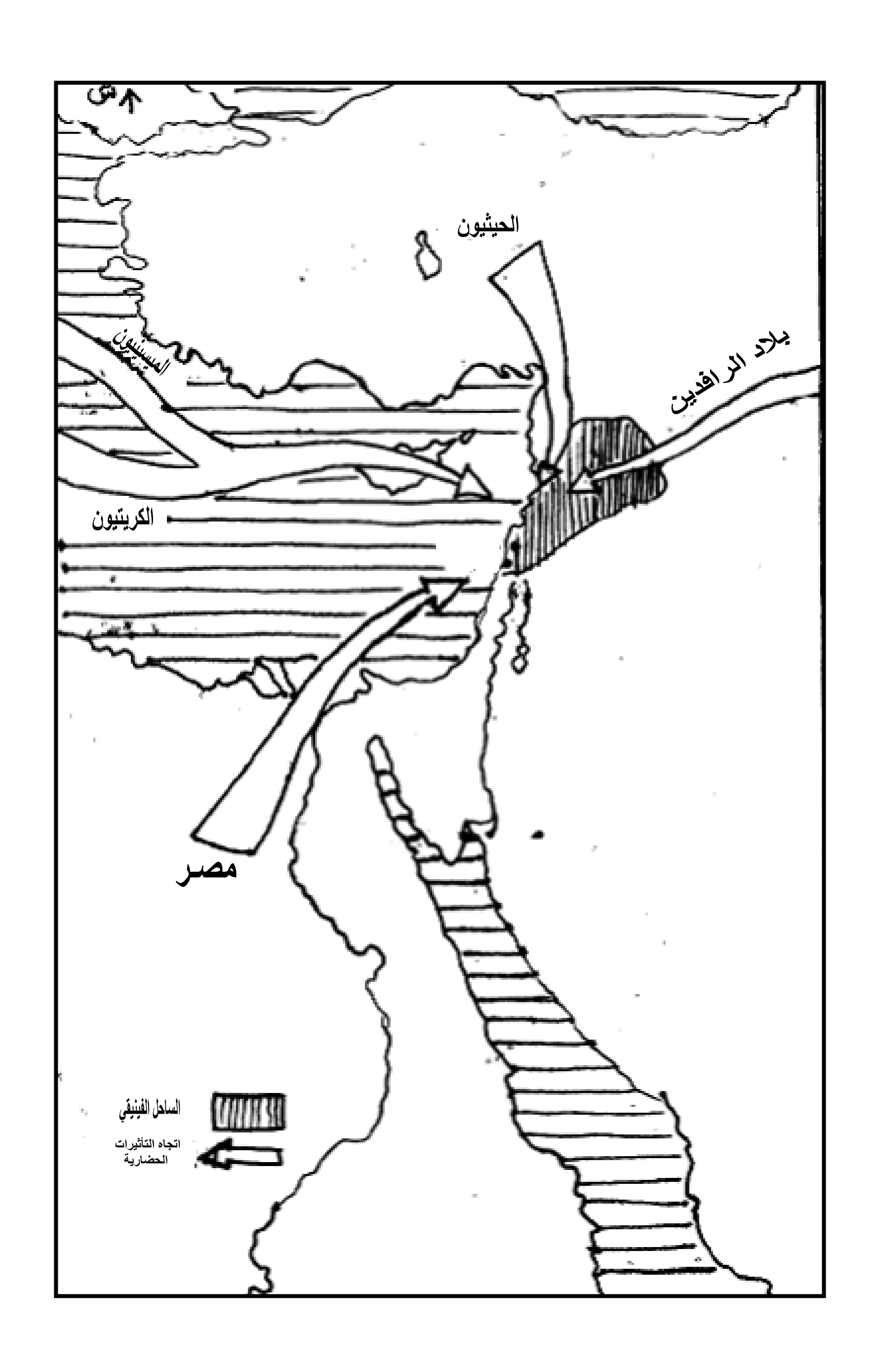
وكان الي كلام الرب قائلا 2وانت يا ابن ادم فارفع مرثاة على صور 3 وقل لصور ايتها الساكنة عند مداخل البحر تاجرة الشعوب الى جزائر كثيرة هكذا قال السيد الرب.يا صور انت قلت انا كاملة الجمال 4 .تخومك في قلب البحور.بناؤوك تمموا جمالك 5 .عملوا كل الواحك من سرو سنير.اخذوا ارزا من لبنان ليصنعوه لك سواري 6 .صنعوا من بلوط باشان مجاديفك.صنعوا مقاعدك من عاج مطعم في البقس من جزائر كتيم 7 .كتان مطرز من مصر هو شراعك ليكون لك راية.الاسمانجوني والارجوان من جزائر اليشة كانا غطاءك 8 . اهل صيدون وارواد كانوا ملاحيك.حكماؤك يا صور الذين كانوا فيك هم ربابينك 9 .شيوخ جبيل وحكماؤها كانوا فيك قلافوك.جميع سفن البحر وملاحوها كانوا فيك ليتاجروا بتجارتك .

10فارس ولود وفوط كانوا في جيشك رجال حربك.علقوا فيك ترسا وخوذة.هم صيروا بهاءك 11 .بنو ارواد مع جيشك على الاسوار من حولك والابطال كانوا في بروجك.علقوا اتراسهم على اسوارك من حولك.هم تمموا جمالك 12 .ترشيش تاجرتك بكثرة كل غنى بالفضة والحديد والقصدير والرصاص اقاموا اسواقك 13 .ياوان وتوبال وماشك هم تجارك.بنفوس الناس وبانية النحاس اقاموا تجارتك 14 .ومن بيت توجرمة بالخيل والفرسان والبغال اقاموا اسواقك 15 .بنو ددان تجارك.جزائر كثيرة تجار يدك.ادوا هديتك قرونا من العاج والابنوس 16 .ارام تاجرتك بكثرة صنائعك تاجروا في اسواقك بالبهرمان والارجوان والمطرز والبوص والمرجان والياقوت 17 .يهوذا وارض اسرائيل هم تجارك.تاجروا في سوقك بحنطة منيت وحلاوى وعسل وزيت وبلسان 18 .دمشق تاجرتك بكثرة صنائعك وكثرة كل غنى بخمر حلبون والصوف الابيض 19 .ودان وياوان قدموا غزلا في اسواقك.حديد مشغول وسليخة وقصب الذريرة كانت في سوقك 20 .ددان تاجرتك بطنافس للركوب 21 .العرب وكل رؤساء قيدار هم تجار يدك بالخرفان والكباش والاعتدة.في هذه كانوا تجارك 22 .تجار شبا ورعمة هم تجارك.بافخر كل انواع الطيب وبكل حجر كريم والذهب اقاموا اسواقك 23 . حران وكنة وعدن تجار شبا واشور وكلمد تجارك 24 .هؤلاء تجارك بنفائس باردية اسمانجونية ومطرزة واصونة مبرم معكومة بالحبال مصنوعة من الارز بين بضائعك 25 سفن ترشيش قوافلك لتجارتك فامتلات وتمجدت جدا في قلب البحار 26 .ملاحوك قد اتوا بك الى مياه كثيرة.كسرتك الريح الشرقية في قلب البحار 27 .ثروتك واسواقك وبضاعتك وملاحوك وربابينك وقلافوك والمتاجرون بمتجرك وجميع رجال حربك الذين فيك وكل جمعك

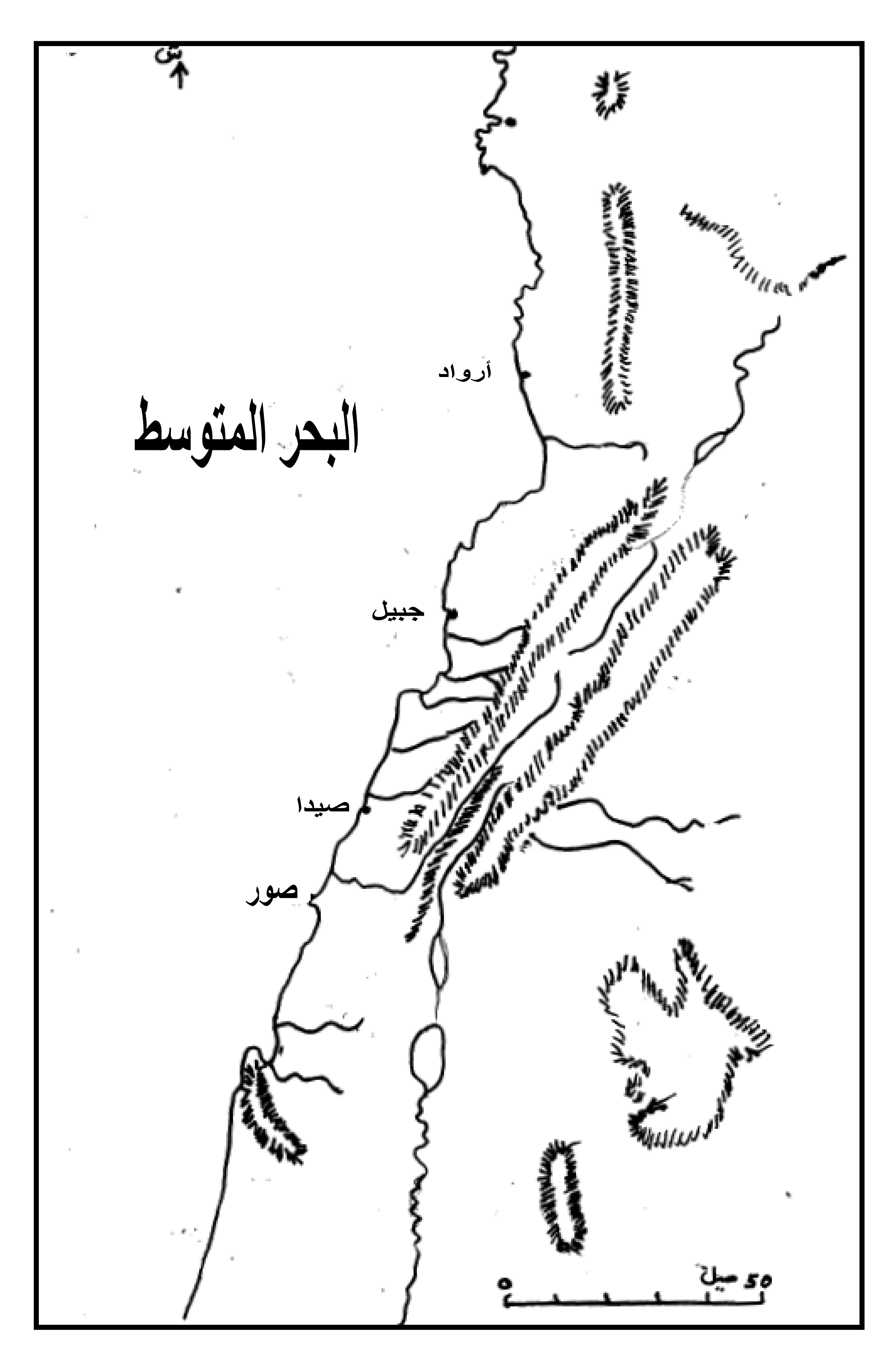
الذي في وسطك يسقطون في قلب البحار في يوم سقوطك 28 .من صوت صراخ ربابينك تتزلزل المسارح 29 .وكل ممسكي المجذاف والملاحون وكل ربابين البحر ينزلون من سفنهم ويقفون على البر 30ويسمعون صوتهم عليك ويصرخون بمرارة ويذرون ترابا فوق رؤوسهم ويتمرغون في الرماد 31 .ويجعلون في انفسهم قرعة عليك ويتنطقون بالمسوح ويبكون عليك بمرارة نفس نحيبا مرا 32 .وفي نوحهم يرفعون عليك مناحة ويرثونك ويقولون اية مدينة كصور كالمسكتة في قلب البحر 33 .عند خروج بضائعك من البحار اشبعت شعوبا كثيرة.بكثرة ثروتك وتجارتك اغنيت ملوك الارض 34 .حين انكسارك من البحار في اعماق المياه سقط متجرك وكل جمعك 35 .

النص رقم 02: الكتاب المقدس، سفر حزقيال، إصحاح 27: 1-35

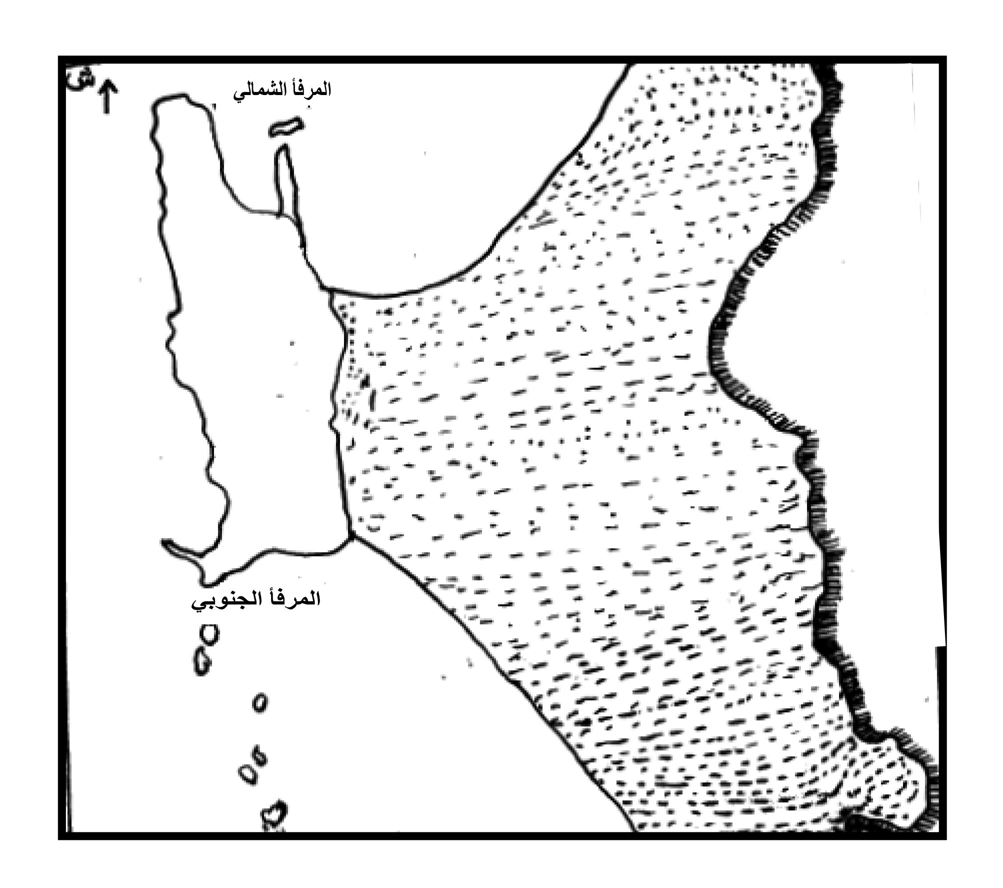
ملحق الخرائط



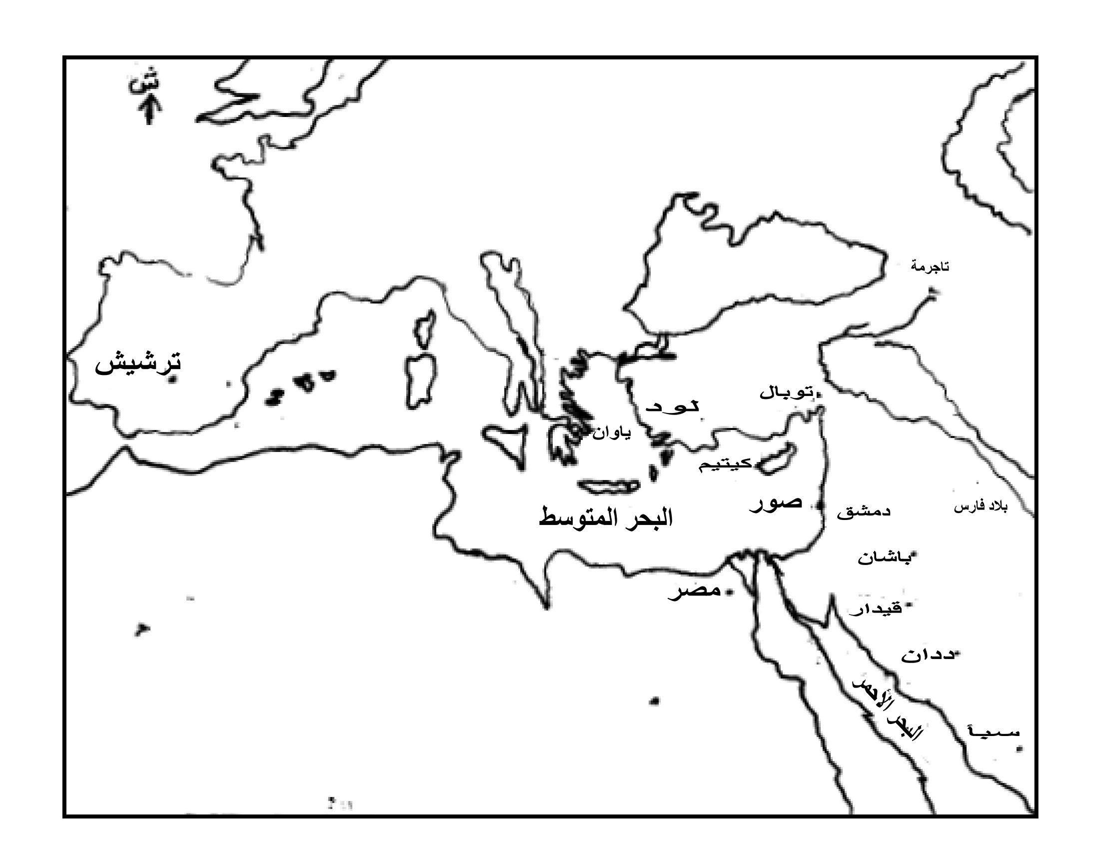
خريطة رقم 01: موقع فينيقيا بالنسبة للحضارات المعاصرة لها
(عن، جان مازيل، المرجع السابق، ص 244)



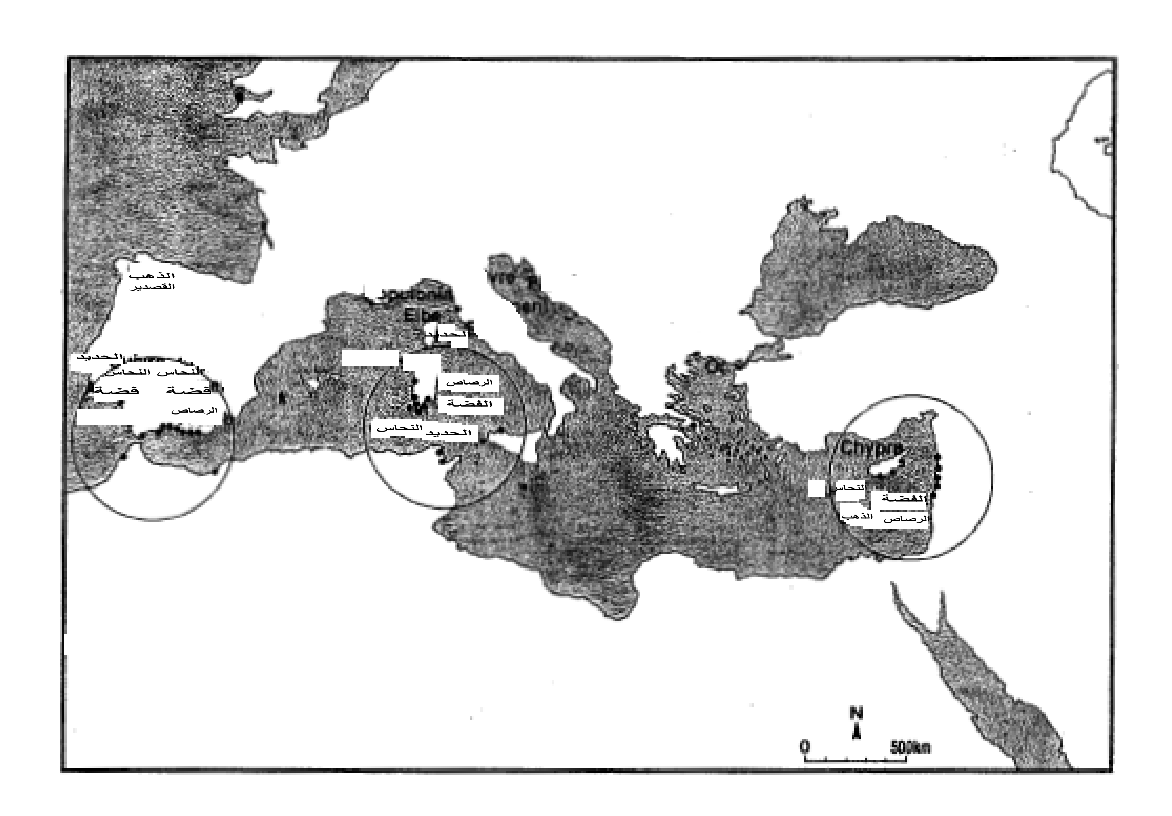
خريطة رقم 02: المرتفعات الجبلية والمجاري المائية في فينيقيا
(عن، G. Herm, op.cit., P, 161)



خريطة رقم 03: ميناء مدينة صور
(عن، جان مازيل، المرجع السابق، ص 251)

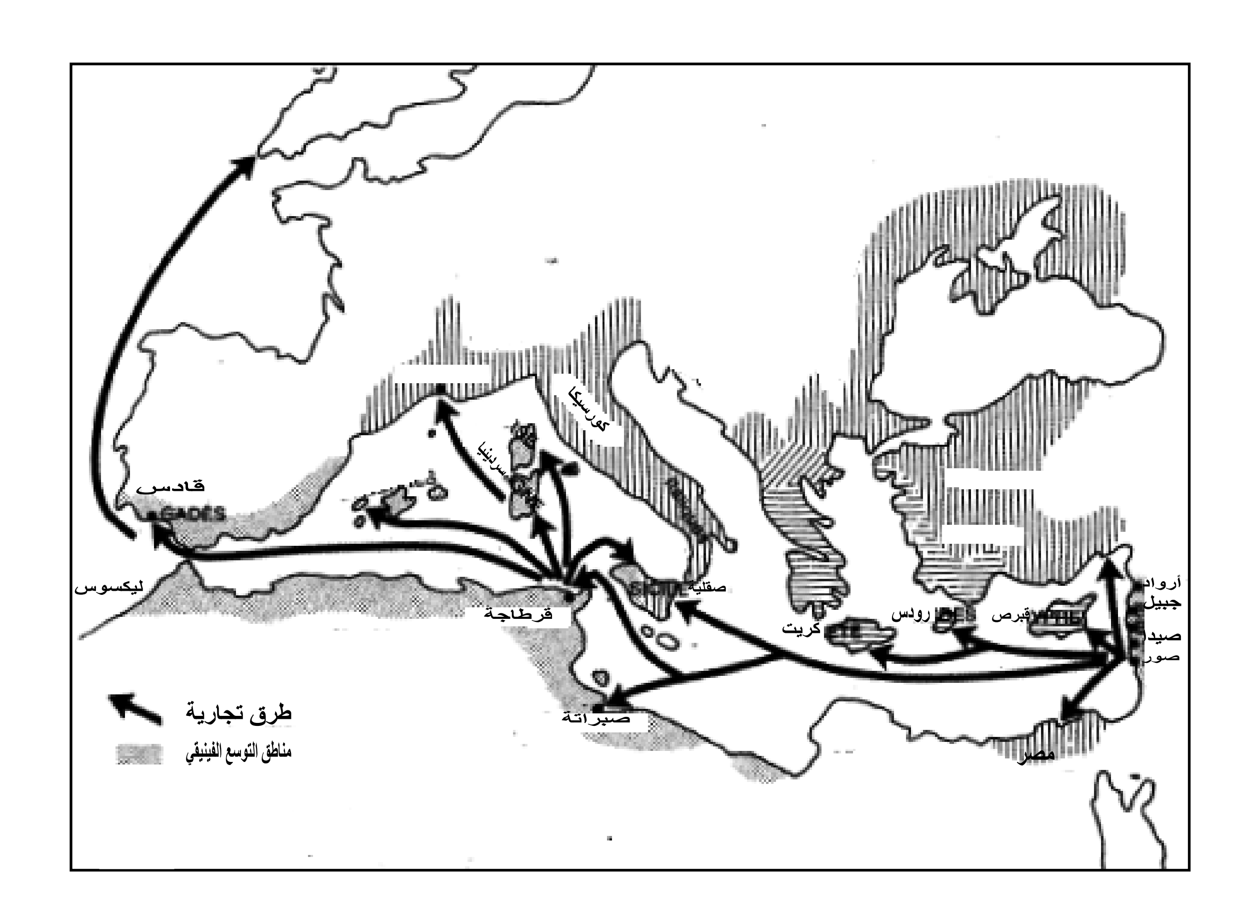


خريطة رقم 04: التجارة الفينيقية حسب سفر حزقيال
(M. Gras, P. Rouillard, op.cit., P, عن،)

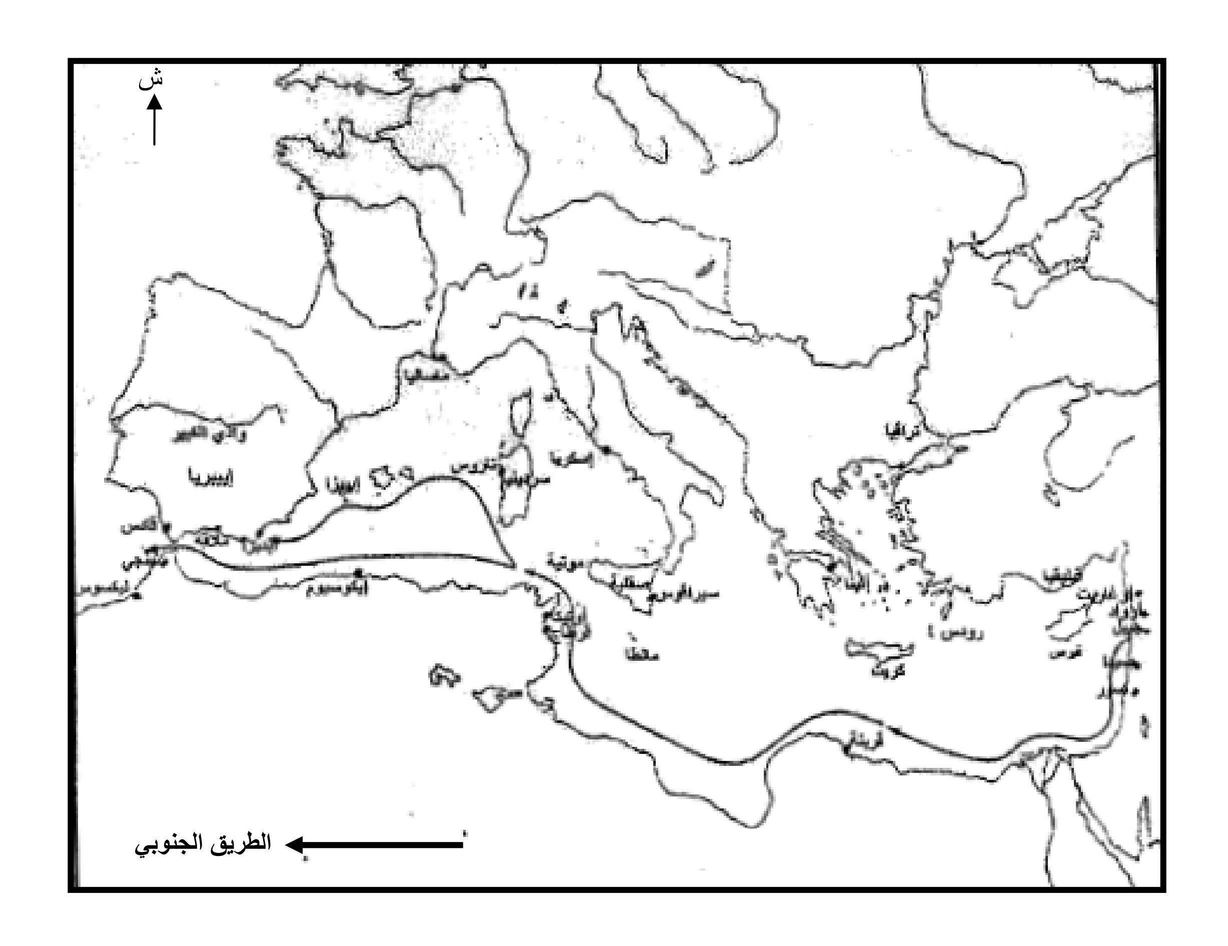


خريطة رقم 05: أهم مناطق التعدين

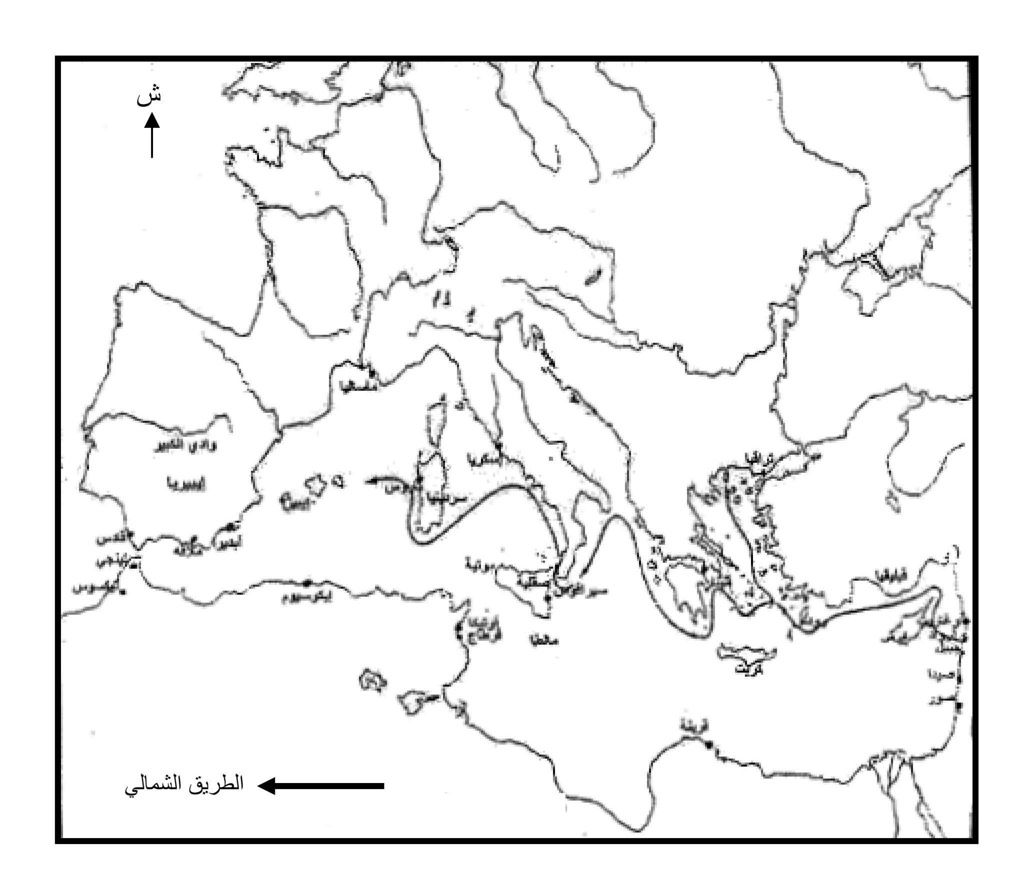
(عن، قاسم الشواف، المرجع السابق، ص 223.)



خريطة رقم 06: الطرق التجارية والرئيسية والثانوية
(عن، Khadidja Hamid, op.cit., P, 82)



خريطة رقم 07: الطريق البحري الجنوبي
(عن، Sabatino Moscati, Les phéniciens, P, 45)



خريطة رقم 08: الطريق البحري الشمالي
(عن، Sabatino Moscati, Les phéniciens, P, 45)

ملحق الصور والأشكال



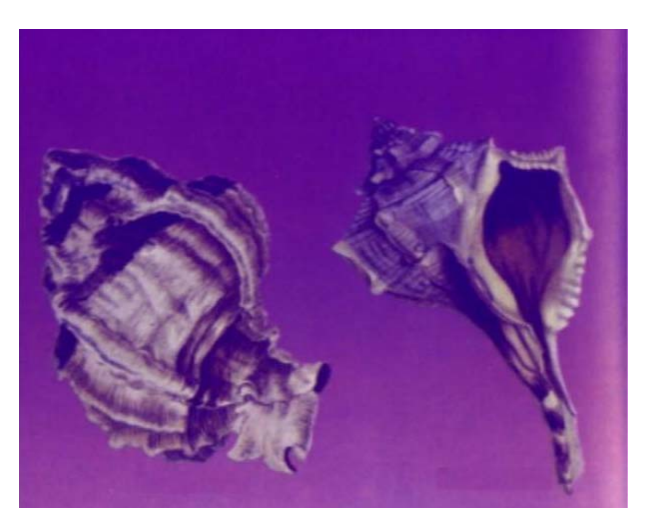
صورة رقم 01: مجسم فخاري يظهر فيه مزارعين على مدرس إلى جانب ثورينن، ارتفاعه 23 سم، وجد في جبيل، يعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد.

(عن André Parrot, Maurice H. Chéhab, op.cit, p, 36)

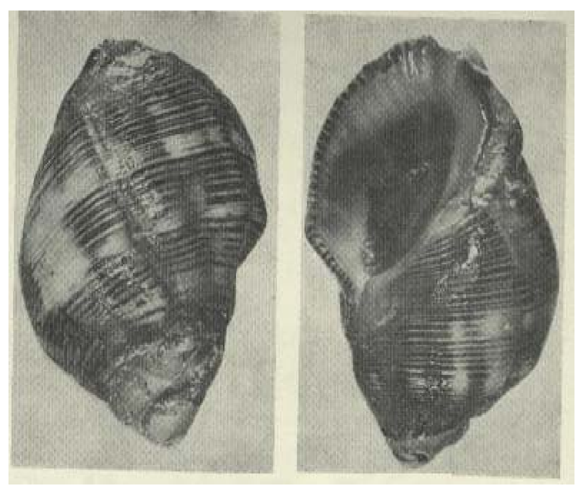


صورة رقم 02: آنية خزفية تستخدم في الطقوس الجنائزية تعود إلى القرن 8 قبل الميلاد ، ارتفاعها 32 سم.

(عن André Parrot, Maurice H. Chéhab, op.cit, p. 267)



صورة رقم 03: صدفات من نوع الموركس
Murex Trunculus ترونكولوس
(Maitland , A Edey , op.cit , 60 ، عن)



صورة رقم 04: صدفات من نوع الموركس هيماستوما
Murex Humastoma
(67 عن دائرة المعارف، المجلد 9، ص)



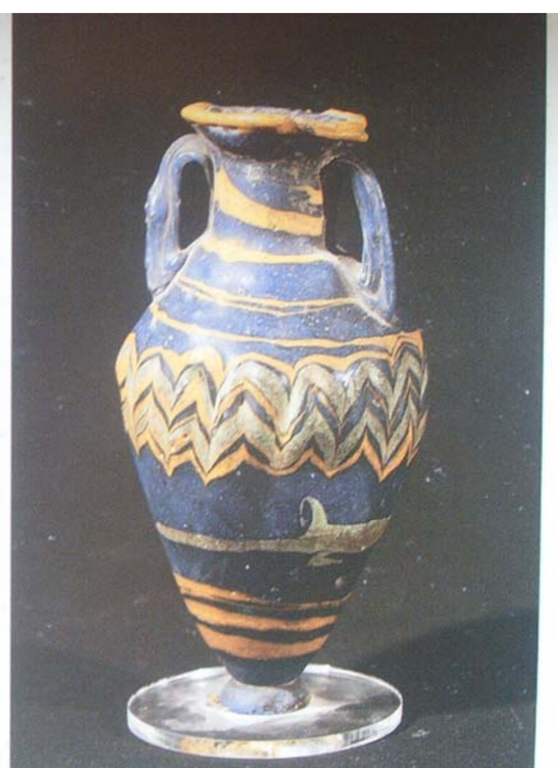


صورة رقم 05: صدفات من نوع الموركس بروندارس
Murex Brandaris
(عن نفسه)

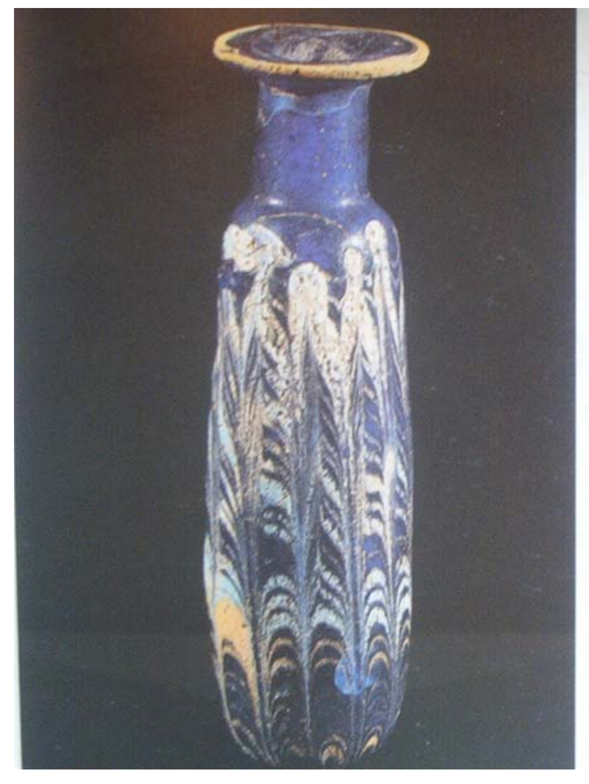




صورة رقم 06: صورة الحيوان الصدفي بعد نزع القوقعة
(عن دائرة المعارف، المجلد 9 ، ص ، 67)

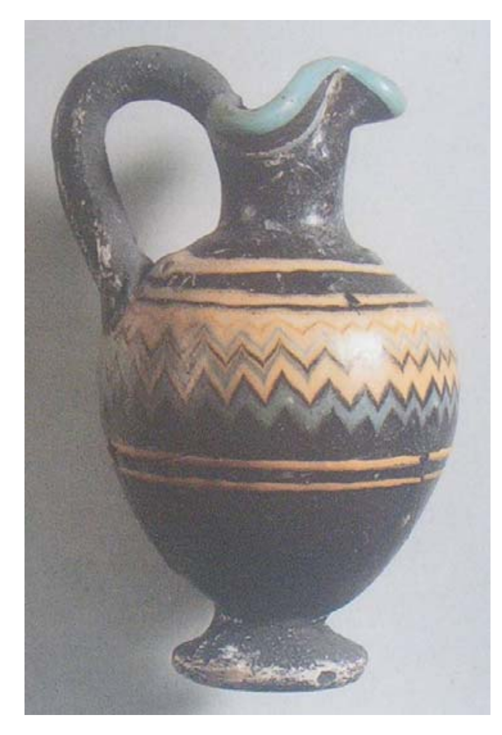


صورة رقم 07: مزهرية من الزجاج العاتم ارتفاعها 9.5 سم



صورة رقم 08: قنينة ارتفاعها 14 سم مصنوعة

(عن ، Ibid , p , 479)



صورة رقم 09: أبريق زجاجي ارتفاعه 6.7 سم
(Ibid.)



صورة رقم 10: عقد مركب من قطع زجاجية يتوسطه رأس آدمي ارتفاعه 7 سم.
(عن ، Ibid , p , 484)

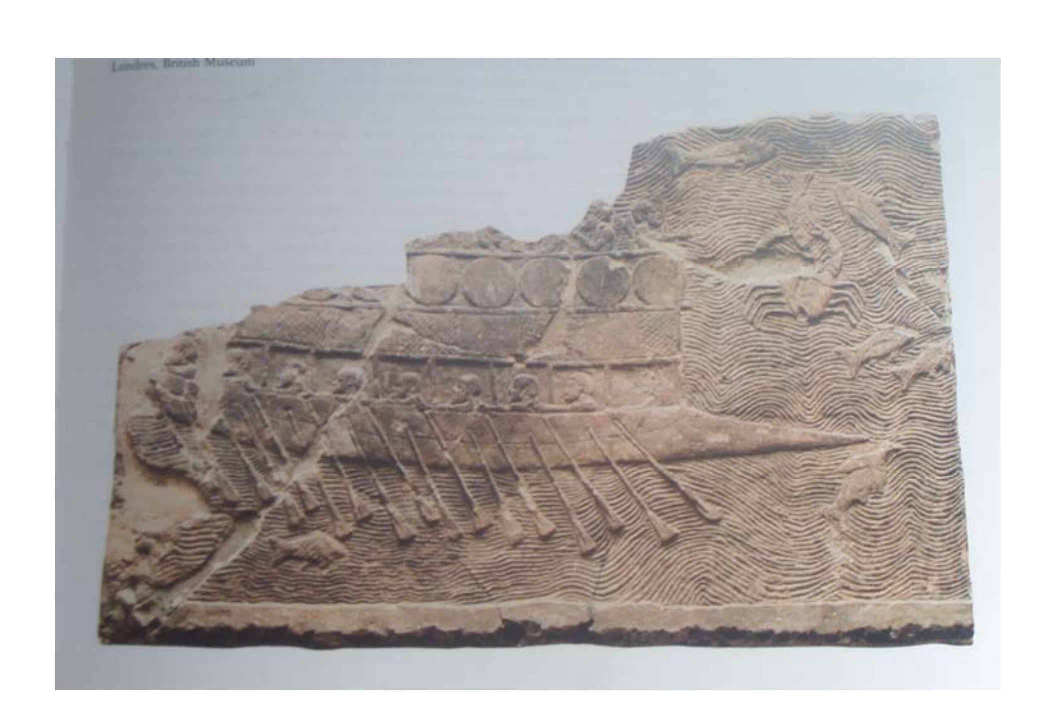


صورة رقم 11: عقد مركب من قطع مصنوعة من المعدن والزجاج

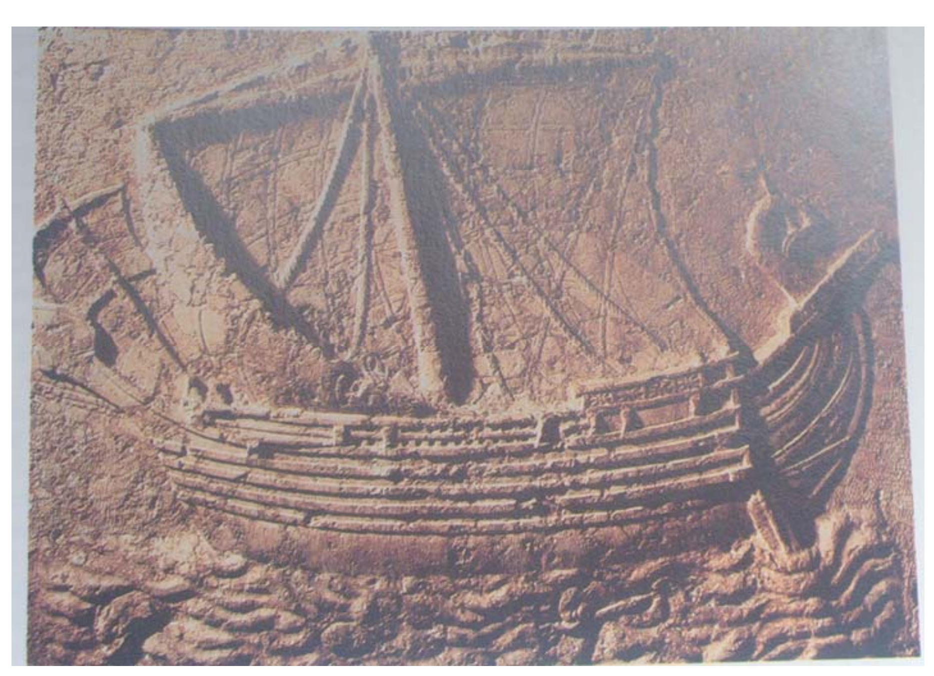
(عن، .Donald , Harden , op , cit , p 103)



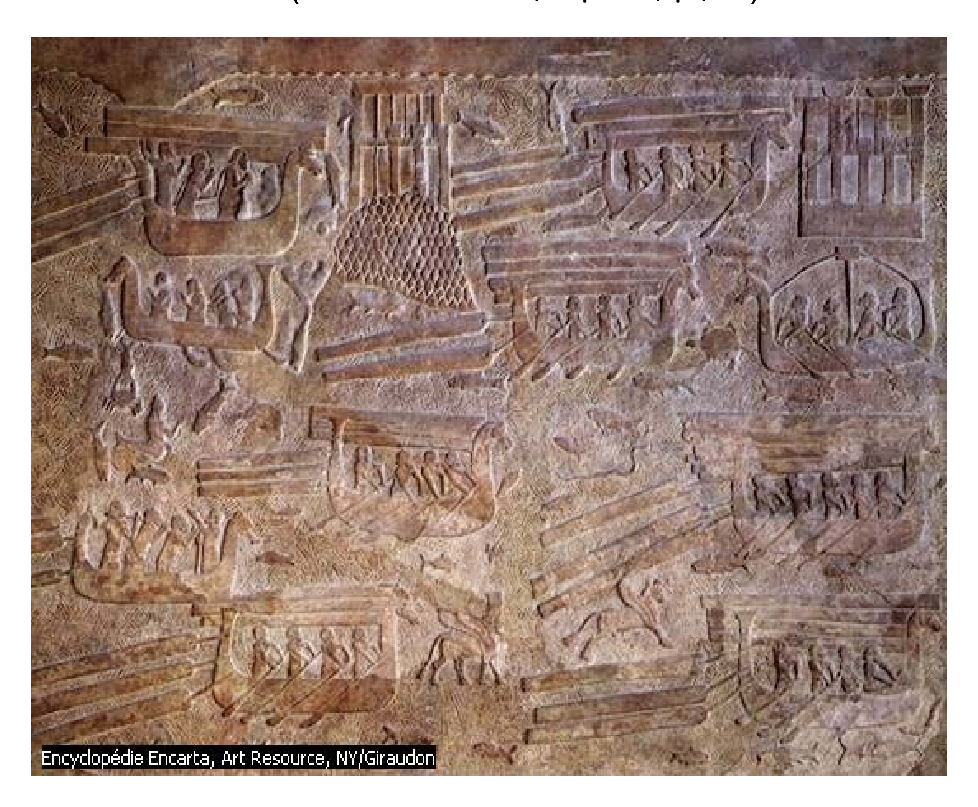
صورة رقم 12: سفينة خوفو المصنوعة من أخشاب الأرز
(عن، Encarta, 2006)



صورة رقم 13: سفينة حربية فينيقية ظهرت على النقوش النافرة، السفينة ذات طوابق
مزودة بصفين من المجاديف ومنخس في مقدمتها
(Piero Barteloni , les navires et la navigation , p ,73 ، عن)



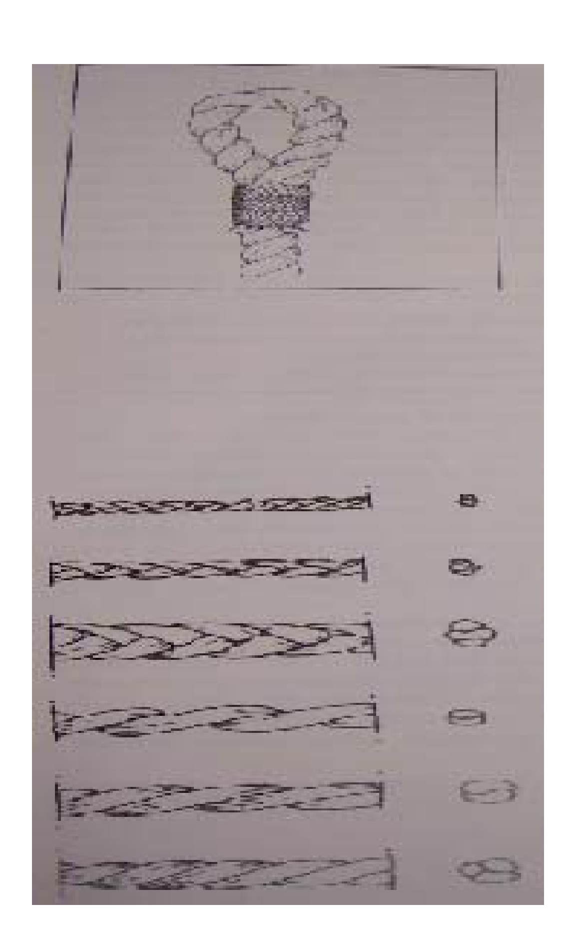
صورة رقم 14: سفينة تجارية فينيقية ظهرت على تابوت وجد في صيدا
يفضل بعض الباحثين تسميتها بسفينة ترشيش
(Piero Barteloni , op.cit., p ,73)



صورة رقم 15: نقش نافر وجد بقصر سرجون Sargon III (722 ، 705 ق م) في خرسباد
Kharsabad المشهد يصور لنا سفن نقل الأخشاب، طول القطعة 2.44 م
(Encarta , 2006 ، عن)



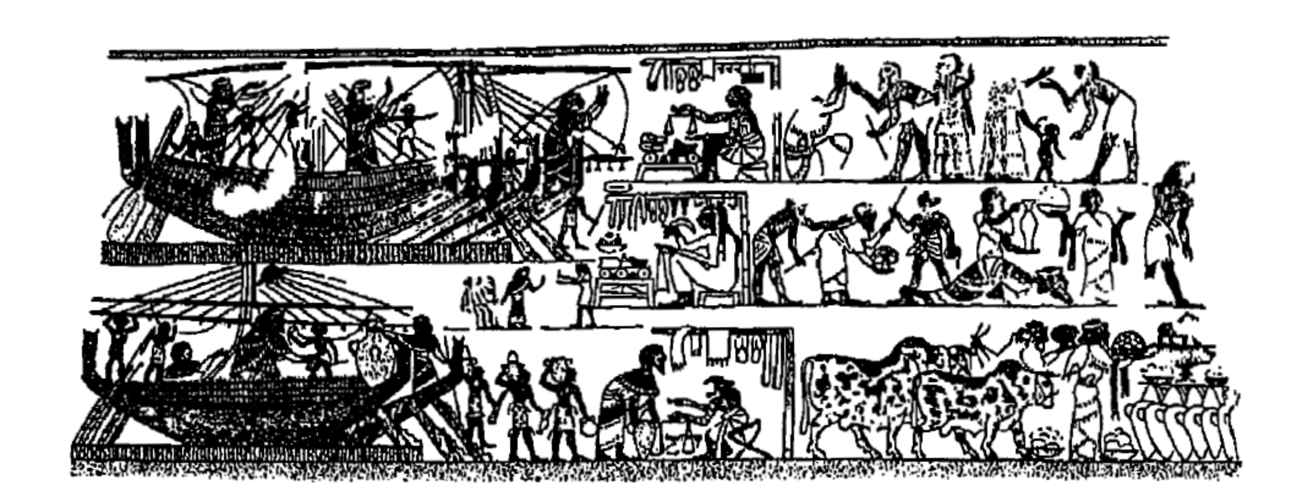
صورة رقم 16: سفن نقل فينيقية من مدينة صور، حيث يظهر مجموعة من الفينيقيين متوجهين لدفع الجزية للملك الآشوري Salamunsar III، الذي أمر بإنجاز النقش سنة 830 ق.م.
(Maitland, A. Edey, op.cit., P-P, 88-89. عن،)



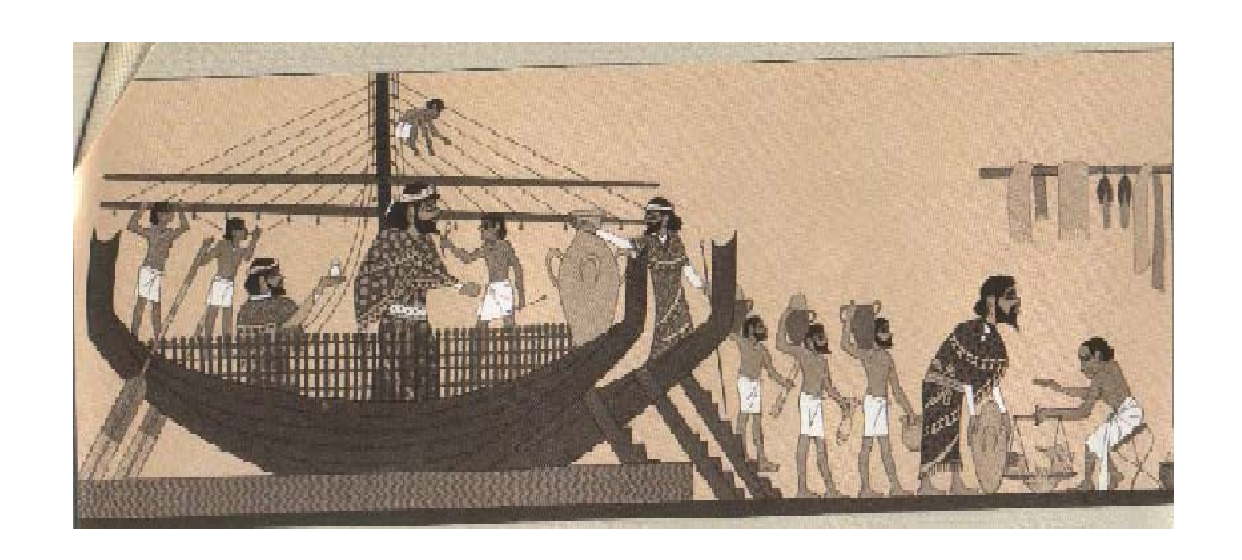
صورة رقم 17: أنواع الحبال والعقد التي استخدمها الفينيقيون على سفنهم
(Piero Bartoloni , les navires et la navigation , p , 77 ، عن)



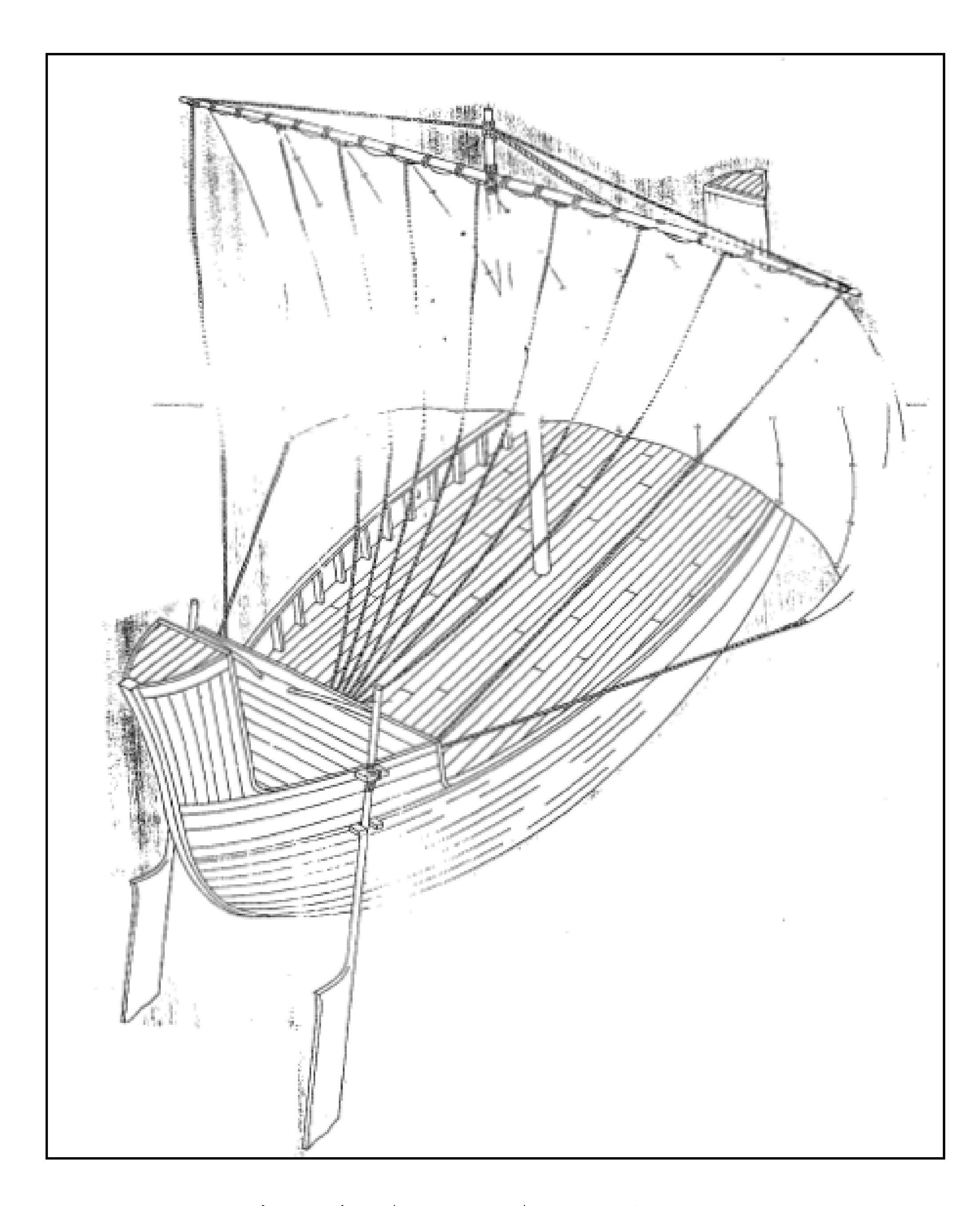
صورة رقم 18: عملية قطع ونقل الأخشاب ونقلها في إحدى المدن الفينيقية حسب ما ظهر
على النقش النافر بقصر سنحريب Senncherib (705-681 ق.)
(Donald, Harden, op.cit., P-P, 134-135 ، عن)



صورة رقم 19: مشهد وصول سفن تجارية فينيقية في ميناء بمصر
(عن ، كارلهاينز برنهردت، المرجع السابق، ص 93.)



صورة رقم 20: إعادة تحسين لمشهد وصول السفن التجارية الفينيقية إلى الميناء المصري
(عن ، Maitland A. Edey., op.cit.,P, 49)



صورة رقم 21: شكل افتراضي لسفينة تجارية

(عن ، Maitland A. Edey., op.cit.,P, 45)

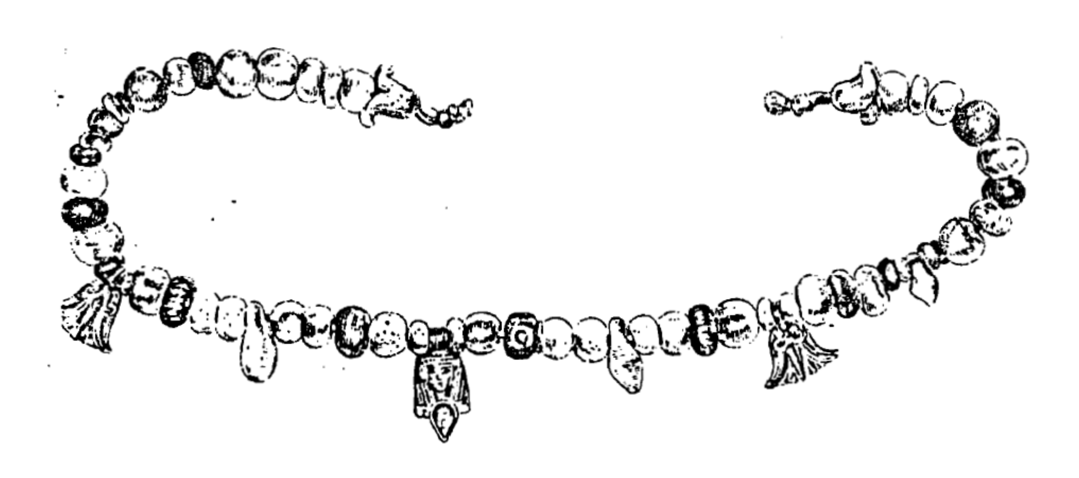


صورة رقم 22: قرط ذهبي من النوع المركب عثر عليه في ثاروس Tharos ارتفاعه 6.9 سم
(Giovana pisano , les bijoux , p ,379 ،عن)

صورة رقم 23: قرط ذهبي من النوع المركب ، حيث تظهر فيه التأثر بالأسلوب المصري
(Maitland , A Edey , op ,cit , p ,74 ، عن)



صورة رقم 24: قلادة من معدن الذهب
(Giovana pissano , les bijoux , p 383.، عن)



صورة رقم 25: عقد مركب من قطع زجاجية والمعدنية
(G. Parrot, Ch. Chipiez, op.cit., T III , p 827.، عن)



صورة 26: حاملة تمائم من الذهب وجدت في تاروس Tharros ارتفاعها 3.9 سم
(Giovana pisano , les bijoux ,p ,388 ، عن)



صورة 27: حاملة تمائم من الذهب وجدت في ثاروس Tharros ارتفاعها 4.3سم (Ibid)



صورة 28: دلاية من الذهب وجدت في ثاروس Tharros ، ارتفاعها 2.3 سم (Ibid)



صورة رقم 29: كوب معدني
(Sabatino Moscati , les coupes de metales , p , 120 ، عن)



صورة رقم 30: شكل تخطيط للكوب المبين أعلاه
(Sabatino Moscati , les poupées des phéniciens , p , 110 ، عن)



صورة رقم 31: علبة عاجية في شكل بطة يعلوها على مستوى الظهر
عصفور، العلبة وجدت في صيدا ، طول العلبة حوالي 0.15 م



صورة رقم 32: رأس تمثال لرأس امرأة من العاج ، وجد بنمرود Nimroud
Encarta, 2006.





صورة رقم 33: خنجر مصنوع من معدن الذهب مقبضه
مطعم بالعاج

(عن ، H , Stierlin , op , cit , p-p , 26-27)

الفهـــــــارس

فهرس الآلهة، الأماكن، الشعوب والأعلام

الآلهة

الأماكن

الشعوب

الأعلام

فهرس الملاحق

فهرس المحتويات

الفصل الثاني: صناعة الخزف

الفصل الثالث: صباغة الأنسجة

الفصل الرابع: صناعة الزجاج

الفصل الخامس: بناء السفن

الباب الثاني: التجـــارة البحريـــة

الفصل الأول: الطرق التجاريـــة

الفصل الثاني: التوسع التجاري والاستيطان

الفصل الثالث: تنظيـم التجــــارة

الفصل الرابع: أهم المناطق التبادل التجاري

الفصل الخامس: المنتوجات الفينيقية